جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

معيار الاختيار
لابن الخطيب بين الأصالة والتجديد
« دراسة تحليلية فنية »

الدكتورة
حفيظة إسماعيل رمضان محمد على

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

العدد التاسع عشر
للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

المقدمة

الحمد لله الذى أقسم فى محكم كتابه العزيز بقوله: ﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾[١]. حمداً يليق بجماله وجلاله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، من أوتى جوامع الكلم، وبهر ببلاغته العرب والعجم، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فقد أسرنى الأدب الأندلسى الذى يمثل حلقة من حلقات الأدب العربى وجذبنى النتاج الأدبى لعلم من أعلام السياسة والفن والعلم والأدب، عاصر بداية النهاية الأخيرة التى أسدلت ستارها على تاريخ العرب فى أبدع بقعة من بقاع الحضارة الإسلامية ألا وهو العبقرى الداهية والأديب البارع والسياسى الحاذق، ذو الوزارتين وصاحب الثقافة الموسوعية فى ميادين العلم والأدب «لسان الدين ابن الخطيب» الذى ولد فى أوائل القرن الثامن الهجرى عام (٧١٣هـ)، الموافق (١٣١٣م)، وعاش إلى بداية الربع الأخير من هذا القرن عام (٧٧٦هـ)، الموافق (١٣٧٤م)، الذى كتبت حوله العديد من البحوث والدراسات التى كشفت النقاب عن بعض إبداعاته[٢]، وما زال الكثير منها يحتاج إلى المزيد من البحوث لتكشف النقاب عن العديد من زوايا مواهبه وإبداعاته المتميزة.

والذى قال عنه المقرى صاحب نفح الطيب[٣]:

بهر الأنام رياسةً وسياسيةً	وجلالةً فى المنتمى والقعدد
وأتى بكل بديعة فى نوعها	لم تخترع وغريبة لم تعهدً
ما شئت من شعر أرقَّ من الصَّبا	وكتابة أزهى من الزهر النّدى

---

(١) سورة القلم، آية ١، ٢.

(٢) يراجع لسان الدين ابن الخطيب فى آثار الدارسين، حسن عبد الكريم الوارکلى ط منشورات عكاظ الرباط، ١٩٩٠م.

(٣) مقدمة نفح الطيب، لأحمد بن المقرى التلمسانى، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، دار صادر – بيروت – لبنان، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م، جـ١ ص١١٠.

وبـــــديع قرطـــــاسٍ توشـــــح متنُـــــه بمنمـــــنم مـــــن رقمـــــه ومنجَّـــــدِ
أو لـــيس مثلـــى قاصـــراً عـــن وصـــفه والحـــق نـــورٌ واضـــحُ للمهتـــدى

ولقد دعانى تميّز الفن النثرى لهذا الأديب المتميز الذى ترأس ديوان الإنشاء، وكان علماً من أعلام البيان فى عصره، وتولى أمانة السر، وعهد إليه بكتابة جميع المراسلات الخطيرة، بلسان اثنين من أشهر سلاطين غرناطة فى دولة بنى الأحمر، على مدى نيف وعشرين عاماً، فى حقبة من أدق وأخطر الحقب، التى تتعرض فيها مملكة (غرناطة) آخر الممالك الإسلامية الأندلسية لهجمات الصليبيين الشرسة، لتناول أحد مؤلفاته النثرية التى تتناول أهم المدن الأندلسية والمغربية، وترسم صورة كاملة لها ولحياة أهلها فى هذه الحقبة، والتى جمع فيه لسان الدين ابن الخطيب بين الأصالة والتجديد ومزج فيه بين المقامة والرسالة وأدب الرحلات، فإذا هو يسبق الغرب تطبيقا للتداخل بين الأجناس الأدبية، وتوظيفها إبداعيا لخدمة العمل الأدبى، والتى وقف فيها قمة شامخة فى توظيف تقنيات السرد، التى احتفت بها المذاهب والاتجاهات الأدبية والنقدية فى العصر الحديث، ألا وهو كتابه «معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار» والذى ستتناوله الدراسة بالبحث والتحليل تحت عنوان **(معيار الاختيار لابن الخطيب بين الأصالة والتجديد «دراسة تحليلية فنية»)** من خلال تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع والموضوعات على النحو التالى:

- **التمهيد:** ويشمل التعريف بصاحب معيار الاختيار.
- **المبحث الأول:** معيار الاختيار عرض وتوصيف.
- **المبحث الثانى:** معيار الاختيار فى ضوء المقامة وفنيات السرد.
- **المبحث الثالث:** البناء الهيكلى والخصائص الأسلوبية بين الأصالة والتجديد.
- **الخاتمة:** وتشمل أهم النتائج والتوصيات
- **ثبت المصادر والمراجع.**
- **ثبت الموضوعات.**

التمهيد

التعريف بصاحب معيار اختيار

هو: لسان الدين ابن الخطيب[١]، الذى قال عنه معاصره ابن خلدون أنه: «آية من آيات الله فى النظم والنثر والمعارف، والأدب لا يساجل مداه ولا يهتدى بمثل

---

(١) يراجع ترجمته فى:

- الإحاطة فى أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط مكتبة الخانجى بمصر ١٣٩٤هـ ١٩٨٨م، جـ٤ص٤٣٨.

- تاريخ ابن خلدون المسمى (بالعبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر)، عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المغربى ط دار الكتاب اللبنانى، بيروت لبنان ١٩٥٩م جـ٧ص٦٨٩ :٧١٠.

- ابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن ابن خلدون ط دار الكتاب اللبنانى، بيروت لبنان د.ت ص١٤٩-٢٣١.

- نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان، لإسماعيل بن الأحمر، تحقيق محمد رضوان الداية طبعة دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٦٧م، ص٢٤٢-٢٩٢.

- إيضاح المكنون فى كشف الظنون، هدية العارفين، إسماعيل البغدادى ط استانبول بتركيا ١٩٥١م، جـ١ص٢١٠ :٢١٩.

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكتى إشراف عبد الحميد الهرامة ط دار الكاتب، طرابلس، بليبيا، سنة ٢٠٠٠م، ص٤٤٥.

- جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، أحمد بن القاضى المكناسى، ط دار المنصور بالرباط ١٩٧٣م، جـ١ص٣٠٨-٣١١.

- أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض، أحمد المقرى ط لجنة التراث الإسلامى بالمغرب ١٩٨٠م، جـ١ص١٨٦، ٣٣٦.

- أوصاف الناس فى التواريخ والصلات، والزواجر والعظات، لسان الدين ابن الخطيب تحقيق محمد كمال شبانة ط اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامى ١٩٧٧م، (المقدمة). =

هداه»[1].

- = الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، للسان الدين ابن الخطيب تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت لبنان ط١ ١٩٦٣م، (المقدمة).

- الصيب والجهام والماضى والكهام، لسان الدين ابن الخطيب تحقيق محمد الشريف قاهر الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ط١ ١٩٧٣م، (المقدمة).

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، لسان الدين الخطيب، تحقيق ليفى بروفنسال ط بروت لبنان ١٩٥٦م، (المقدمة ص٢-٣).

- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٤٠٠هـ-١٩٨١م، (المقدمة).

- درة الحجال فى أسماء الرجال، أحمد محمد المكناسى، تحقيق د محمد الأحمدى أبو النور، ط دار التراث بمصر والمكتبة العتيقة بتونس ١٩٧٠م، جـ٢ص٢٧١-٢٧٤.

- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتانى ط المطبعة الحجرية بفاس بالمغرب د.ت جـ٣ ص١٨٧-١٩١.

- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، للمراكشى ط المطبعة الملكية بالرباط ١٩٧٤م، جـ٣،٣٥٢، جـ٣،٤٤٣،٤.

- بغية الرواد فى ذكر ملوك بنى عبد الواد، يحيى ابن خلدون، تحقيق عبد الحميد حاجيات ط المكتبة الوطنية بالجزائر ١٩٨٠م، ص٢٠، ٣٤، ٤٠، ٥١، ٦٠، ٦٢، ٧٤.

- الاستقصا لأخبار دور المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصرى، تحقيق جعفر الناصرى، ومحمد الناصرى ط الدار البيضاء، ودار الكتاب اللبنانى ١٩٥٤م، جـ٣،١٩٢، جـ٤ ص١٣، ٣١، ٤٦، ٦٢.

- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، عبد العزيز بن عبد الله، ط وزارة الأوقاف بالمغرب ١٣٩٥هـ،١٩٧٥م، جـ١ص٨٨.

- تاريخ أداب اللغة العربية، مطصفى صادق الرافعى، ط دار الكتاب العربى، بيروت لبنان، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، جـ٣ ص٢٣٠.

- لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكرى، محمد عبد الله عنان ط مكتبة الخانجى، القاهرة ط الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(١) تاريخ ابن خلدون، جـ٧ص٩٥٩.

وقال عنه الأمير أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، أحد أمراء مملكة غرناطة مبيناً مكانته: «هو نفيس العدوتين، ورئيس الدولتين... وكاتب الأرض إلى يوم العرض»(١).

فهو قمة من القمم الفكرية، ومدرسة من المدارس الأدبية الإبداعية ليس فى تاريخ الحركة العقلية بالأندلس التى كان يمثل عصارتها فحسب، بل فى سياق حركة الفكر الإسلامى والعربى أيضاً»(٢).

فهو الشاعر الكاتب الأديب الأريب، والمؤرخ الدقيق، والفيلسوف القدير، والطبيب الحاذق، والسياسى الفذ صاحب الوزارتين والعقد والبرم.

اسمه: محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن على ابن أحمد السلمانى. **وكنيته:** أبو عبد الله **ولقبه:** (لسان الدين) ولُقب جده الأعلى «سعيد» بالخطيب، وكان من أهل العلم والدين والخير، وأطلق على أولاده لقب ابن الخطيب، واشتهرت الأسرة بهذا اللقب(٣).

مولده ونشأته:

ولد فى مدينة (لوشة)(٤)، فهى مسقط رأسه التى اشتهرت فى التاريخ بإنجاب

---

(١) نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان، ص٢٤٣.

(٢) فنون النثر الأدبى فى آثار لسان الدين ابن الخطيب، د، محمد مسعود جبران ط دار المدار الإسلامى، بيروت لبنان توزيع دار الكتب الوطنية ببنغازى ط الأولى ٢٠٠١م، ص١٩.

(٣) الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ٤ ص٤٣٨.

(٤) مدينة لوشة: (ويطلق عليها الآن بوخارا) تبعد عن غرناطة بمسافة خمسة وخمسين كيلو متر من ناحية الجنوب الغربى، وهى قطر غنى بمعدن الفضة يشتمل على العديد من الحصون والقرى ومظاهر الجمال.

يراجع: – اللمحة البدرية فى تاريخ الدولة النصرية، لابن الخطيب ط المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٧هـ.

– الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ٢ص٣٤٣. =

ابن الخطيب ويطلق عليها ابن الخطيب (بنت غرناطة)[١]، فى الخامسة والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وعشرة وسبعمائة هجرية الموافق السادس عشر من نوفمبر سنة ثلاث عشر وثلاثمائة وألف ميلادية[٢]، فى بيت علم ومجد ورئاسة وخير وكان يعرف بيتهم قديماً ببنى الوزير، وحديثاً ببنى الخطيب[٣].

ويُرجع لسان الدين الخطيب نسبه إلى قبيلة «سلمان» اليمنية التى هاجرت إلى «الشام»، ثم انتقلت إلى «الأندلس» فقطنت «قرطبة»، ثم هاجرت منها مع أعلام قرطبة إلى «طليطلة» بعد حادثة (الربض) المشهورة فى القرن الرابع الهجرى، وهى الواقعة التى حرض فيها الفقهاء الناس ضد «الحكم بن هشام»، فنكبهم بقتل عدد كبير منهم، ونفى عدد آخر إلى أماكن مختلفة بالأندلس[٤].

- الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية، شكيب أرسلان ط دار مكتبة الحياة لبنان بيروت د.ت جـ١ص١٨٩، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، أحمد مختار للعبادى، ط مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨م، ص٩٣.

- والروض المعطار فى خبر الديار، لابن عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى، نشر ليفى بروفنسال ليدن ١٩٣٨م، ص١٧٣، ١٧٤.

(١) يراجع: الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ٢ص٣٤٣.

(٢) يراجع: الإحاطة، جـ٤ص٤٣٨.

- لسان الخطيب حياته وتراثه الفكرى، محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجى القاهرة ط الأولى ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

(٣) يراجع: الإحاطة، جـ٤ ص٤٣٩.

- جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، أحمد بن القاضى المكناسى، جـ١ص٣٠٨.

- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلانى، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة، بمصر ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م جـ٤ ص٨٨.

(٤) الإحاطة، جـ٤ ص٣٣٨.

واستقر المقام بهذه الأسرة فى « لوشة » حيث استقر جدهم الأعلى سعيد الذى عرف بالخطيب مع أولاده الذين ساروا على منهاجه، وكانوا من ذوى المكانة فى البلاط الغرناطى فى دولة بنى الأحمر(١).

واشتهرت هذه الأسرة بالعلم وتقلُّد الوزارة فوالده عبد الله الذى كان من العارفين بالأدب والطب ومن ذوى المكانة فى البلاط النصرى فى حمراء غرناطة حيث ارتقى إلى منصب الوزارة(٢).

ابن الخطيب يرفل فى النعيم :

فقد نشأ لسان الدين ابن الخطيب فى بيت علم وعز وعراقة، يرفل فى النعيم ويستمتع بالمال والجاه والحظوة فى أجمل وأبدع مدينة من مدن الأندلس ذات الجمال الطبيعى، والبساتين الممتدة، التى ينساب فيها نهر «شنيل»، الذى ينسال رابطا بينها وبين غرناطة ببسيطه الأخضر وشمسه الذهبية الرائعة، التى قضى فيها ابن الخطيب شبابه، وسعد بالحظوة لدى ملوك وأمراء الدولة النصرية – دولة بنى الأحمر – فيها(٣).

فحظى بالرعاية التامة التى كان لها الفضل فى تكوينه العلمى والعملى، وفى اتجاهه النفسى، وفى طموحه المتوقد، وثقافته المتنوعة، بالإضافة إلى ما كان يتسم به من ذكاء وتوقد فكرى، وألمعية ذهنية، مكنته من التلألأ فى سماء العلم والأدب والسياسة، خاصة بعد أن أحاطه والده برعايته ووفر له كماً هائلاً من الكتب، وعهد

---

(١) الإحاطة،جـ٤ ص٤٣٩، ٤٤١.

(٢) الإحاطة،جـ٤ ص٤٣٩، وما يليها.

(٣) يراجع: نفح الطيب، جـ٧ص١١٦ –٣٩١، جـ٨ ص٤–٥٨.

- جذوة الاقتباس جـ١ ص٣٠٩.
- الدرر الكامنة، جـ٤ ص٨٨.
- ابن الخطيب من خلال كتبه، محمد بن أبى بكر التطوانى، ط معهد مولاى الحسن بالمغرب ١٩٥٤م، جـ١ ص٤٩.

به إلى المبرزين من شيوخ وعلماء عصره[١]، وعلى رأسهم الأديب والشاعر واللغوى والكاتب على بن الجياب[٢]، وابن شبرين[٣]، والبيرى[٤]، والتجيبى[٥]، ومحمد بن أحمد المقرى[٦]، وأخذ الطب والفلسفة عن أبى زكريا بن هذيل[٧]، وكان وكان شديد الحب والبر والوفاء لأساتذته بصورة نادرة[٨]، متمتعاً بنضارة شبابه

---

(١) يراجع: نفح الطيب، جـ٧ ص١١٦، جـ٨ ص٤-٥٨.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، جـ٣ ص٣٢٩.

(٢) الإحاطة، جـ٤ ص١٢٥-١٤٦، الكتبة الكامنة،١٨٣، درة الحجال جـ٣ ص٢٣٤.

(٣) ابن شبرين تولى الكتابة السلطانية والقضاء وأثنوا على مواهبه فى فنون المنظوم والمنثور والقضاء وعرف بسماحة النفس وغزارة العلم.
يراجع: الكتيبة الكامنة، ص١٦٦، نفح الطيب، جـ٨ ص٥٥.

(٤) هو: سيبويه الجماعة فى النحو أبو عبد الله بن الفخار، المعروف «بالبيرى» نسبة إلى البيرة.
- نفح الطيب، جـ٧ص٢٧٥، الكتيبة الكامنة، ص٧٠.

(٥) التجيبى: هو أبو عثمان سعيد بن ليون التجيبى، كان من أئمة الدين الذين أفرغوا جهدهم فى العلم والزهد، وصاحب كتاب (لمح السحر من روح الشعر وروح الشحر).
- يراجع: شجرة النور الزكية، ابن مخلوف ط دار الفكر د.ت. ص٢١٤، الكتيبة، ص٨٦.
- ابن الخطيب من خلال كتبه، محمد بن أبى بكر التطوانى ط معهد مولاى الحسن بالمغرب ١٩٥٤ جـ١ ص٤٩.

(٦) هو: جد المقرى صاحب نفح الطيب، وكان من الأئمة والأعلام الذين كان لهم تأثيرهم البعيد فى الحياة الفكرية فى الأندلس والمغرب، وقيل عنه أنه كان فى كثرة العلم عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبرى.
- يراجع تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن النباهى المالقى ط المكتب التجارى للطباعة بيروت لبنان، د.ت ص١٦٩.

(٧) من أكابر أعلام غرناطة الذين اشتغلوا بالعلوم وخاصة الفلسفة والطب، وقد لازمه ابن الخطيب ملازمة طويلة وأثنى عليه وعلى ما انتفع به من علمه، توفى ٧٥٤هـ.
- يراجع: الإحاطة، جـ٤ ص٣٩٠، نثير فرائد الجمان، ص٣٢٠.

(٨) يراجع الإحاطة، جـ٤ ص٤٠٠، وبره بشيخه (يحيى بن هزيل).

ووراقة عيشه سالكا مسلك المترفين من أبناء غرناطة، جامعا بين طلب العلم بجد نهاراً، واللعب والاستمتاع بالرياض المونقة ومجالس الظرف مساءً، حتى بلغ الثامنة والعشرين من عمره، واستشهد أبوه وأخوه الأكبر فى معركة «سلادو» المشهورة بـــ «معركة طريف» عام ٧٤١هـــ -١٣٤١م ضد الصليبيين(١).

ابن الخطيب بين الحكم والتأليف:

فإذا هى حياته الناعمة وكيانه اللاهى يهتز هزة عاتية، ويحفر هذا الحادث فى أعماقه جرحاً غائراً ظل ينفثه ضد النصارى، الذين حرض عليهم بلسانه، وإذا الجد هو ديدانه، ولم يبق للهو فى حياته مجالاً. فعُين فى أمانة السر التى كان يرأسها أستاذه «ابن الجياب» وزير السلطان «أبى الحجاج يوسف»، الذى علمه خصائص فن الكتابة الديوانية، وأعطاه تقاليد القصر والتعامل فيه، وأعده ليكون خلفا له بعد أن علم بمواهبه العظيمة، وأدرك حسن سياسته وتوقد قريحته، فنال حظوة أستاذه، وسلطانه الذى وكل إليه مقاليد الحكم عند خروجه لخوضه بعض معاركه، وكان يشركه فى تدبير ملكه(٢)، وألحقه بركبه الجهادى، وولاه ديوان الإنشاء بعد وفاة «ابن الجياب»، ومنحه رتبة الوزارة فكان ذلك نقطة تحول فى حياة لسان الدين ابن الخطيب فأصبح كاتب سر السلطان، ورئيس ديوان الإنشاء، وسفيره إلى العدوة المغربية، ونائبه فى المهمات الرسمية، وفى رحلاته التفقدية العديدة إلى أنحاء العدوة الغرناطية.

فألهج لسانه بالثناء عليه، وقد كانت لسفارته ورحلاته التى قام بها فى أرجاء مملكة غرناطة وفى المغرب الأقصى صداها فى ثقل خبراته، وتعميق تجاربه، وزيادة علاقاته وتمكين خبراته، خاصة وقد كان يواكب هذا العمل الشاق

---

(١) الأنيس المطرب بروض القرطاس، على بن أبى زرع ط دار المنصور للطباعـــة والنشـــر بالمغرب ١٩٧٣م، ص٨٩.

- الإحاطة، جـــ٤ ص٤٤٢.

(٢) المصدر السابق، جـــ٤ ص٤٤٣.

جهد متوالى فى التأليف والإبداع لمدة ست سنوات كانت مدة معاصرته للسلطان «أبى الحجاج يوسف» الذى قُتِل، وتولى ابنه «أبو عبد الله محمد الخامس» الذى لقب بـــ «الغنى بالله» مقاليد الحكم، والذى كتب ابن الخطيب بيعته بيده، هذا السلطان الصغير الذى ظل ابن الخطيب مشمولاً بعطفه لمدة خمس سنوات، بل زاد فى إدنائه، وبالغ فى إكرامه وتوسيع اختصاصاته حتى غدا سلطان الحمراء غير المتوج، وقد دان له ابن الخطيب بالوفاء، وعاش ابن الخطيب منعم فى قصور غرناطة وضواحيها يرفل هو وأسرته فى النعيم.

ابن الخطيب ومحنته الأولى

وكان للإطاحة بسلطانه، ونفيه إلى عدوة المغرب حيث الدولة المرينية فى رمضان عام ٧٦٠هـــ-١٣٥٨م، مرحلة تغير وانقلاب تام فى حياة ابن الخطيب فنعيمه تحول إلى بؤس، وأمنه أصبح زعر، ونُكل به، فصودرت أمواله، وزج به فى السجن، بعد تولى «إسماعيل» أخو السلطان الحكم، بعد الثورة التى قادها صهره، وفرار وليه «الغنى بالله» من قصر الحمراء، ولم ينقذه من هذه المأساة إلا شفاعة السلطان المرينى «أبى سالم»، الذى أطلق سراحه ليلحق بسطانه «الغنى بالله» فى المغرب.

ابن الخطيب من المحنة إلى المنحة

وأقام فى المغرب الأقصى ثلاث سنوات نال الحظوة والمكانة، وتنقل فى أرجاء الدولة المرينية، وقام بالعديد من الرحلات فى العديد من مدنها، وقابل أعلامها وعلماءها، وألف كماً هائلاً من مؤلفاته فى رحابها بعد أن استقر فى مدينة (سلا).

إلى أن انقلب الثوار على السلطان «إسماعيل» وأطاحوا به وقتلوه، وساعد السلطان المرينى السلطان «الغنى بالله» على الرجوع إلى ملكه، واسترداده، فأصر على مصاحبة لسان الدين ابن الخطيب صاحب الوزارتين – ديوان الإنشاء وأمانة السر – ليكون مستشاراً ومنفذا لجميع أمور الدولة فى يوم عشرين من شعبان عام

٧٦٣هـ-١٣٦١م، فقام بدور عظيم فى توطيد الملك، وبدور إصلاحى ونهضوى عظيم شمل جميع مناحى الحياة فى مملكة غرناطة، ونشر الأمن والأمان، وقام بتسيير الجيوش لمناجزة الأعداء.

ابن الخطيب من سطوة الملك إلى النفى مرة ثانية:

وكان لنجاحاته وحظوته لدى السلطان أثره فى إثارة الأحقاد، ودخوله فى صراع عنيف ومفتعل جعله يلوذ بالفرار إلى فاس بالمغرب عام (٧٧٣هـ-١٣٧١م)، بعد عشر سنوات من الكفاح والعمل الدءوب لإرساء الملك والسلطان، فأخذ الأمان من السلطان (عبد العزيز المرينى)، الذى أحسن استقباله بعد أن غدر به أعز تلاميذه الذين أسدى لهم كل معروف، وعلى رأسهم «ابن زمرك» و«القاضى أبى الحسن النباهى» اللذان أوغرا صدر سلطانه، واتهماه بالزندقة، وأصدرا وثيقة بذلك، وتتبعاه فى المغرب الأقصى بعد وفاة السلطان المرينى، وحفزا «الغنى بالله» على عقد صفقة لتسليمه أو محاكمته فى غربته الثانية، مقابل تدعيمه «لأحمد بن أبى سالم» ليكون حاكما للمغرب **بعد أن تكفل له بثلاث أشياء:**

تسليم الأمراء المرينين المناوئين لحكم «الغنى بالله»، وتسليم جبل طارق وتسليم ابن الخطيب.

وقاموا بعقد محاكمة هزلية، قام بتولى الحكم فيها شيخ الشورى «سليمان بن داود» ألد أعداء «ابن الخطيب» - الذى أُوغر صدره لعدم استرداده لمكانته بعد رجوع السلطان «الغنى بالله» للحكم - وقضى بالقتل والتمثيل به، ووضع فى السجن حتى يتم تنفيذ الحكم، وفى السجن زُج ببعض المجرمين ليخنقوه فى محبسه فى أواخر عام (٧٧٦هـ-١٣٧٥م)، وعجلوا بدفنه فى باب المحروق بفاس، ولم يكتفوا بذلك بل أخرجوه وأحرقوه ودفنوه فى قبر آخر فى باب المحروق، وبذلك كُتب نهاية علم عظيم من أعلام الأندلس، كان صاحب صولات وجولات فى عوالم السياسة والعلوم والأدب.

فسكنت روحه، وتحركت النفوس الحرة والعيون فبكت عظيما تضن القرون بظهور مثله(١).

وإذا بحقدهم يزيد من مكانته فى النفوس ويجعله يلقب بعد مماته بذى الميتتين وذى القبرين(٢).

كما كان يسمى فى حياته بذى الوزارتين، وذى العمرين بسبب عكوفه نهاراً على تسير أمور الحكم وليلا على التأليف والإبداع، وأحرقته نار الحسد التى شبت فى قلوب حساده، وإن قتلت السياسة وتقلباتها «ابن الخطيب» فقد خلَّد علمه وأدبه وحسن بلاغة نظمه ونثره ذكره.

فها هى الأقلام تتناول أدبه عبر ثمانى قرون، وتردد مأساة فارس مغوار، صاحب سياسة وفكر ورؤى وأدب تحتار فيه الأذهان، ولا تملك إلا الانبهار والافتنان.

❁❁❁❁

(١) كنوز الأجداد، محمد كرد على، طبعة المجمع العلمى بدمشق ١٩٥٠م، ص٣٣٢.

– ابن الخطيب سفيراً ولاجئا سياسياً، عبد الهادى التازى مجلة كليــة الآداب بتطــوان العدد ٢ السنة الثانية ١٤٠٨هـ –١٩٨٧م.

(٢) يراجع: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمــد بــن جعفر الكتانى جـ٣ص١٨٨.

– يوسف الأول (أبو الحجاج) ابن الأحمر سلطان غرناطة، تأليف محمد كمال شبانه مجلة دعــوة الحق العدد الخامس السنة الحادية عشر ١٣٨٨هـ–١٩٦٨م، ص٥٨–٧٣.

المبحث الأول
معيار الاختيار عرض وتوصيف

عتبات النص :

العنوان يبئر عنوان النص وبنيته التركيبية لموضوع النص ومبناه.

فالعنوان يسيطر عليه ألق ذكريات المكان فى حالى الحل والترحال، كما يسيطر وصف المدن على محتواه، ويثير تساؤلاً يجذب انتباه المتلقى فى زمن ومحيط ثقافى ازدهر فيه الأدب الجغرافى، وحب الرحلة والتجوال، فيثير شوقه لمعرفة هذا المعيار، الذى يضئ لنا تلك البلدان فى حالى الحل والترحال.

كما يسيطر على بنية العنوان كل من السجع والجناس والتوازن وترديد حرف الراء، مما يدل على البنية الجمالية والموسيقية والبديعية التى تسيطر على البناء الفنى للنص، وتميز قالبه الفنى.

كما توحى كلمة (ذكر) بالحكى السردى الذى يميز هذا النص ويميز قالبه الفنى.

سياق النص: أورد ابن الخطيب نصه كمؤلف مستقل، كما أدرجه فى مؤلفه «ريحانة الكتاب» فى باب المقامات[١] ضمن سياق قوله: «ومن ذلك كلامٌ فى

---

(١) «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق، د. عبد الله عنان جـ٢ من ص٢٨٠ :٣١٢.

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس «مجموعة من رسائله»، نشر وتحقيق أحمد مختار العبادى، ط مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨م، ص٦٩: ١١٤.

- وفى مؤلف مستقل قام بتحقيقه محمد كمال شبانة وصدره بدراسة عن الكتاب اهتم فيها بالمنحى التاريخى الذى يخدم تخصصه وإن طوف بإلمامة سريعة عن قالبه الفنى. وهوالمصدر الأساسى الذى اعتمدت عليه الدراسة بالإضافة إلى ما سبق.

- يراجع: معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار، للمؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة ط مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

الرحلة»[١]، ومن ذلك ما صدر عنى من المقامات فى هذا الغرض»[٢]، ومن ذلك الكتاب المسمى «بمعيار الاختيار»[٣].

ومن خلال السياق الذى أورد فيه كاتبنا هذا النص أدرجه ابن الخطيب ومن كانوا يشاركونه أفقه الثقافى ضمن المقامة وضمن الرحلة.

واعتبروه من أدب الرحلة الذى يصف المدن من خلال شد الرحال والمشاهدة والمعاينة لها.

واعتبروه من المقامة لأنه يتقارب مع التشكيل الخاص لمقامات «الهمذانى» و«الحريرى« ومن حذا حذوهم وإن اختلف الموضوع. لأنه نمط من الخطاب يتميز بإسناد القول فيه إلى شخصيات تخيلية، يتوارى فيها المؤلف ليفسح المجال للشخصيات التى ينطقها بما يطابق شخصيتها؛ ولذا كان للسرد فيه دورٌ بارزٌ.

محتواه :

يحتوى معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار، على مجلسين كما سماهما المؤلف[٤].

المجلس الأول: يتحدث عن أهم مدن مملكة غرناطة بالأندلس .

المجلس الثانى: يتحدث عن أهم مدن مملكة بنى مرين بالمغرب

والجامع بينهما هو:

أولاً: الموضوع: وصف المدن فى العدوتين الغرناطية والمغربية.

ثانياً: الراوى: واحد فى المجلسين.

ثالثا: البطل: واحد فى المجلسين.

رابعا: ظهور البطل فجأة واختفائه فجأة فى المجلسين

---

(١) معيار الاختيار، جـ٢ ص٢٦٤.

(٢) المصدر السابق، جـ٢ ص٢٧٠.

(٣) المصدر السابق، جـ٢ ص٢٧٩.

(٤) ريحانة الكتاب، جـ٢ ص٢٨٠.

خامساً: شعور الراوى بالحزن الشديد لاختفاء البطل وفراقه مما يدل على شغفه بالمعرفة وحرصه على الاستفادة والإفادة.

سادساً: تضمينهما فى كتاب واحد وعدهما مجلسين مترابطين، لا تتم معرفة البطل، ولا فهم العديد من الأحداث فى المجلس الثانى إلا بالمعرفة السابقة له فى المجلس الأول، مما يوحى بالترابط السياسى والاجتماعى والفكرى والحضارى والأدبى بين العدوتين «الغرناطية» و«المغربية»، اللتين وحدهما كانتا فى مواجهة العدو الواحد من النصارى، ووحدة الهدف وهو نصرة الإسلام وصمود دولته وتوطيدها فى مواجهة العدو مما يمثل تحالفا سياسياً، خاصة وأن العدوتين يمثلان مرحلتين من مراحل حياة كاتبنا ابن الخطيب.

ويعتبر معيار الاختيار أوسع عمل من أعمال لسان الدين؛ حيث ضم بين طياته وصف لعدد كبير من أهم المدن الأندلسية (الغرناطية) والمغربية (المرينية) فى القرن الثامن الهجرى إذ يبلغ عدد المدن التى تناولها سبع وخمسين مدينة[١].

---

(١) ذكر الدكتور العبادى فى استعراضه أن عدد المدن التى وصفها معيار الاختيار اثنتين وخمسين مدينة أربع وثلاثون مدينة غرناطية، وثمانى عشرة مدينة مغربية، وذكر الدكتور محمد شبانة أن عدد المدن التى وصفها أربع وخمسين مدينة، خمس وثلاثون غرناطية، وتسع عشرة مدينة مغربية.

ومع اعتماد الدراسة على كتاب معيار الاختيار تحقيق محمد شبانة بالإضافة إلى كتاب مشاهدات ابن الخطيب للعبادى، وجد البحث أن الدكتور العبادى على الرغم من أنه أورد (خمس وثلاثين مدينة غرناطية)، إلا أنه عند الحصر أدرج «بليش مالقة» مع مدينة «مالقة» على أنهم مدينة واحدة، وبالاطلاع الدقيق على نصوص وصف المدن تبين بالبحث فى المدن الأندلسية أنه عند وصف مدينة (شلوبانية) التى سأل عنها الراوى الشيخ (البطل) قد تطرق الشيخ إلى وصف مدينة تقع بالقرب منها وخصها بوصف تام ألا وهى مدينة (مترايل)، ولم تدخل فى الإحصاء لديهما.

وعندما سئل الراوى الشيخ عن مدينة «أليرة» قرنها بوصفه لمدينة تتفق معها وتتشابه ألا وهى مدينة (منتفريد) مع أن كلاهما قد أوردهما (أليرة ومنتفريد). =

وهو ما لم يتوفر فى أى مؤلف من مؤلفاته التى خصها بفن الرحلة أو وصف البلدان.

المجلس الأول:

يبدأ المجلس الأول: **بتمهيد** يبدؤه المؤلف بحمد الله الذى انفرد بصفات الكمال والجلال، المنزه عن أى خلل، الذى يُعتمد عليه فى العطاء، جاعل الأرض متغايرة كسكانها من حيث الموقع والهيئات والأوضاع والصنائع والأعمال، فمن قام خيره بشره من تلك البلدان دخل تحت الاعتدال، ومن زاد شره على خيره كان أهلاً للرحيل عنه والانتجاع، ومن زاد خيره على شره وجب إليه الرحيل وشد الرحال، والذى أبت حكمته إلا اغتباط الناس بأوطانهم أيّاً كانت، وتمسكهم بها لاعتمار ربع الشمال، وتفئ أكنافه عن اليمين والشمال إلى يوم يدعو الداعى إلى يوم الحساب. ثم يصلى على الرسول الكريم الذى أنقذ بدعوته الناس من ظلمات الضلال، وميز بها الحلال من الحرام، ودعى بالرضا لصحابته وآله الصادقين(١).

وهو من خلال حمده لله الذى ينزهه عن أى خلل أو نقصان، يحمده على التغاير الذى خلق عليه الأرض وسكانها، والتنوع والاختلاف، وعلى حكمته فى ما

= ومن هنا زاد عدد المدن الأندلسية من خمس وثلاثين مدينة عند شبانة، ومن أربع وثلاثين عند العبادى إلى سبع وثلاثين.

أما المدن المغربية فلم يذكر شبانة مدينة «تلمسان» فى حصره للمدن المغربية وإن كان قد أوردها كآخر مدينة مغربية فى تحقيقه، والتفت إلى فصل (فاس القديمة) عن (فاس الجديدة مدينة المُلـك) لأن الشيخ عندما طلب الراوى منه وصف (فاس) ولم يحدد، وصف المدينتين، وليس مدينة واحدة (فاس القديمة)، و(فاس الجديدة) مدينة الملك، ولكل مدينة خصائصها وسماتها وسمات قاطنيها.

فزادت المدن المغربية مدينتين عما ذكره العبادى؛ لأنه لم يدرج مدينة «تلمسان» فى مشـاهداته ولم يفصل بين (فاس القديمة) و (فاس الجديدة)، وزادة مدينة واحدة عند شبانة.

يراجع معيار الاختيار، تحقيق شبانة ص٤٤-٤٥، ٩٧، ١٢٥، ١٨٣، مشاهدات ابـن الخطيـب، للعبادى ص١٢، ٧٨، ٨١، ٨٦، ٩٣، ١١٠، ١١٢.

(١) يراجع: ريحانة الكتاب ،ص٢٨٠، معيار الاختبار، تحقيق محمد كمال شبانة ص٧١.

جبل عليه الناس من حب الأوطان مهما وسمت به من صعوبة التضاريس أو المناخ أو سوء الأحوال.

فيمهد بسلاسة ودقة وحذق الأديب المبدع إلى موضوعه الذى يصف من خلاله المدن التى اطلع عليها واختلف إليها وشاهدها، ويبين مميزاتها وعيوبها بحس الأديب الرحالة الناقد والخبير الموضوعى النظرة، البعيد عن النعرة، ويبين سبب تمسك أهل المدن التى زاد شرها عن خيرها عن شد الرحال عنها والرحيل منها؛ بالغريزة التى وضعها الله فى خلقه من اغتباط الناس بأوطانهم، وارتباطهم بها لكى تعمر الأرض مهما تنوعت ضروبها، وقلَّت ثرواتها وقسى مناخها، وتبددت سبل الحضارة والعمران فى أرجائها حيث يقول: «الحمد لله الذى انفردت صفاته بالاشتمال على أشتات الكمال، والاستقلال بأعباء الجلال المتنزه عن احتلال الحلال، المتصفة الخلال بالاختلال، المعتمد بالسؤال لصلة النوال، جاعل الأرض كسكانها متغايرة الأحوال، باختلاف العروض والأطوال، متصفة بالمحاسن والمقابح عند اعتبار الهيئات والأوضاع والصنائع والأعمال على التفصيل والإجمال...»[(١)].

ثم يبدأ يدخل فى الموضوع على نسق أسلوب الخطبة والرسالة بأسلوب خطابى سردى مباشر يوجه حديثه فيه للمتلقى بطريقة مباشرة داعيا له بالسعد، وبزوال الصعب، ثم يبين أهم أساس من أسس علم الاجتماع والمجتمعات ألا وهو التنوع والتكامل، وأثر البيئة على قاطنيها، وأهمية اختيار الإنسان للمدينة التى يقطنها وينزل بها، ويكون فيها قراره واستقراره ومعاشه ومآله على أسس ومعايير

---

(١) ريحانة الكتاب، ص٢٨٠، معيار الاختبار، ص٧١، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ص٦٩.

- معيار الاختيار، ص٧٢.

ثابتة، وفكر ثاقب، بأن يختار من المدن ما كان مساوئها إلى محاسنها تغتفر؛ لأن الكمال فاضح للآمال ولله در القائل[١]:

ومن ذا الـــذى ترضـــى ســـجاياه كلـــها كفـــى المـــرء فضـــلاً أن تعـــد معايبـــه[٢]

ثم يستعرض كاتبنا الحديث الذى حدثه به محدثه (الراوى)، الذى لم يهتم باسمه أو رسمه، ولكن اهتم بوسمه بكونه يهتم برواية الأخبار، وصقل الحكم وانتقاء الأسمار، وتخليد الآثار، ويتصدر المجالس، ويصف شموس وبدور الآفاق، ويبدع حلل الكلام، والطُرف يهديها ويظهر الخفيات ويبديها، والذى جرى معه ذكر البلدان قائلا: «وبحسب ذلك حدَّث من يُعنى بالأخبار ينقلها، والحكم يصقلها، والأسمار ينتقيها، والآثار يخلدها ويبقيها، والمجالس يأخذ صدورها، والآفاق يشيم[٣] شموسها وبدورها...، وقد جرى ذكر البلدان، وذكر القاصى والدان، ومزايا الأماكن وخصائص المنازل والمساكن، والمقابح والمحاسن، والطيب والآسن»[٤].

ويورد حديث محدثه (الراوى) الذى يروى ما جرى بينه وبين العالم (الحبر) الذى جاب البلاد، العالِم بالبلدان، القادر على تقييم المدن وذكر مزاياها ومساويها من خلال عقل واع حكيم، وبلاغة أديب أريب، ألم بكل الفنون، وطاف بكل البلدان والضروب، والذى هو بطل المجلسين من خلال قالب قصصى حوارى

---

(١) القائل: هو «على بن الجهم» الشاعر العباسى، وكان من علية القوم، وجمعته صداقة قوية بـــ «أبى تمام» وعاش ما بين سنة ١٤٨-٢٤٦هـــ ويتسم شعره بالقوة والجزالـــة، وتميـــز بوصـــفه للطبيعة وحوادث التاريخ.

- يراجع: المنتحل، للثعالبى تحقيق الشيخ أحمد أبو على ط المطبعة التجارية بالإســـكندرية ١٣١٩هـــ -١٩٠١م، ص١٠٠.

- ديوان على بن الجهم، عنى بتحقيقه خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية ســـابقا ط الثانية منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان ١٤٠٠هـــ -١٩٨٠م، ص١١٨.

(٢) معيار الاختيار، ص٧٢.

(٣) يُشِيم: يَعْلَمُ يقصد أنه ذو دراية بمطالع الشمس والقمر فى هذه البلاد.

(٤) معيار الاختيار، ص٧٢.

سردى يجمع بين الوصف للزمان المكان والشخصيات والسرد للأحداث والحوار الذى دار بين العديد من الشخصيات.

ويبدأ بتحديد الراوى للزمان الذى جرى فيه الحدث وهو «منتصف الليل الذى حدده بوصفه البديع الذى يعكس ما يدور فيه من مخاطر ليعكس لنا أهمية المكان وما كفله لقاطنيه من الأمان؛ حيث يقول: «قال الراوى – ضمَّنى الليل وقد سدل المُسَحَ راهبه، وانتهب قرصة الشمس من يد الأمس ناهبه»، ودلفت جيوشه الحبشية وكتائبه، وفتحت الأزهار بشط المجرة كواكبه، وجنحت الطيور إلى وكونها، وانتشرت الطوافات بعد سكونها، وعوت الذئاب فوق هضابها، ولوحت البروق ببيض عضابها وباهت الكف الخضيب بخضابها وتسللت اللصوص لانتهاز فرصها، وخرجت الليوث إلى قسمها وحصصها فى مناخ رحب المنطلق»[١].

فإذا هو مصورا إياه تصويرا فنيا بديعاً حياً نابضاً بالحياة، مترعا بالحركة والصوت والصورة، ويصور المكان الذى هو استراحة من الاستراحات العديدة التى كانت تنتشر فى الطريق بين المدن الأندلسية أو عند مشارفها، وتفتح أبوابها للطارقين أياً كانت هويتهم ومنحاهم، والذى يتسم بالاتساع والرحابة، وتوفير الأمن والانطلاق لقاصده، فهو وثيق الغلق عالى الأسوار والأسقف، فهو مأوى الطريد، ومحراب للعابد، ومرابط خيل البريد، ومكان وبيئة خصبة لتسكع الشيطان المريد لما فيه من الملاهى، فهو يؤمه أصناف شتى من الناس، مختلفى السلوك والنزعات، فيعمق وصفه للزمان أهمية المكان، الذى هو الملاذ للأمن على النفس والمال فى هذا المكان الممتد المترع بعواء الذئاب وتسلل اللصوص وبرق ورعد السماء وافتراس الأسود إذ يقول:

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٣.

« فى مناخ رحب المنطلق، وثيق الغلق، سامى السور كفيل بحفظ الميسور، يأمن به الذعر خائفه، وتدفع معرة السماء سقائفه، يشتمل على مأوى الطريد، ومحراب المريد، ومرابط خيل البريد، ومكاسع الشيطان المريد »[١].

ويصور الراوى (القيم على المكان) ويرسم صورة نفسية وخلقية لمن يديره ويركز على سلوكياته وتصرفاته التى تتناسب وتتلائم فى انسجام بديع مع طبيعة المكان وآميه، ولمن يقوم بالاستضافة فيه، فهو «كثير البشاشة»، لطيف الحشاشة، قانع بالمشاشة[٢].

ثم يصف النزلاء والمرافقين الذى اتسموا بالرفق والألفة الذين جعلوا الراوى يزيح بينه وبينهم الكلفة بعد أن أشبع جواده، ووجد من يهتم به وبمطيته.

ويرمق الراوى فى بعض سقائف الخان شيخاً آمنا وقوراً فى زى خائف لعدم أُلفته للمكان، ثم يصف شكله وملامحه بجانب تصويره لنفسيته وزاخر علمه وحكمته ليعمق شكله وهيئته.

ومن خلال وصفه ما يحيط به، تظهر شخصية جديدة لها دورها فى شحذ قريحة البطل، وإثارته ليظهر جل ما عنده، وهو تلميذه وغلامه المراهق.

ويصف لنا الراوى اطمئنان الشيخ للمكان، وتردد غلامه على قيم الخان، وتصرف الشيخ عندما أحضر رسوله ما يهواه؛ مما أثار قريحته، ورفع صوته منشداً أبيات يشتكى ويتحسر فيها على ذهاب الشباب، ويدعو الله أن يُشَفِّع فيه شيبه ولا يحرمه الزلفى وحسن المآب.

---

(١) المصدر السابق، ص٧٣.

(٢) المشاشة: رأس العظم اللين، وقانع بالمشاشة: كناية عن قناعته ورضاه بالقليل.
– معيار الاختيار، ص٧٣.

ثم أنينه الذى أشفق عليه منه القوم وحن عليه، وقال فى زهد وقد اكتنفته رعشة: «على الدنيا سلام وتحية، فلقد نلنا الأوطار وركبنا الأخطار، وأبعدنا المطار وافترقنا الأقطار وحلبنا الأشطار»(١).

ويقص علينا الراوى ما دار بين الشيخ وفتاه من حوار إثر مقولته هذه ويركز فى تصويره للفتى على بلاغته التى أفترت عن الدر شفتاه، وكونه مستثيراً لشجون الشيخ ومظهراً لهمومه فى دلال بسؤاله عما بلغه الشيخ من أمد الحياة أو رفع من عمدها؛ ليسمع منه الحديث الذى يثير الإعجاب، ويُظهر ما يستره من فنون وعلم وآداب.

ونجاح الفتى فى استثارة حميته من خلال استنكار الحبر (الشيخ) على فتاه أن يخاطب بمثل هذا الخطاب وهو قطب من الأقطاب الذين يشار إليهم بالبنان، فيقسم – بأيم الله – أنه قد عاش الحياة بطولها وعرضها يعقد حلقات العلم، ويفك الغلق من العلم والنساء، وخاض وأطلق العنان لصبوته، وحذق الفنون وداوى الجنون، وقضى الديون، وأصابته العيون بسهامها فوقع فى إثر حبها، وكان له مغامرات وصولات وجولات، وأقدم على اقتحام المهالك والمكاره والصعاب، وجاب البلاد وشارك فى الحروب والجهاد، وأقام فى شتى البلاد، فاستفاد من الهند والصين العقل الرصين، وحذق من الرومان اللغة اللاتينية، واطلع على عجائب الدنيا، ماراً باليمن وشرق الجزيرة وبلاد العراقيين (فارس والعراق) وشرب من ماء الرافدين، ووقف فى الكوفة فى المكان الذى وقف فيه الحكمين أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص.

وفى بغداد حيث تقابل بالتركمان، والقدس وبلاد العليا بعد أن طاف بالبيت الشريف، وحصل بطيبة فى جنوب الصعيد على الخصب والريف، وقرأ على علم التصريف فى مدينة أخميم ماراً بالفسطاط الرحب الاختطاط، وسكن مدينة

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٤.

الإسكندرية ثغر الرباط ماراً بجزيرة تكرور، ووقف بأشبانية على الهيكل المزور، وحصل فى أفريقيا على الرِفْد واستدار إلى المغرب، ورابط بالأندلس ثغر الإسلام، وصار علم من علمائها.

ويتأوه على عمره الذى انقضى وخَلَّف مضض وحسرة، وعلى زمن انقضى وشمل تفرق، ثم أجهش ببكائه وأعلن اشتكائه وأنشد بكائيته النونية(١).

لبسنا فلــم نلــل الزمــان وأبلانــا ∴ يتابع أخرانــا علــى الغــى أولانــا

.. ..

فيارب عاملنــا بمــا أنــت أهلــه ∴ من العفو واجبر صدعناأنت مولانا(٢)

ثم قال:

لقــد مــات إخــوانى الصــالحون ∴ فمالى صــديقٌ ولا لــى عمــادُ

إذا أقبــل الصــبح ولَّــى الســرور   وإن أقبل الليل ولَّــى الرقــادُ(٣)

ويسرد الراوى مشاعره تجاه «الحَبْر»، وما أثاره كلامه من هزة وانفعال ورقة له، يظهر صداها فى تصرفه باندفاعه إليه إندفاعاً أنكره وعكر صفوه، ومحاولة الراوى توضيح اللبس وبيان حسن القصد، وامتصاص غضبه ببيان تقديره له، وأن اندفاعه إليه اندفاع حب وحنين وأُنس، واهتداء واستضاءة بعلمه الغزير، وإنه ذو خلق يؤهله لأن يَشْرُف بالاستماع إلى فيض علمه.

فيسرد الراوى تَفكُّر الشيخ فيما قاله، وتأكده من حسن خبيئته، مما بدل غضبه تبسم وسماحة، واسترسل فى تناول شتى الفنون والحكم والأحاديث وذكر البلدان وأخبارها، مبينا أنه أتى بما لا تستطعه الأوائل ولا الأواخر.

---

(١) أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض، للمقرى جـ١ص١٠٦.

(٢) معيار الاختيار، ص٧٧.

(٣) معيار الاختيار، ص٧٧.

ثم يبين الراوى أنه بعد أن ذهب الخجل والوجل، وطال المروى والمرتجل وقارب الليل على الانقضاء، اغتنم الفرصة ليخصه الحبر بعارفة من معارفه يقتنيها ألا وهى: «وصفه للبلاد الأندلسية» من أطرافها وبيان اعتدالها وانحرافها، ثم إتباع ذلك بوصفه للمدن المغربية (المرينية) وصفاً جلياً يتوخى فيه الإنصاف والموضوعية، فإذا هو يتناول الموقع الجغرافى لكل مدينة، ومكانتها الحضارية والتاريخية، وحالة ساكنيها الاجتماعية، وبيان مواردها الاقتصادية فيعطينا صورة جلية إلى حد بعيد عن كل مدينة من خلال سرد الراوى لما دار بينه وبين (الحَبْر) من حوار، بتحديد واختيار الراوى للمدينة التى يريد أن يصفها له، واستجابة الحَبْر له بسرده لأهم ما تتسم به.

وقد افتتح وصفه للمدن الأندلسية بجبل طارق (جبل الفتح)، إثر قول الراوى: «واجل بنور بيانك غسقاً، وهات ما تقول فى جبل الفتح»(١). إذ قال واصفاً مبيناً أهمية موقعه بأنه: «فاتحة الكتاب من مصحف ذلك الإقليم، ولطيفه السميع العليم، وقصص المهارق، وأفق البارق، ومتحف هذا الوطن المباين للأرض المفارق، مأهل العقيق وبارق، ومحط طارقها بالفتح طارق، إرم البلاد التى لم يخلق مثلها فيها، وذو المناقب التى لا تحصرها الألسنة ولا توفيها، حجزه البحر حتى لم يبق إلا الخصر فلا يناله ضيق ولا حصر، وأطل بأعلاه قصر، وأظله فتح ونصر، ساوق سوره البحر فأعياه، قد تهلل بالكلس محياه، واستقبل الثغر الغريب فحياه، واطرد صنع الله فيه من عدو يكفيه، ولطف يخفيه وداء عضال يشفيه، فهو خلوة العُباد، ومقام العاكف والباد، ومسلحة من وراءه من العباد، وشقة القلوب المسلمة والأكباد، هواه صحيح، وثراه بالخزين شحيح، وتجر الرباط فيه ربيح، وحماه للمال والحريم غير مبيح، ووصفه الحسن لا يشان بقبيح، إلا أنه –

(١) معيار الاختيار ، ص٨٢.

والله يقيه مما يتقيه- بعيد الأقطار، ممار بالقطار[١]، كثير الرياح والأمطار، مكتنف بالرمل المخلف، والجوار المتلف، قليل المرافق معدوم المشاكل والمرافق، هزل الكراع لعدم الازدراع، حاسر الذراع للقراع، مرتزق من ظل الشراع، كورة دبر[٢]، ومعتكف أز وصبر، وساكنه حى فى قبر.

هو الباب إن كان التزاور واللقيا وغوث وغيث للضريح وللسقيا[٣]

فإن تطرق الأيام فيه بحادث واعزز به قلنا السلام على الدنيا[٤]

فإذا هو من خلال وصفه يحيط بالمظاهر الجغرافية مصوراً موقع وطبيعة البلاد التى ذكرها ومناخها، وما يعتريها من الأنواء، وأثر ذلك على حياتها وحياة قاطنيها ويظهر ذلك جليا فى وصفه السابق لجبل طارق «حجزه البحر حتى لم يبق إلا خصر، فلا يناله – من غير تلك الفرصة – ضيق ولا حصر، وأطل بأعلاه قصر، وأظله فتح من الله ونصر، ساوق سوره فأعياه، قد تهلل بالكلس[٥]، محياه واستقبل الثغر الغريب فحياه»[٦]، وقوله فيه: « إلا أنه والله يقيه مما يتقيه – بعيد الأقطار، ممار بالقطار، كثير الرياح والأمطار مكتنف بالرمل المخلف، والجوار المتلف»[٧]، ويصف الخلال النفسية والأخلاقية لسكانه بقوله: «واطرد صنع الله فيه

---

(١) القطار: السحاب الكثير المطر.

(٢) الدبر: جماعة النحل والزنابير.

(٣) البيتان للسان الدين ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، جـ٢ ص١٨٢.
– ومعيار الاختيار، ص٨٣.

(٤) المصدر السابق، ص٨٣.

(٥) الكلس: مصدر كلس يكلس كلساً وهو: من كلس البناء: أى طلاه بالكلس، وهو الجير. يراجع: معجم المعانى الجامع (عربى – عربى) ويراجع: www.ar،d,ct،ae،Almaany.com.

(٦) معيار الاختيار، ص٨٣.

(٧) المصدر السابق، ص٨٢.

من عدو يكفيه، ولطف يخفيه، وداء عضال يشفيه فهو خلوة العباد ومقام العاكف والباد، ومسلحة من وراءه من العباد، وشقة القلوب المسلمة والأكباد[١].

ويتعرض لأحواله وأنشطته الاقتصادية والعمرانية قائلا: «هواه صحيح، وثراه بالخزين شحيح، وتجار الرباط فيه ربيح»[٢] «قليل المرافق، معدوم المشاكل والمرافق، هزل الكراع لعدم الأزدراع، حاسر ومعتكف أز وصبر، وساكنه حى فى قبر»[٣]، ويوضح مناعته بقوله: «وحماه – للمال والحريم – غير مبيح »[٤].

وعلى هذا النهج يتناول المدن الأندلسية مدينة إثر مدينة مسترسلا بعد «جبل الفتح» بـ «أسطبونة»، فـ «مربلة»، فـ «سهيل»، فـ «مالقة»، فـ «بليش مالقة»، فـ «قمارش»، فـ «المنكب»، فـ «شلوبانية»، فـ «مترايل»، فـ «برجة»، فـ «دلاية»، فـ «المرية»، فـ «طبرنش»، فـ «بيرة»، فـ «مجاقر»، فـ «قنتورية»، ف«برشانة»، فـ «أورية»، فـ «بليش الشقراء»، فـ«بسطة»، فـ «أشكر»، فـ «أندرش»، فـ «شبالش»، فـ «وادى آش»، فـ (فنيانة»، فـ «غرناطة»، فـ «الحمة»، فـ «صالحة»، فـ «أليرة»، فـ « منتفريد»، فـ «لوشة»، فـ «أرجذونة»، فـ «أنتقيرة»، فـ «ذكوان»، فـ «قرطمة»، حتى ينتهى بمدينة «رندة» غير متقيد بترتيب فى تناوله لتلك المدن، لا وفقا لأهمية المدينة وشهرتها، ولا لترتيبها الجغرافى من حيث الموقع كما هو معتاد فى تقسيم البلاد إلى أقاليم: إقليم شرق الأندلس «وغربها» وجنوبها...، ولا وفقا للترتيب التاريخى أو الحضارى بعد الفتح الإسلامى أو قبله ولا السياسى والاقتصادى.

---

(١) معيار الاختيار،ص٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص٨٣.

(٤) المصدر السابق، ص٨٢-٨٣.

فمدينة «غرناطة» التى هى دار الحكم والعاصمة التى تسمَّت مملكة «غرناطة» باسمها، وأوسع المدن الأندلسية شهرة تاريخياً وحضارياً، تأتى فى الترتيب السابع والعشرون، بينما يأتى «جبل طارق» فى الترتيب الأول، وتأتى «أسطبونة» و«مربلة» و«سهيل» و«مالقة» فى الترتيب الثانى والثالث والرابع والخامس.

ويبدو عدم الالتزام بالترتيب الجغرافى بكونه يتبع «مالقة» بـــ «بليش مالقة» وهى فى الغرب منها، و«بليش» بـــ «قمارش» وهى بالقرب من غرناطة، وإذا كان قد جمع فى البداية بين خمس مدن على ساحل البحر المتوسط « جبل طارق – اسطبونة – مربلة – سهيل – مالقة» فهو لم يستمر فى تناول المدن الساحلية، حيث قدم «أبليش» و«قمارش» وأتى بهما فى الترتيب السادس والسابع، وهما ليستا مدينتين ساحليتين، بينما يأتى (بالمنكب) فى الترتيب الثامن وهى مدينة على ساحل البحر المتوسط، ويبدو أن استعراضه للمدن كان كسراً للتوقع لدى القارئ؛ للاستمرار فى شد انتباهه حتى النهاية، فهو يوزع أهم المدن الغرناطية على طول استعراضه للسبع وثلاثين مدينة.

فهو لم يقدم أو يؤخر فى ترتيب المدن التى كثف حديثه عنها وركزه، أو المدن التى أسهب فى وصفها، أو المدن التى لم يكثف أو يسهب فيها فى أثناء عرضه، ولكنه كان يراوح بينها.

ويبدو أن الإسهاب فى وصف تلك المدن، أو الإيجاز والتكثيف، أو التوسط بينها، كان وفقا لأهمية المدينة فى المجال السياسى والعمرانى والاجتماعى، وما تتميز به عليه من طبيعة وثروة.

ولذلك لم يكن الحديث عن المدن الأندلسية حديثا متكافئا متساويا فى حجمه كما أشار إلى ذلك محمد مسعود جبران، بقوله: «لم يكن حديث البطل عن البلاد الأندلسية والمغربية... متكافئاً متساوياً فى حجمه، وإنما هو حديث يراوح بين الطول والاختصار والبسط والاقتضاب بحسب طبائع الأقاليم»(١).

ولذا احتلت «غرناطة» الصدارة فى الاسترسال فى الحديث عنها فكانت أطول النصوص(٢) التى أرخى فيها العنان لوصفه؛ ليصور لنا جمالها الآسر الذى ملك عليه خوالجه والذى طغى على سلبياتها.

يليها «مالقة»(٣)، و«المرية»(٤)، ثم «جبل طارق»(٥)، ويليه «برجة»(٦)، و«المنكب»، و«بسطة»، و «وادى آش»(٧).

وقد كان أقصر وصف هو وصفه لثانى مدينة تناولها مدينة «اسطبونة» بإحدى عشرة كلمة قائلا: «ذهب رسمها وبقى اسمها، وكانت مظنة النعم الغزيرة، قبل حادث الجزيرة»(٨).

---

(١) فنون النثر الأدبى فى آثار لسان الدين ابن الخطيب، محمد مسعود جبران، ط الأولى، ط دار المدار الإسلامى، بيروت – لبنان ٢٠٠٤م جـ١ص٤٩٦.

(٢) يراجع معيار الاختيار،ص١١٣: ١٢٤ حيث يمتد الوصف ليبلغ ما يقارب من اثنين وخمسين سطراً.

(٣) يراجع المصدر السابق،ص٨٧ : ٩٢، ويمتد ليبلغ ما يقارب من سبعة وثلاثين سطراً.

(٤) يراجع المصدر السابق،ص١٠٠: ١٠٣، ويبلغ الوصف خمسة وعشرون سطراً.

(٥) يراجع المصدر السابق،ص٨٢–٨٣، ويبلغ الوصف تسعة عشر سطراً.

(٦) يراجع المصدر السابق،ص٩٨: ٩٩، ويصل الوصف إلى سبعة عشر سطراً.

(٧) يراجع المصدر السابق،ص١٠٩: ١١٠، ص١١٢: ١١٣؛ حيث يقارب وصفها أربعة عشر سطراً.

(٨) المصدر السابق، ص٨٣.

يليها فى القصر وصفه لمدينتى «أليرة» و«منتفريد»[١]. باثنين وعشرون كلمة، واللتين أوردهما بعد تسع وعشرين مدينة غرناطية، حيث يقول: «بلد ارتفاق[٢]، بإجماع واتفاق، معدن البر الزكى، والصيد الذكى، وهدٍ شاهق، ومصرخ ومصرخ ناهق، ومعدن برٍ فائق إن لم يعق – من عدو القلعة – عائق»[٣].

فـ «فنيانة» التى أتت بعد وصف خمس وعشرون مدينة، والتى لم يتعد وصفها سطرين «مدينة، وللخير خدينة، ماشئت من ظبى غرير وعضب طرير[٤]، وغلة حرير، وماء نمير، ودوام للخزين وتعمير، إلا أن بردها كثير، وودقها نثير، وشرارها لهم فى الخيار تأثير»[٥].

والتى أردفها بوصفه لمدينة «غرناطة»[٦] التى أسهب وأفاض فى وصفها قائلاً: «حضرة سنية، والشمس بها عن مدح المادح غنية، كبرت عن قيل وقال،

---

(١) ذكر الدكتور، محمد مسعود جبران أن أقصر النصوص فى المجلس الأول ما ذكره فى «اسطبونة» يليه «مربلة»، و«دلاية» وليس ما ذكره دقيقا فـ«مربلة» يأتى ترتيبها الخامس من حيث القصر، يسبقها «أليرة» «فنيانة» و«مجاقر»، وليس الثانى، وكذلك «دلاية» هى فى الترتيب الثامن من حيث القصر، وليس الثالث؛ لأنه يسبقها بالترتيب بعد «مربلة» «صالحة» و «شابلش»، يراجع: فنون النثر الأدبى فى آثار لسان الدين ابن الخطيب، جـ١ص٤٩٦.

(٢) ارتفاق: استقرار واعتماد.

(٣) معيار الاختيار، ص١٢٥، وتقع المدينتان شمال مدينة «لوشة» مسقط رأس ابن الخطيب وارتفاق: استقرار واعتماد.

(٤) عضب طرير: سيف ذو حدٍ مرهف.

(٥) معيار الاختيار ،ص١١٣، مدينة «فنيانة» تقع ضمن مقاطعة المرية على مسافة ٣٠ كم جنوب شرق وادى آش.

– يراجع الروض المعطار، للحميرى نشرليفى بروفنسال ليدن ١٩٣٨ ص١٧٢، حاشية (٢).

(٦) هى: granada معناها «الرمانة» وهى: شعارها التاريخى، تقع فى وادى عميق، يمتد من المنحدر الشمالى الغربى لجبال «سييرانيفادا» ويحدها من الجنوب نهر «شنيل» فرع الوادى الكبير، ويخترق فرعه المدينة من الوسط وإلى يمينه يقع حى البيازين، ومعظم المدينة الحديثة، =

وجالت عن وامق[١] وقال[٢]، وقيدت العقل بعقال، وأمنت حال حسنها من انتقال، لو خيرت فى حسن الوضع[٣]، لما زادت وصفاً، ولا حكمت رصفاً، ولا أخرجت بها ريحاناً ولا عصفا، ولا أخذت بأشتات المذاهب، وأصناف المواهب حدا ولا وصفا، كرسيها ظاهر الإشراف، مطل على الأطراف، وديوانها مكتوب بآيات الأنفال والأعراف، وهواؤها صاف، وللأنفاس مصاف، حجبت الجنوب عنها الجبال، فأمن الوباء والوبال، وأصبح ساكنها غير مبال، وفى جنه من النبال، وانفسحت للشمال، واستوفت الشروط على الكمال، وانحدر منها مجاج الجليد على الرمال. وانبسط بين يديها المرج الذى نضرة النعيم لا تفارقه، ومدارى النسيم تفلى بها مفارقه، ريع من واديه بثعبان مبين[٤]، إن لدغ تلول شطه تلها للجبين، وولدت حيات المذانب عن الشمال واليمين، وولد منها للبات سلوكاً تأتى من الحصباء بكل در ثمين، وترك الأرض مخضرة، تغير من خضراء السماء ضرة، والأزهار مفترة، والحياة الدنيا بزخرفها مغترة.

= وتقع قصبة الحمراء فى الجهة الأخرى، وقد سقطت غرناطة بالتسليم فى يد الملكين الكاثوليكيين «فرنادو» و«ايزابيلا» فى الثانى من يناير ١٤٩٢م، ربيع الأول ٨٩٧هـ، وقد أطلق عليها المستشرقون خاتمة الفتوح التى سميت بحروب الاسترداد، يراجع: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، جـ٢ ص٢٧-٦٨.

- معيار الاختيار، حاشية ص١١٤-١١٥.

Descripction- del reino de granadabajo la dominacion de lo snaza. Simonet. Fracisco. Ritascmadrid ١٨٦٠ .

(١) الوامق: المحب.

(٢) القال: الكاره.

(٣) العصف: ورق االزرع.

(٤) يريد نهر الوادى الكبير وفرعه نهر شنيل الذى يخترق غرناطة.

- يراجع: رحلة ابن بطوطة ووصفه لهذه المدينة جـ٢ ص٢٧-٦٨.

أى واد أفـــاض مـــن عرفـــات فـــوق حمرائهـــا أتـــم أفاضـــة
ثم لما اســتقر بالســهل يجــرى شـــق منهـــا بحلـــة فضفاضـــة
كلما انساب كـــان عضـــبا صـــقلا وإذا ما اســـتدار كـــان مفاضـــة[١]

فتعددت القرى والجنات، وحفت بالأمهات منها البنات، ورف النبات، وتدبجت الجنبات، وتقلدت اللبات، وطابت بالنواسم المهبات، ودارت بالأسوار دور السوار المنى والمستخلصات، ونصبت – لعرائس الروض – المنصات، وقعد سلطان الربيع لعرض القصات، وخطب بلبل الدوح فوجب الإنصات، وتموجت الأعناب، واستبحر بكل عذب الجنا منها الجناب، وزينت السماء الدنيا من الأبراج العديدة بأبراج، ذات دقائق وأدراج، وتنفست الرياح عن أراج، أذكرت الجنة كل أمل ما عند الله وراج»[٢].

وبعد هذا الوصف والتصوير البديع لجمال طبيعتها، وخصب تربتها، وطيب ريحها، وبديع رياضها وعلو أسوارها، والارتفاع الشاهق لأبراجها. يذكر «الحبر» تبرجها وتزينها «بحمرائها» التى حار عن وصفها كل وصف وعمارتها، وجمال معالمها، ومظاهر حضارتها قائلا: «وتبرجت بحمرائها القصور مبتسمة عن بيض الشرفات، سافرة عن صفحات القبات المزخرفات، تقذف بالأنهار من بعد المرتقى فيوض بحورها الزرق، وتناغى أذكار المآذن بأسمارها نغمات الوَرْق[٣]، حيث

(١) مفاضة: درع.
(٢) معيار الاختيار، ص١١٥، ١١٧، ١١٩.
(٣) الورق: الحمام ومفردها ورقاء.

المساجد العتيقة القديمة، والميازب[١] الحافظة للرى المديمة، والجسور العريضة»[٢].

ويصور مظاهر تحضر وترف ساكنيها وسماتهم الجمالية الخِلْقية، ورقيهم وتحضرهم واهتمامهم الفائق بروعة الأزياء والمغالاة فيها، وبفن التصوير والزخرفة التى برع فيها أهلها، وارتفاع مستواهم الاقتصادى، وازدهار الصنائع خاصة الطريف منها واكتمالها، ودقة عمالها رابطا بين ارتفاع المستوى المعيشى والتنعم، وبين ظهور أثر النعمة على جمال ووضاءة ورقة بشرة أهلها قائلاً: حيث... العوائد المقدرة تقدير الفريضة، والأسواق المرقومة الأطواق بنفائس الأذواق، والوجوه الزهر والبشرات الرقاق، والزى فاق زى الآفاق، وملأ قلوب المؤمنين بالإشفاق:

بلـــدة جللهـــا الله حســـناً وســـنا وأجر السعد من حلَّ لـــديها رســـنا[٣]

ومع شدة إعجاب «الحبر» بها، وبسحرها الذى لا يقاوم، وشدة حبه لها، واهتزاز خوالجه بجمالها الآسر، يعرض لنا سلبياتها الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية.

فقد حاول أن يراعى الموضوعية والإنصاف والاعتدال قائلاً: «أى آمن عرى من مخافة، وأى حصافة لا تقابلها سخافة،ولكل شىء آفة، لكنها – والله – بردها يطفئ حر الحياة، ويمنع الشفاه عن رد التحيات، وأسعارها يشعر معيارها بالترهات[٤]، وعدوها يعاطى كؤوس الحرب فهاك وهات...، والمكوس التى تطرد

---

(١) الميازب: القناة التى يجرى فيها الماء، وجمعها ميازيب، وميازب، ومآزيب، ومفردها ميزاب وأصلها مرزاب وهى كلمة فارسية، يراجع: معجم الصحاح فى اللغة، مادة (رزب).

(٢) معيار الاختيار، ص١١٩.

(٣) يراجع: معيار الاختيار، ص١١٩.

(٤) التراهات: الأباطيل.

البركة وتنفيها، إلى سوء الجوار، وجفاء الزوار، ونزالة الديار، وغلاء الخشب والجيار، وكساد المعايش عند الاضطرار، وإهانة المقابر وهى دار القرار، وقصر الأعمار، واستحلال الغيبة فى الأسمار، واحتقار أولى الفضل والوقار، والشح بالدرهم والدينار واليم والنار»(١).

ولعل معايشته لأهل غرناطة طوال حياته جعلت رؤيته لسلبياتها وسلبيات سلوكيات أهلها أدق وأوقع، من خلال عين ناقدة راصدة دقيقة الملاحظة. ولم يستطع ولعه بغرناطة أن يعميه أو يصمه عن سلبياتها ولعل تمثله بقول القائل لكل شىء آفة، يهون من وقع سلبياتها ويعطى لنقده ملمساً حريرياً.

ومن خلال تتبع البلدان الغرناطية التى تناولها «الحَبْر» العالم بالأسفار، وأخبار البلدان، نلحظ أنه يمكن ترتيبها من حيث الطول والبسط إلى الاقتضاب والقصر على النحو التالى:

فى المرتبة الأولى «غرناطة» فـ«مالقة» فـ«المرية» فـ«جبل الفتح»(٢)، فـ «برجة»، فـ «المنكب»، فـ «بسطة»، فـ «وادى آش»، فـ «شلوبانية»، فـ «بيرة»، فـ «الحمة»، فـ «لوشة»، فـ «أنتقيرة»، فـ «رندة»، فـ «برشانة»، فـ «سهيل»، فـ «بليش شقراء»، فـ «أندرش»، فـ «قمارش»، فـ «ذكوان»، فـ «بليش مالقة»، فـ «قنتورية»، فـ «مترايل»، فـ «طبرنش»، فـ «أورية»، فـ «أشكر»، فـ «قرطمة»، فـ «أرجذونة»، فـ «دلاية»، فـ «شابلش»، فـ

---

(١) معيار الاختيار، ص١٢٣.

(٢) قدم «محمد مسعود جبران» جبل الفتح على كل من مالقة والمرية بقوله: ومن النصوص الطويلة التى تلى النص الوصفى «لغرناطة» «جبل الفتح»، و«مالقة» و«المرية». مع أن المتتبع بدقة لهذه النصوص يتبين أن جبل الفتح يأتى فى المرتبة الرابعة بعد مالقة والمرية، يراجع: معيار الاختيار، ص٨٢ -٨٣، ٨٧ -٩٢، ص١٠٠ -١٠٣، يراجع: فنون النثر الأدبى فى آثار ابن الخطيب، ص٤٩٧.

«صالحة»، فـ «مربلة»، فـ «مجاقر»، فـ «فنيانة»، فـ «أليرة»، فـ «منتفرد»، فـ «اسطبونة»(١).

وهو ترتيب يوافق ويتناسب مع مكانة وأهمية تلك البلدان وشهرتها فى القرن الثامن الهجرى.

ويختار «الحَبْر» أن ينهى حديثه عن المدن «الغرناطية» بمدينة «رندة»، التى تقع غرب مدينة «مالقة»؛ ليفتح النص على الصراع الذى يهتم به هو وكل مسلم، **ألا وهو الدفاع عن الهوية المسلمة**، والهوية العربية، التى فى صراع دائم مع الآخر، الذى يسعى لفرض سيطرته وهيمنته، والتراجع المستمر لهويتنا، لا عبر عصره فقط، ولكن من قبله عند سقوط أول مدينة من يد المسلمين إلى يومنا هذا، وانقلاب الأوضاع، فإذا هو يوقفنا على الصراع والعدو الذى يتربص بنا، ويكاد أن يتخطفنا؛ ليوقظ الهمم وليكون آخر خبر يقرع آذاننا، للحث على الاستماتة فى الدفاع عنها، وعن مثيلاتها حتى لا يتم الاستيلاء عليها وتنصيرها، بعد أن سقطت كل المدن والحصون المجاورة والتابعة لها، وسهولها. **فإذا هو يثير بذلك قضية الوجود وإثبات الذات**، خاصة وهذه المدينة تكاد أن تكتمل فيها جل صفات الجمال والكمال، التى تتفاضل بها المدن والبلدان، من جمال الطبيعة، وأهمية الموقع والمنعة، والثروة المائية والزراعية والحيوانية، فهى بالبُر (القمح) غنية، ونعمها كثيرة وثرواتها لا تنضب، فحالتها الاقتصادية رائجة، وكذلك العلمية فهى تشتهر بعلمائها

---

(١) هذا الترتيب لا يتقيد به ابن الخطيب فى تناوله لهذه المدن لهدف فنى كما بينا، فبدأ بـ «جبل الفتح» فـ «اسطبونة»، فـ «مربلة»، فـ«سهيل»، فـ«مالقة»، فـ«بليش مالقة»، فـ«قمارش»، فـ«المنكب»، فـ«شلوبانية»، فـ «مترايل»، فـ«برجة»، فـ«دلاية»، فـ«المرية»، فـ«طبرنش»، فـ«بيرة»، فـ«مجاقر»، فـ«قنتورية»، فـ«برشانة»، فـ«أورية»، فـ«بليش الشقراء»، فـ«بسطة»، فـ«أشكر»، فـ«أندرش»، فـ «شبالش»، فـ«وادى آش»، فـ«فنيانة»، فـ«غرناطة»، فـ«الحمة»، فـ«صالحة»، فـ«أليرة»، فـ«منتفريد»، فـ«لوشة»، فـ«أرجذونة»، فـ«أنتقيرة»، فـ«ذكوان»، فـ«قرطمة»، فـ«رندة».

وأعلامها، كما تشتهر بجمال واديها وأوديتها ودورها، ودماثة أخلاق أهلها. ويظهر أثر ثرائها فى بضاضة ووضاءة وبياض ونقاوة وجوه أهلها، وما يتسموا به من مظاهر الجمال الخلقية والخُلُقية من اتساع الصدر وتحضر أهلها ورقيهم، وجمال نسائهم وسفورهن الذى يظهر جمال خدودهن وفتنة وجوههن التى تأسر رائيها، مع طيب عبقهن حيث يقول عن «رندة»: «أم جهات وحصون، وشجرة ذات غصون، وجناب خصيب، وحمى مصون، بلد زرع وضرع، وأصل وفرع، مخازنها بالبُر مالية، وأقواتها جديدة وبالية، ونعمها – بجوار الجبل – متوالية، وهى بلد أعيان وصدور، وشموس وبدور، ودور أى دور، وماء واديها يتوصل إليه فى جدور، محكم مقدور وفى أهلها فضاضة[١]، وغضاضة، ما في الكلف بها غضاضة[٢]، يلبس نساؤها الموق[٣]، على الأملد المرموق، ويسفرن عن الخد المعشوق، وينعشن قلب المشوق، بالطيب المنشوق إلا أن العدو طوى ذيل بردها[٤]، وغصب بُنيانها، وكيف السبيل إلى ردها، وأضاق خارجها، وخفض معارجها، وأعلى طائرها ودارجها [٥]»[٦].

نهاية المجلس الأول:

وتأتى خاتمة المجلس الأول مباغتة، بدون أى مقدمات، ومن قبل «الحبر» لا «الراوى»، الذى أنهى حديثه بقوله للراوى: «هل اكتفيت فقد شرحت صدرك وشفيت، وبما طلبت منى قد وفيت، يا بنى كأنى بالصباح السافر، وأدهم الظلام

---

(١) فضاضة: سعة الصدر، غضاضة: حِلْم.

(٢) حضاضة: ميل وهوى، يراجع: تكملة المعاجم العربية، ص٥، الموقع الرسمى للمكتبة الشاملة.

(٣) الموق: خف غليظ يلبس على خف أرق منه، وجمعه: أمواق.

(٤) طوي ذيل بردها: كناية عن استيلاء العدو على سهولها التابعة لها.

(٥) كناية عن أن العدو بغاراته يثير طيورها فتعلو فى الجو، وفى الوقت نفسه يثير غبار طرقها.

(٦) معيار الاختيار، ص١٣٢.

النافر، قد أجفل أمام مقنبه[١] الوافر، وترك من الهلال نعل الحافر، ونفسى مطيتى، وقد بلغت الليلة طيتى[٢]، وأجزلت عطيتى، فلنجم بالحمض[٣]، ونلم بالغمض، وأنا بعد نزيلك، إنى سرنى جزيلك، وعديلك إن ضحك لى منديلك، وسميرك إن روانى نميرك، فبادرت البدرة ففضضتها، والصرة فافتضضتها والعيبة[٤] فنفضتها والمعادن فافضتها، فقال: بوركت من مواس وأنشد قول أبى نواس[٥]:

ما من يد فى الناس واحدة كيد أبو العباس[٦] أولاها
نام الثقات على مضاجعهم وسرى إلى نفسى فأحياها»[٧]

وتأتى المفاجأة الأخيرة للراوى من «الحبر»، الذى أنامه بعد أن دعا له بالنوم فى أمان، والقيام فى حفظ الرحمن، وأقسم له بأنه لا يسبقه أحد فى الجود، ولا يُعطِى أحد مثل عطائه، وأكد أنه سميره، ووعده أن يكون نزيله. ثم سرعان ما نقض وعده، وفارقه عندما أغمض جفنه، ولم

---

(١) المقنب: الوعاء للصائد يجعل فيه ما يصيده.

(٢) طيتى: حاجتى.

(٣) الحمض: الفاكهة، ويقصد بالتعبير المذاكرة.

(٤) العيبة: الزنبيل.

(٥) أبو نواس: هو الشاعر العباسى أبو الحسن بن هانئ الفارسى الأصل، الذى عاش ما بين (١٤٠ -١٩٩هـ ، ٧٤٧ -٨١٣م) عاصر الخليفة هارون الرشيد وابنه الأمين، وكان شاعرهما واشتهر بالمجون والتهتك، وكثيراً ما حبساه لظهور ذلك فى شعره، وهو رائد مدرسة المحدثين (المجددين) فى العصر العباسى.

- يراجع: مقدمة ديوان أبى نواس، نشر وتحقيق إينالد فاغر ط القاهرة عام ١٩٥٨م، وقد وردا البيتان فى ديوانه السابق جـ١ص٢٤٨.

(٦) يعنى: بأبى العباس: الوزير «الفضل بن ربيع» المكنى بأبى العباس، وقد مدح أبو نواس بهذين البيتين الوزير بعد أن أطلق سراحه من السجن.

- يراجع ديوان أبى نواس، نشر وتحقيق إينالد فاغر التقديم لتلك القصيدة جـ١ص٢٤٨

(٧) معيار الاختيار، ص١٣٢ -١٣٣.

يستطع أن يقتفى أثره، وتركه وفى قلبه حرقة، ولا يملك إلا التأسى على فراقه، بالحكمة التى أطلقها «على بن أبى طالب» ﷺ فى التأسى على فراق زوجه «فاطمة» وأبيها الرسول الكريم ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين «لكل اجتماع من خليلين فرقة».

المجلس الثانى:

وفى بداية المجلس الثانى يربط الراوى «المخبر» فى سرده بين تأسيه وحزنه لفراق الحبر، الذى أنهى به المجلس الأول، وبين المجلس الثانى بقوله: «فلما اندمل جرح الفراق بعد طول، وزمان مطول، ومحا – رسم التذكر – تكرر فصول... بينما أنا ذات يوم فى بعض أسواق الغبار، اسرح طرف الاعتبار»(١).

فيبدأ ببيان مكان المجلس وهو أحد الأسواق المزدحمة التى يؤمها العامة فيه «أمم تنسل من كل حدب، وتنتدب من كل منتدى ومنتدب(٢)»، للبيع والشراء، والتحايل للعيش والكسب، بمختلف الوسائل والأعمال من «رقاة جنون، بضروب من القول وفنون...» (٣)، ويشد انتباهه وهو يتأمل معروضاته، ورواده الكثر المختلفين فى الأجناس والتصرفات واللباس، والتفاف الناس وتكالبهم على «كهل قد استظل بقيطون(٤)»(٥). وأمامه تلميذ نشيط يقدم له ويحشد الناس حوله، ويصف الراوى ذلك الكهل الذى استظل بقيطون، وتلتف حوله الجموع، ويقف فى الناس خطيباً يستعرض قدراته، ويتحدى ويذكر أنه على علم بالمغيبات، وذو قدرة على

---

(١) معيار الاختيار، ص١٣٦.

(٢) معيار الاختيار، ص١٣٦.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٦.

(٤) القيطون: الخيمة فى لغة أهل المغرب، يراجع: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى فى لحن العامة مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الثالث الجزء الثانى، نوفمبر ١٩٥٧م.

(٥) معيار الاختيار، ص١٣٦.

حل المشكلات، والإحاطة بأسرار الطبيعة، وشفاء الأمراض العضال، وأنه موسوعى الثقافة قد برع فى شتى العلوم، ما بين طب وكيمياء وفزياء ورياضيات، وتاريخ وجغرافية، وعلم لغة، وميراث، وحديث، وتفسير، وفقه، وعلم بالأصول والفروع، وكل منثور ومنظوم وصناعة الألحان وعلم العروض، و«منطق وعلم الكلام، والفلسفة، والأخبار.

وأنه صاحب تجارب وأسفار، جاب الأقطار «ما بين «جليقية» غرب الأندلس إلى «الأنبار» – شرق العراق– والمدن الكبار وقد ثبت بالاختبار»(١).

فيجد الراوى فيه بغيته وضالته فقد ذكره «بالحبر» الذى أحاطه علماً بالبلدان الغرناطية فى المجلس الأول فأراد أن يحيطه هذا الشيخ علماً بأهم المدن المغربية، ويقوده شغفه للتعرف على هذه البلدان أن يخترق إليه الجموع البشرية من قاصديه، مخاطباً إياه بقوله: «بى إلى تعرف البلدان جنوح وجنون، والجنون فنون»(٢).

يظهر الشيخ موافقته المشفوعة بتحفظه «لا تجود يد إلا بما تجد والله المرشد»(٣)، مظهراً قدرته، وقوة فكره وبيانه، وحكمته، وفائق علمه، بتمثله بأبيات لعلى بن أبى طالب ﷺ مطلعها(٤):

إذا المشـــكلات تصـــدين لـــى كشـــفت غوامضـــها بـــالنظر

فيأخذ الراوى فى سؤاله عن البلاد المغربية بادئا بمدينة «بادس» ثم يتبعها بـ «سبتة» فـ «طنجة» فـ «قصر كتامة» فـ «أصيلا» فـ «سلا»، فـ «أنفا» فـ «أزمور» فـ «تيط» فـ «رباط آسفى» فـ «مراكش»، فـ «أغمات»، فـ «مكناسة»، فـ «فاس» «فاس القديمة»، و«فاس الجديدة»، فـ «آقرسلوين»، فـ

(١) المصدر السابق ، ص١٤٠.
(٢) معيار الاختيار ، ص١٤١.
(٣) المصدر السابق، ص١٤١.
(٤) ديوان الإمام على بن أبى طالب ﷺ، اعتنى به عبد الرحمن المسطاوى ط دار المعرفة – بيروت ط الثالثة ١٤٢٩هـ –٢٠٠٥م، ص٧٦.

«سجلماسة»، فـ «تازة»، فـ «غساسة»، فـ «تلمسان». والشيخ يجيبه عن تلك المدن مدينة إثر مدينة، متبعاً نفس المنهج الذى اتبعه «الحبر» فى وصف المدن الأندلسية؛ ببيان موقع كل مدينة، ومناخها وطبيعتها، ومدى منعتها، ومظاهرها العمرانية، ومواردها الاقتصادية، وأثر ذلك فى نشاط ساكنيها، والحرف التى يمارسونها، وأهم ما يتسم به قاطنيها من صفات خلقية وخُلقية، إيجابية وسلبية.

وعدم المراعاة لأى ترتيب جغرافى أو تاريخى أو حضارى فى تناول تلك المدن فـ «فاس الجديدة» عاصمة بنى مرين تأتى بعد أربع عشرة مدينة مغربية مع أنها فى المرتبة الأولى من حيث المكانة والشهرة.

وفى أن حديثه عن تلك المدن أتى غير متكافئ، ومتفاوتاً من حيث البسط، والإيجاز، والقصد وفقا لأهمية المدينة وشهرتها. بحيث يمكننا أن نتبين أن أطول وصف لمدينة مغربية كان وصف مدينة «سلا»، يليه وصف مدينة «فاس القديمة»[1]، التى قال فى ما تتميز به وتشتهر من جمال وغنى وصلاح، وكونها

---

(١) فاس: اسسها المولى إدريس الثانى عام (١٩١هـ -٨٠٨م) وهى أقدم عواصم المغرب التاريخية، وتبعد عن (الرباط) العاصمة الحالية بنحو مائتى كم، وقد عاصر مؤسسها الأمير الأموى «الحكم بن هشام» بالأندلس، الذى نفى وشرد معظم سكان ضاحية «الربض» فى قرطبة، إثر الموقعة الشهيرة التى تغلب فيها على الثائرين (٢٠٢هـ -٨١٧م)، فلجأ أهل «الربض» إلى «فاس»، ورحب بهم أميرها «إدريس الثانى»، وفيها أحيوا الصناعات المختلفة، وطبعوا المدينة بطابع الفن الأندلسى، ولا سيما فى المعمار، حتى سميت «فاس» لذلك «مدينة الأندلسيين».
وفى ذلك الوقت كان الأمير «إدريس الثانى» يشيد مدينة مقابلة لها لا يفصلها عن فاس إلا نهير صغير، وأسماها العالية، وسكنها جماعة من المغرب الأدنى من نواحى مدينة «القيروان» ولهذا سميت بمدينة القرويين، وبمضى الزمن غلب اسم «فاس» على المدينتين، وصارت تشمل عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين، ولا يزال جامع القرويين الكعبة العلمية التى يؤمها طلاب العلم من سائر أنحاء المغرب، وقد تراجع مركز «فاس» السياسى فى عصر المرابطين الذين شيدوا مدينة «مراكش»، واتخذوها عاصمة لهم»، لقربها من الجنوب موطنهم الأصلى»، وكذلك انتهج الموحدون نهجهم، حتى تغلب «بنو مرين» فأعادوا لفاس مجدها السابق، باتخاذهم إياها عاصمة لهم ويطلق عليها فاس القديمة. =

مركز الحكم، وعاصمة القطر، وأشاد بقوتها ومنعتها العسكرية وانطلاق جيوش الجهاد للدفاع عن الدين منها، وكونها دار كرم وطبيعة غناءة:

رعى الله قطراً تربه ينبت الغنـــى وآفاقه ظل على الـــدين ممـــدود(١)

نعم العرين لأسود بنى مرين، ودار العبادة التى يشهد بها مطرح الجنة ومسجد الصابرين. أم القرى، ومأم السرى، وموقد نار الوغى ونار القرى، ومقر

=أما «فاس الجديدة» التى بناها الأمير «أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى» (٦٧٤هـــ - ١٢٧٥م) ويطلق عليها البلد الجديد أو المدينة الجديدة، وتتصل بفاس القديمة عبر حـــدائق أبـــى الجنود الغناء، وتتميز أبوابها «فاس الجديدة» بشكلها الفريد.

وتعتبر المدينة فى مقدمة مدن المغرب ثقافيا وصناعيا وتجارياً، وتزدهر فيها السياحة، لما تزخر به من آثار مهمة كمدرسة البوعنانية ذات الساعة الشمسية الغريبة، ومدرسة العطارين، ومدرسة المصباحية، ومسجد الأندلس، وزاوية المولى إدريس الثانى مؤسس المدينة، كمـــا توجـــد قبـــور «المرينيين» على مرتفع يمكن منه رؤية المدينة فى السفح، وقد أحاطتها الأسوار الأثرية فبـــدت فتنة للناظرين.

يراجع: - تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر)، جـــ٧ ص١٩٤-١٩٥.

- والاستقصا، للسلاوى الناصرى المجلد الأول جـــ٢ ص٢٢.

- جذوة الاقتباس فيمن حل من علماء فاس، لابن القاضى (ووصفه لمدينة فاس).

- الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ابن أبى زرع (١٨٤٦).

- مشاهدات ابن الخطيب، ص١١٠.

- معيار الاختيار، ص١٧٢.

(١) أورد شبانة فى تحقيقه لمعيار الاختيار الشطر الأول (راعى الله قطراً ينبت الغنى...) بحذف بحذف كلمة (تربه)، وهذا يكسر وزن البيت لأن البيت، من (الطويل) وهو مـــن قصـــيدة لابـــن الخطيب. يراجع: معيار الاختيار، ص١٧٢، وقد أورده العبادى صحيحاً ولكن على أنـــه نثـــر لا بيت شعر، يراجع: مشاهدات ابن الخطيب، ص١١٠.

العِزّ الذى لا يُهضم، وكرسى الخلافة الأعظم، والجرية[١] التى شقها ثعبان الوادى فما ارتاعت، والأبية التى ما أذعنت اذعانها للإيالة المرينية ولا أطاعت»[٢].

ويتحدث عن ما تتميز به من شدة تعلق قاطنيها بها، فيصور ما فيها من ضروب المتعة، وألوان العمران، وضروب المقابر، وموقعها المتميز فيقول متعجبا: «أى كلف وكلف! ومتفق ومختلف! ومحاباة وزلف! وقضيم وعلف! وخلف عن سلف! إنما الدنيا «أبو دلف» سألت عن العالم الثانى[٣]، ومحراب السبع المثانى، ومعنى المغانى، ومرقص النادب والغانى، وإرم المبانى، ومصلى القاصى والدانى، هى الحشر الأول، والقطب الذى عليه المعول، والكتاب الذى لا يتأول، بلد المدارك والمدارس، والمشايخ والفهارس، وديوان الراجل والفارس، والباب الجامع من موطأ المرافق، ولواء المُلك الخافق، وتنور الماء الدافق، ومحشر المؤمن والمنافق، وسوق الكاسد والنافق، حيث البنى التى نظر إليها عطارد فاستجفاها، وخاف عليها الوجود أن يصيبها بعينه الحسود فسترهما بالغور وأخفاها»[٤]. ويُتبع ذلك بوصف ثراء وغنى أسواقها بشتى السلع التى تُجلب إليها عن طريق التجارة، أو من وارداتها الاقتصادية المتنوعة من زراعة وسياحة؛ لجمال مناخها وعمرانها قائلا: «والأسواق التى – ثمرات كل شىء إليها – قد جبيت، والموارد التى اختصت بالخضر وحبيت، والمنارة المخطوبة، وصفاح الخلج المشطوبة، والغُدر التى منها أبو طوبة[٥].

---

(١) الجرية: حوصلة الطائر.

(٢) معيار الاختيار، ص١٧٢ –١٧٤.

(٣) العالم الثانى: هو فاس القديمة والعالم الأول: هو الأندلس.

(٤) سترها بالغور وأخفاها: يريد أن موقع المدينة فى السفح المنخفض، وهو حسن تعليل رائـــع، لوقاية المدينة من عين الحسود بموقعها هذا.

(٥) معيار الاختيار، ص١٧٤–١٧٥، أبو طوبة: الريح الطيبة.

بلـــد أعارتـــه الحمامـــة طوقهـــا وكساه ريش جناحـــه الطـــاووس
فكأنمـــا الأنهـــار فيـــه مدامـــة وكأن ســـاحات الـــديار كـــؤوس[١]

فيصف قاطنيها، وتنوع أجناسهم وألوانهم، وكثافة سكانها، واختلاف لغاتهم، وكثرة أوقافها، ودور علمها، واختلاط أخلاق أهلها: «اجتمع بها ما أولده سام وحام، وعظم الالتئام والالتحام، فلا يعدم فى مسالكها زحام، فأحجارها طاحنة، ومخابزها شاحنة، وألسنتها – باللغات المختلفة – لاحنة، ومكاتبها مائجة، ورحابها متمائجة، وأوقافها جارية، والهمم فيها – إلى الحسنات وأضدادها – متبارية»[٢].

ويقف على بعض ما يتميز به المجتمع من التدين والتحضر، والاحتفاء بالزواج، وألوان الطعام. وحسن وجمال النساء وملابسهن، وأسرهن للرائى لهن، وحسن الرجال وزيهم. وشتى ضروب الحضارة، من كثرة الأثاث، والخدم، والمساجد «بلد نكاح وأكل، وضرب وركل، وامتياز من النساء بحسن زي وشكل، ينتبه بها الباه، وتتلّ الجباه، وتوجد للأزواج الأشباه، إلى وفور النشب[٣]، وكثرة الخشب، ووجود الرقيق وطيب الدقيق، وإمكان الإدام، وتعدد الخدام، وعمران المساجد والجوامع، وإدامة ذكر الله فى المآذن والصوامع»[٤].

ووصفه لمدينة «فاس الجديدة»، مدينة ملك «المرينيين»، والجمال المعمارى الرائع لإيوانها الذى يفوق جمالاً وعمارة إيوان كسرى؛ بحيث إذا ضهى به احتُقر، وجمال ووضاءة ملوك بنى مرين، وتدينهم، ومقاعد الحرس، وملاعبها خاصة الملاعب التى يتبارى فيها الأسود مع الثيران، وما بها من جمال الطبيعة، وما بها من علماء ومدارس ودور علم يؤمها الجميع، ومجالس الحكم والحجاب، وسقائف أدوات الحرب، ومقصد الفرسان والرماة، ومجال الصيد وأواوين الكتاب، وخزائن

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٥.
(٢) معيار الاختيار، ص١٧٥.
(٣) النشب: نوع من الشجر تستعمل من خشبه القصى.
(٤) معيار الاختيار، ص١٧٦.

الكتب، والكثير من العجائب، خاصة نافورتها الضخمة المبهرة التى اشتهرت بها والتى سارت مضرب الأمثال والتى هى مظهر من أهم مظاهر الحضارة والعمران فيقول:

«وأما مدينة الملك»(١) فبيضاء كالصباح، أفق للغرر الصباح، يحتقر – لإيوانها – إيوان كسرى، وترجع العين حسرى. ومقاعد الحرس، وملاعب الليث المفترس(٢)، ومنابت الدوح المغترس، ومدرس من درس أو دُرس. ومجالس الحكم الفصل، وسقائف الترس والنصل، وأهداف الناشبة أولى الخصل(٣). وأواوين الكتاب، وخزائن محمولات الأقتاب، وكراسى الحجاب، وعنصر الأمر العجاب. إلى الناعورة(٤) التى مثلت من الفلك الدوار مثالاً، وأوحى الماء إلى كل سماء منها أمرها فأبدت امتثالاً، ومجت العذب البرود سلسالاً. وألفت أكوابها التُرفة والترف، فإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى»(٥).

ثم يُتبع الوصف الرائع والشعر الرائق الذى أنشده فى نافورتها، بسرد بعض سلبيات تلك المدينة من حيث المناخ شديد الحرارة وعديم الأمطار، ومن حيث مكر ساكنيها، ووعورة مسالكها، وشدة حرارة ما يحيط بها من جهات، وكثرة طينها، وزحامها وصدى ذلك فى جفاء قاطنيها.

---

(١) مدينة الملك: يريد بها فاس الجديدة التى بناها بنى مرين.

(٢) ملاعب الليث المفترس: كان من عادة ملوك بنى مرين أن يشهدوا فى حلبة خاصة مصارعة بين الثور والأسد، وكثيراً ما كانت تنتهى بانتصار الثور، ولعل هذا أصل مصارعة الثيران بأسبانيا اليوم.

(٣) الناعورة: هذه النافورة أو القوراء التى تغنى بها الشيخ عبارة عن قرص مدور متسع المحيط محذوف الوسط وعليها الأوانى الفخارية، وبدورانها تحمل المياه ثم تلقيها من عل كالشهب الراصدة، يراجع الأبيات فى معيار الاختيار، ص١٧٧.

(٤) الخصل: عود عليه شوك.

(٥) معيار الاختيار،ص١٧٦.

وتجهم وجوههم للغريب وتحاشيه، وإحساس أهلها بتميزهم وترفعهم عن غيرهم. وأنهم لا يعرفون حق أولى الفضل، ويجزون المعروف بالإساءة، لا يكرمون ضيفاً، ولا يتستضيفوه، إلا القليل منهم. ويصفهم بأنهم لا يهتمون بقبورهم قائلاً: «إلا أن حر هذه المدينة مذيب، وساكنها ذيب، ومسالكها وعرة، وظهائرها مستعرة، وطينها هائل، وزحامها حرب وائل(١)، إن نشد الجفاء ناشد، فهى ضالته المنشودة، أو حشد أصنافه حاشد، فهى كتيبته المحشودة، إلى بُعد الأقطار، وعياث الميازب أوقات الأمطار، والاشتراك فى المساكن والديار على الموافقة والاختيار. وتجهم الوجوه للغريب، ذى الطرف المريب، وغفلة الأملس عن الجريب(٢)، ودبيب العقارب، أرسالا كالقطا القارب(٣). وأهلها يرون لأنفسهم مزية الفضل، ويدينون فى مكافأة الصنائع البالغة بالعضل(٤). يلقى الرجل أبا مثواه فلا يدعوه إلى بيته، ولا يسمح له ببقله ولا زيته فلا يَطرُق الضيف حماهم، ولا يعرف اسمهم ولا مسماهم، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليل ما هم(٥). ومقبرتهم غير نابهة، وأجداثها غير متشابهة، مشربة حيوان، ومشبعة جرذان، غير وان (٦)»(٧).

---

(١) حرب وائل: وتعرف بحرب البسوس، حدثت فى الجاهلية قبيل الإسلام، وقد قامت بسبب ناقة لدار «جساس» قتلها «كليب» فقتل «جساس» قاتلها «كليب»ا، ودارت الحرب بين «بكر» و«تغلب» إثر ذلك، واستمرت قرابة أربعين عاماً. وكانت بينهما فى تلك المدة خمس وقائع (حروب) شهيرة، تارة، تنتصر «بكر» وتارة «تغلب»، وتارة ينتصفان، حتى تصالحا بعد أن قتل خيرة شبابها، فضرب المثل بحرب وائل، كما قيل فى التطير «أشأم من البسوس».

معيار الاختيار، ص١٧٨.

(٢) غفلة الأملس عن الجريب، كناية عن إهمالهم للغريب، وتعاليهم عليه، وتجنبهم له مثل تعالى الأملس الجلد على الأجرب.

(٣) القطا القارب: القطا الذى يطلب الماء ليلا.

(٤) العضل: بفتح العين وسكون الضاد، الشدة.

(٥) سورة (ص) آية ٢٤.

(٦) غير وان: غير مقصر.

(٧) معيار الاختيار،ص١٧٨ -١٧٩.

وإذا كان وصف «سلا» هو أطول نص فى وصف مدينة مغربية فإن أقصر وصف لمدينة من تلك المدن هو وصفه لمدينة «غساسة»[١]، التى قال فيها : «فريسة وأكيلة، وحشف وسوء كيلة[٢]. إلا أنها مرسى مطروق، بكل ما يروق. ومرفأ جارية بحرية، ومحط جباية تجرية»[٣] والتى يركز على أهم ما تتصف به من سوء المحاصيل الزراعية، وغش أربابها لها مع رداءتها. ويركز على أهميتها كميناء تجارى ومرسى للسفن، التى تجلب ما يروق لقاطنيها، وعلى أهميتها كميناء بحرى للمهمات العسكرية السريعة. ويتناول اقتصادها الذى يقوم على رسوم المرور للسفن التجارية، وعلى التجارة، وخدمة السفن التجارية والحربية.

ومن خلال تتبع نصوص وصف المدن المغربية يتبين أن ترتيب نصوص تلك المدن من حيث الطول والبسط أو التكثيف والإيجاز أتى على النحو التالى: أطول نص كان لمدينة «سلا» تليها مدينة «فاس الجديدة» و«فاس القديمة» فـــ «سبتة»، فـــ «مراكش»، فـــ «طنجة»، فـــ «تلمسان»، فـــ «قصر قتامة»، فـــ

---

(١) غساسة: مدينة تقع بالقرب من مصب نهر «ملوية» بالبحر المتوسط، فقد كانت يومئذ مقـــر لقبائل «بطوية»، ومن قبل فهى مرسى له أهميته، يقع غرب «مليلية»، أجهز عليـــه الاســـتعمار الأسبانى عام ١٤٩٦م، ويعتقد أن عبد الرحمن الداخل أبحر من «غساسة» إلى الأندلس، كما نزل بها «عبد الله بن الأحمر» آخر ملوك بنى نصر إثر سقوط غرناطة يناير ١٤٩٢م، كما كانت تلك المدينة التى اندثرت المعبر المفضل للمهمات والسرية والسريعة، وإلى ذلك يشير فى وصفها.

– يراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون جـــ٦ ص١١.

– الثغور المغربية بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسى، عبد الهادى التازى، مجلة البحث العلمى، عدد ٢٤، من السنة ١٢ ص١١٣.

– معيار الاختيار، ص١٨٣.

(٢) فريسة وأكيلة وحشف وسوء كيلة، هذا التعبير كناية عن ســـوء الخـــارج مـــن المحاصـــيل الزراعية، بالإضافة إلى غش أربابها لها، وبهذا يشير المؤلف إلى المثل العربى (أحشف وســـوء كيلة!!» الذى يضرب للظلم يلحق صاحبه مضاعفاً.

(٣) معيار الاختيار، ص١٨٣.

«أزمور»، فـ «مكناسة»، فـ «سجلماسة»، فـ «أنفا»، فـ «بادس»، فـ «أغمات»، فـ «تازة»، فـ «رباط أسفى»، فـ «أقرسلوين»، فـ «تيط»، فـ «أصيلا»، فـ «غساسة»(١)، نظراً لأهمية المدن وشهرتها.

وينهى الحديث فى المجلس الثانى بقوله: «ثم لما وصل إلى هذا الحد، نظر إلى حاج السوق وقد أفاض، ومزاده أعمل فيه الإنفاض، وعلو الأصوات صار إلى انخفاض. فقال: وجب اعتناء بالرحيل واهتمام، وكل شىء إلى تمام»(٢).

فيحدد زمان انتهاء المجلس الثانى وإنهاء الشيخ له بانفضاض السوق، ولم يبق إلا أن ينثر الراوى دنانيره، مكافأة طيبة لمحدثه ويجزل له العطاء. فيتناول منه ما تستغنى به النفس، ويقدم الشيخ له الثناء والشكر. وسرعان ما يتكشف للراوى أن الشيخ هو من تحسر لفراقه فى المجلس الأول. فيعاتبه على إخلافه لوعده، فيجيبه قبل أن يتهيأ للسير ناصحاً بوعظ منظوم يحثه على الرضا بما تيسر له، وترك ما تعسر عليه، وأن ألا يلح على معاتبه فى الإيضاح إذا أجمل؛ لأن الكثير من الناس ترضى بأعذارهم إذا أجملوا ولم يُفسروا. وألا يغتر بسرور، ولا يأمن تقلب الدهر. كما ينصحه بالتحفظ على السر وكتمانه، وتحاشى التعثر بالناس، وتقوى الله؛ فالقرب منه عز وجل رهن بها، وأنها ليست هناك خسارة أفدح من معصية الخالق. فإذا هو ينهى مجلسه الثانى والأخير فى معرض رده على ما وجهه إليه من لوم

---

(١) أشار محمد مسعود جبران إلى أن «أطول النصوص فى المجلس الثانى انحصر فيما قاله عن مدن «فاس» و«مراكش» «وسبته»، و«سلا» و«الرباط» و«سجلماسة» وتظل الأوصاف الباقية من البلاد المعروضة شبه متساوية فى الطول ما عدا غساسة التى تعد أقصر نص ومن خلال تتبعنا للمدن بدقة وحصر دقيق تبين أن أطول نص «سلا» تليها«فاس الجديدة، وفاس القديمة»، فـ «سبتة»، فـ «مراكش»، فـ «تلمسان»، وقصر كتامة، فـ «أزمور» ويبدو أن حصر الدكتور كان حصراً تقريبيا خاصة وهو لم يفرد معيار الاختيار بدراسة بل أورده ضمن تناوله نثر ابن الخطيب الجم.

(٢) معيار الاختيار، ص١٨٥.

بتلك الحكم والعظات التى تلخص الخبرة الحياتية لهذا الشيخ، الذى عرك الحياة وعركته لتكون آخر ما يطرق سمع الراوى وسمع المتلقين.

محاوره:

ومن خلال التتبع لمعيار الاختيار بمجلسيه يتبين أنه تمحور فى ثلاثة محاور رئيسة هى:

أولاً المحور الإنسانى: الذى ركز عليه لسان الدين ابن الخطيب من خلال: وصفه للراوى، ومن خلال تصرفات الراوى وردود أفعاله، ووصفه للشيخ (الحبر) ومن خلال سرده لحديث الشيخ عن نفسه، وتصرفاته ووصفه للراوى وتصرفاته ومن خلال وصف الشيخ لخلائق السكان.

ثانياً: المحور الاجتماعى: ويتمثل فى ما صوره الشيخ من الأحوال الاجتماعية السائدة فى البلدان التى زارها ووصفها فى العدوتين الأندلسية والمغربية من خلال تصوير الصفات النفسية والأخلاقية والخلقية للسكان، وبيان المظاهر العمرانية، ومدى اهتمامهم بها، لأنها بيان لمدى الحضارة والمدنية، مع تناول الحالة الاقتصادية وانعكاسها على قاطنى هذه البلدان.

ثالثا: المحور الجغرافى:

ويتمثل فى وصف البلدان الأندلسية والمغربية، والتى صورمعالمها الجغرافية من حيث موقعها وتضاريسها ومناخها، من خلال مشاهداته واطلاعه.

أهميته:

ومن خلال استعراض معيار الاختيار نجد أنه يجمع بين القيمة الأدبية كنص سردى ثرٍ منفتح على كافة الفنون الأدبية. ويمكن إدراجه فى أكثر من نوع من أنواع السرديات منها المقامة والأدب الجغرافى، وأدب الرحلات بأسلوبه الأدبى التصويرى الذى يمزج بين السرد والوصف والحوار ويمزج الواقع بالخيال.

بالإضافة إلى قيمته كوثيقة تاريخية واجتماعية وحضارية فى التعريف بالوضعية التى كانت عليها كل من مملكتى «بنى نصر» و «بنى مرين»

فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى، خصوصاً وقد تناول عاصمتى كل من الأندلس والمغرب فى عصره (غرناطة وفاس) سالكاً نفس الموضوعية تجاه كليهما، دون أن يخفى لوماً فيما لاحظه من مثالب بالنسبة لهاتين العاصمتين، وتعمقه فى البحث على نحو دقيق عن مميزات وسلبيات كل مدينة محللاً الأسباب والمسببات حتى كان تناوله للمدن وثيقة تاريخية واجتماعية وحضارية يعتمد عليها – إلى حد بعيد الدارسون – خاصة مع قلة المراجع التى تناولت العصر الذى عاشه ابن الخطيب فى الأندلس والمغرب فى الفترة التى عاصرها ابن الخطيب إذا ما أوردوا الكشف عن الحالة الاجتماعية لهذين القطرين فى ذلك العصر، وعن الاقتصاد والمحصولات الزراعية، وأهمية الأسواق، والصناعة الأندلسية والحضارة الإسلامية ومظاهرها العمرانية من قصور ومساجد وغيرها. ولذا أدرجه كثير من النقاد من حيث محتواه فى أدب الرحلة أو الأدب الجغرافى ذى الطابع الفنى المترع بالحيوية والثراء[1]. الذى امتطى أسلوبه متون البلاغة والخيال المجنح، فحلق فى الفضاء الفنى؛ ليرسم مجالى الطبيعة وما فيها من لوحات ناعمة متناغمة، ومشاهد ذات ألوان وظلال، وحقائق ودقائق وخطرات.

❁❁❁❁

(١) يراجع مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص٢١.

- معيار الاختيار، ص٤٨.
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس، حسين مؤنس ط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمصر ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ص٥٩٥.
- أدب الرحلة بالمغرب فى العصر المرينى، حسن الشاهدى ط منشورات عكاظ المغرب ١٩٩٠م، جـ٢ ص٤٨.

المبحث الثانى
معيار الاختيار فى ضوء المقامة وفنية السرد

اختار ابن الخطيب المقامة لتكون قالباً لمعياره، المقامة هذا الفن المتميز المبنى على الحكاية والذى له نسقه الخاص المميز، الذى يصعب مواقعته إزاء الأنماط الأخرى للحكاية(١).

فهى شكل، لا نوع، شكل فنى مدون يتوجه إلى نوع خاص من الجمهور، ويتضمن أنواعاً مختلفة.

وهى تتغير على مر الزمان، مثلها مثل القصيدة، فالقصيدة شكلاً لا نوع، ولم يمنعها ذلك من أن تتضمن أنواعاً مختلفة.

فالمقامة إطار يستوعب أنواعاً عديدة لا الأغراض الشعرية فحسب بل أيضاً اللغز والمأدبة والمناظرة والموازنة... الخ فهى إطار للشعر والنثر فى الآن ذاته(٢).

وهى مندرجة فى دائرة التعدد والمزيج فهى تمثل انزلاقاً نغميا ذا تنويعات متعددة إنها تتضمن عدداً من الأنواع التى إذا نظر إليها على حدة كانت أحادية النبرة(٣).

ففيها الشعر بأغراضه والنثر بأنواعه من الخطبة والمثل والحكاية والعظة والأخبار والطرفة والحكمة واللغز؛ ولذا كان من المهم دراسة بنيتها الفنية المركبة المعقدة التى تعد سر من أسرار تميزها كفن من الفنون التراثية الأدبية المتميزة ببنيتها وطبيعة مبدعها ومتلقيها فى «معيار الاختيار».

---

(١) يراجع المقامات السرد والأنساق الثقافية، عبد الفتاح كيليطو، ترجمة عبد الكريم الشرقاوى ط دار توبقال للنشر الدار البيضاء ط٢، ٢٠٠١م، ص٧.

(٢) يراجع المرجع السابق، ص٧٣.

(٣) يراجع المرجع السابق، ص٥.

فهى تتوجه من مبدع متميز بموروثه الثقافى الزاخر، وقدرته الإبداعية التى تمكنه من الجمع بين الإبداع الشعرى والنثرى والسرد القصصى، وقدرة على استدعاء النص التراثى وتوظيفه ليكون جزءا من البنية الفنية بلغة فنية خاصة.

وقد استطاع ابن الخطيب فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى –هذا الوقت الذى أخذت فيه الحضارة والثقافة العربية والإسلامية بالأفول غربا – بثقافته الموسوعية، التى أشاد بها الجميع قديما وحديثا، وتميز إبداعه فى شتى فنون الشعر والنثر، وبروزه وتألقه فيها، وقدرته الفائقة على الاستفادة من ضروب ثقافته المتنوعه، لتكون روافداً لإبداعاته الأدبية التى بز فيها أقرانه، وأثبت بها جدارته ومكانته فى فضاء الشعر والنثر، وبز فيها السابقين واستطاع أن يتمكن من خوض غمار المقامة هذا الفن الغائم الغامض، ويخترق حقله المتشابك الملتف من خلال إبداعاته فى فن المقامة، التى من أبرزها مقامته (معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار).

التى تتوجه إلى متلقى خاص يتمتع بحس أدبى راقٍ وموروث ثقافى هائل من خلال تداخل وتشابك وتمازج وتناغم كل عنصر من عناصر بنائها الفنى فى انسجام وتوافق نغمى بديع.

المقامة وخصائصها الفنية: وإذا كان لكل فنٍ أدبى ما يميزه فلعل من أهم ما يميز المقامة كما ذهب النقاد قديماً اجتماع ثلاث سمات قد تولدت من اجتماعها المقامة: أناقة العبارة والسجع، ومزج الجد بالهزل، والكدية.

بالإضافة إلى نسبة الخطاب إلى البطل[1]. ولعل أهم سمة تُميز المقامة عن غيرها من الأشكال هى بنيتها السردية التى ركز عليها النقاد المحدثون وأشار إليها القدماء إشارة خفية ضمنية بقولهم: «نسبة الخطاب إلى البطل» مع معرفتهم لها عمليا لا اصطلاحياً. هذه البنية التى تشكل الخصيصة السردية للمقامة، والشكل

---

(١) يراجع يتيمة الدهر، للثعالبى جـــ١ص٢٥٧

– زهر الآداب، للحصرى، تحقيق زكى مبارك ط الرابعة – بيروت ١٩٧٢م، جـــ١ ص٣٠٥.

السردى الذى يتكرر بوتيرة كبيرة فى المقامات، مرتباطاً بعودة الشخصيتين الرئيسيتين (الراوى والبطل)، فمهما يكن من تنكر البطل، ينتهى الراوى دائما بالتعرف عليه، هذا التعرف الذى يفترض عبوراً من المعرفة الوهمية إلى معرفة حقيقة.

فقد استطاع ابن الخطيب أن يحافظ على إطار المقامة التراثى خاصة وقد شغف بجماليات هذا الفن، فحذا حذو نماذج مبدعيه من أمثال «الهمذانى» و«الحريرى» ومن نهج نهجهم، واقتفى آثارهم. واستطاع أن يجدد فى ضوئها، ويضفى عليها لمساته الفنية وسماته الاسلوبية، دون أن يخرج عن أساسيات هذا الفن التراثى المميز، المتمثل فى بنيتها السردية، ونسبة الخطاب إلى البطل، وأناقة العبارة وسمو الأسلوب، والجمع بين الجد والهزل والواقع والمتخيل.

مع إضافة لمساته الإبداعية التى أثرت هذا الفن.

وسنعرض أولاً للبنية السردية فى «معيار الاختيار» باعتبارها أهم ملمح من الملامح التى تُميز المقامة عن غيرها من الأشكال الأدبية، والتى نُتبعها ببيان ما يمتاز به «معيار الاختيار» من سمات وخصائص تعبيرية، تجمع بين الحقيقة والخيال، والجد والهزل، وأناقة العبارة وسمو الأسلوب.

البنية السردية «لمعيار الاختيار»:

البنية المميزة لمقامة «معيار الاختيار» اتصفت بأنها استندت إلى ركنين مهمين:

أولهما: راوى ينهض بمهمة إخبارية محددة معلومة.

وثانيهما: بطل ينجز مهمة خاصة واضحة ومن تفاعلهما معاً تكوَّن المتن الحكائى للمقامة الذى قوامه (الراوية والحكاية، والعلاقة التى تربطهما معا).

وبذلك توافق «معيار الاختيار» مع ما تتصف به البنية السردية المميزة للمقامة[١] فى اتصافه بثلاث خصائص سردية تميز المقامة عن غيرها من الأشكال القصصية، وهى: **الراوى والشخصية والحدث.**

أولاً: الحدث:

الحدث الذى يدور حوله معيار الاختيار بمجلسيه يكثف لنا المواقف والتطورات التى تصيب الشخصيات، وهو حدث يتسم بالبساطة فى أحداثه وعقدته. إذ يقوم على محور واحد تصاعدى، وهو بهذا لا يخرج عما حرص عليه كتاب المقامات، وعلى رأسهم «بديع الزمان» و«الحريرى»، والذى يتضمن سبعة عناصر:

العنصر الأول: التهيئة

وترتبط التهيئة براوى المقامة المشارك فى أحداثها «هذا الراوى الذى يعد البوابة التى تمرر المقامة إلى المتلقى» وهو هنا أتى بصفته لا باسمه (من يُعنَى بالأخبار يرويها فى المجلس الأول، والمخبر فى المجلس الثانى)... إذ يقوم بسرد بعض الأحداث التى تمثل بداية المتن الحكائى للمقامة، بما يمثل تهيئة أو تمهيداً لا غنى عنه، من خلال الفعل (حدث) فى المجلس الأول، و(قال) فى المجلس الثانى.

يظهر هذا الراوى حتى يتكفل بمهمة ترتيب مكونات العالم الفنى للمقامة، فيستعيد واقعة شهدها، ويركز اهتمامه حول شخصية مركزية، تكون محوراً للأحداث ألا وهى شخصية الشيخ الأديب الرحالة، الذى جاب البلاد شرقاً وغرباً، واطلع على أحوالها وكل غريب وعجيب بها، وبرع فى وصفها، وأحاط بشتى العلوم والآداب والفنون والفلسفات والأديان والمعتقدات الشعبية للشعوب.

---

(١) يراجع السردية العربية، عبد الله ابراهيم المركز الثقافى العربى ط ١١، ١٩٩٢م، ص١٨٥ -١٨٦.

العنصر الثانى: الاتصال[١]

هو اتصال الراوى المشارك بجماعة من الناس لهم سمات خاصة ففى المجلس الأول هم نزيلى مكان الاستضافة (الخان) الذى أُعِد خارج المدينة لاستراحة المسافرين بالأندلس، وهم يتسمون بالرفق، والرقة، والألفة، والذوق الأدبى العالى. بينما فى المجلس الثانى كانوا الجمع الهائل من قاصدى «سوق الغبار» – أحد أسواق العامة بالمغرب – الذين يمثلون أنماط المجتمع.

العنصر الثالث الاحتيال[٢]

بمجئ هذه الوظيفة يكون القارئ على علم بالدور الذى ينهض به البطل بوصفه راوياً إلى جانب بطولته للحكاية. فهو يقوم بعد أن يُمنح من الراوى المعلوم حق الراوية بوصف حاله وتحسره على ما فاته من الشباب، وعدم القدرة على التمتع باللذات، واجتراره لذكريات مضت، وعهد انقضى خلف وراءه الحزن والأسى والألم؛ ليخلق تعاطفا وجدانياً مع المروى له، هادفاً من وراء ذلك إطلاع القارئ على أنه صاحب تجوال ورحلات، وقدرة على وصف البلدان مغرم بالحديث عنها لا يمل منها؛ مما حدا بالراوى الأصلى أن يطلب منه وصف العدوتين وأن يلتزم فى وصفهما العدل. وطلب البطل من الراوى أن يبين المدن التى يبغى وصفها.

ولكن البطل يتخذ من انتهاء الليل ذريعة ليقف عند وصفه لمدينة «رندة»، لتكون آخر المدن الأندلسية التى وصفها فى المجلس الأول، ويغرى الراوى بأنه إذا أجزل له العطاء فهو سميره حتى يروى عطشه مما يجعل الراوى يجزل له العطاء ويضاعفه.

وعلى الرغم من إجزال العطاء الذى أثنى عليه البطل إلا أنه يفارقه على حين غفلة.

---

(١) يراجع السردية العربية، عبد الله إبراهيم، ص١٩٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٣.

وكذلك جعل «غساسة» آخر مدينة مرينية يقف عند وصفه لها متخذاً من انتهاء النهار، وفض السوق ذريعة، بعد أن حفز الراوى على أن يجزل له العطاء الذى بالغ فيه الراوى مما جعله يلهج بالثناء إلا أن الراوى فجأة يكتشف أن البطل هو الشيخ بطل المجلس الأول الذى أجزل له العطاء وأخلف وعده.

ولا يجعل ابن الخطيب هذا الاحتيال هو موضوعه الذى يسلط عليه الأضواء، بل يجعل منه وسيلة سردية تشويقية للوصول إلى هدفه، وهو وصف هذا الرحالة للمدن الأندلسية والمرينية.

العنصر الرابع: الفوز

ينجح الشيخ «البطل» فى تحفيز وترغيب الراوى بأنه سيكون سميره حتى يشفى غليله. على أن يجزل له العطاء ويضاعفه، معلنا فوزه على المستوى المعنوى بإثارة إعجاب الراوى، وإعجاب سامعيه سواء فى الثقيفة أو فى السوق، وعلى المستوى المادى بنيله وفوزه بوافر العطاء.

العنصر الخامس: الاكتشاف

ويكتشف الراوى بعد أن أجزل وضاعف للبطل العطاء؛ ليحفزه على أن يكون سميره كما وعد. ويفاجأ بعد برهة غفل فيه جفنه باختفاء الشيخ، ولم يبق إلا آثار ثوبه وحماره فى المجلس الأول، كما يكتشف فى المجلس الثانى أن البطل هونفس البطل فى المجلس الأول بعد أن أجزل له العطاء.

العنصر السادس: التعرف

ويتعرف الراوى على ذهابه بعد أن يقتفى أثره هو وحماره فى المجلس الأول، ويتعرف ويتأكد فى المجلس الثانى من خلال مواجهته للشيخ بتعرفه عليه.

العنصر السابع: الفراق

وهو يمثل حالة الاستقرار النهائى – مؤقتا – وهى تعنى أن الراوى المشارك فى الأحداث قد أعلن فراق البطل، وأعلن حزنه الشديد على فراقه الذى يترك ندوباً عميقة، لا تستطيع الأيام أن تمحو آثارها.

والملاحظ على هذا الجزء الأخير أن الراوى يلعب دور المخبر الذى يدفعه الشك لأن يتأكد من سبب فراق الشيخ (البطل) وإخلافه لوعده، ولذلك قال المؤلف فى بداية المجلس الثانى: قال المخبر أى: «الذى يتقصى الأخبار ويتتبعها».

وبهذا الجزء الأخير تُسدل الستارة على أحداث المجلسين، فكل جزء فى معيار الاختيار اختص بمهام تهيئ للجزء الذى يليه.

– **الجزء الأول:** التقديم للأحداث عن طريق وضع القاعدة الزمنية والمكانية ورسم الشخوص.

– **الجزء الثانى:** مختص بالأحداث التى تتطور عن طريق الحدث وتواليه وتتابعه مشكلاً المفاجأة التى تكون نهايتها فى الجزء الثالث.

–**الجزء الثالث:** وهو ظهور لحظات التجلى والانكشاف.

وهكذا نجد «ابن الخطيب» فى معياره قد التزم بأهم العناصر التى يجب توافرها فى بنية حدث السرد المقامى.

ثانياً الشخصيات:

الشخصيات فى معيار الاختيار شخصيات متخيلة، يتوارى المؤلف خلفها، ينطقها بما يريد أن يطرحه على المتلقى من أفكار ورؤى متخذا منها قناعاً.

ولا يشارك المؤلف إلا فى التقديم لمؤلفه، وسرد ما دار بينه وبين الراوى، تلك الشخصية التخيلية التى يجرى على لسانها هذا السرد، ويخبرنا أنه أخبره به، فيستحضر السرد على لسان الراوى الإخبارى، والمخبر الذى ولع بالأخبار والرحلة ووصف البلدان منتهجاً فى ذلك نهج رواد المقامة ومن نهج نهجهم.

وتنقسم تلك الشخصيات من خلال دورها فى المتن السردى الحكائى لـ«معيار الاختيار» إلى شخصيات محورية لا غنى عنها، ولا يقوم القص إلا من خلالها، فهى أساسية فى سير الأحداث، وشخصيات ثانوية ترتبط ببعض الأحداث الثانوية فى المتن الحكائى، وشخصيات هامشية يأتى دورها على هامش المتن الحكائى.

أولاً: الشخصيات المحورية

شخصية «الراوى»: هى شخصية مشاركة فى الأحداث هذا الراوى الذى يجعله المؤلف صوتاً للتراث، والذى يصفه بقوله: «وبحسب ذلك حدث من يُعنى بالأخبار ينقلها، والحكم يُصقلها، والأسمار ينتقيها، والآثار يخلدها ويبقيها، والمجالس يأخذ صدورها، والآفاق يشيم شموسها وبدورها، والخفيات يبديها، وقد جرى ذكر البلدان، وذكر القاصى والدان، ومزايا الأماكن، وخصائص المنازل والمساكن، والمقابح والمحاسن، والطيب والآسن. قال:...»(١).

فإذا نحن ننتقل من سرد المؤلف إلى سرد الراوى الذى يستغرق المجلس الأول والمجلس الثانى. ويسيطر على السرد فى «معيار الاختيار» من خلال سرده الذى يبدؤه بوصفه للزمان والمكان، والأجواء التى التقى فيها بشخصية العالم «الحَبر» الذى يلعب دور البطل، والتى تدور حوله الأحداث، ومن خلاله تتطور فيسرد الراوى ما دار بينه وبين هذا الشيخ من أحداث.

ونجد شخصية الراوى شخصية ساعية إلى العلم، وباحثة عنه، مستوعبة طواقة إلى التزود بالمزيد من المعلومات، تجزل العطاء، وتغدق على من يثريها بالجديد بسخاء، تحسن الإنصات، وتتميز بدقة الملاحظة، شغوفة بالتأمل والبحث، متفاعلة حساسة مشاركة، تهزها الغربة والأنين والحنين، حريصة على أن تكون أنموذجاً وصورة مثلى لما يجب أن يكون عليه طالب العلم، من آداب وصبر

---

(١) معيار الاختيار، ص١٧٢.

ومثابرة ومداومة وحسن سلوك، ولطف ودماثة وخضوع، وحسن اختيار، وتحين الفرصة والوقت المناسب للسؤال، وتحديد الهدف ووضوحه، وسعيه الدؤوب لتحقيقه.

وقد جعل المؤلف شخصية الراوى منفتحة غير محددة (باسم) وصالحة أن تكون شخصية الاخبارى وحامل التراث فى كل زمان ومكان، فلم يطلق على الراوية اسم مثل «بديع الزمان» أو «الحريرى» أو من نهج نهجهم.

ولم يصفه بصفات جسمية وشكلية، ولكنه ركز على صورة الراوى الحامى الحامل للتراث، وما يعنى به من الاختيار والانتقاء للأخبار، والصقل والنشر وتخليد الآثار، والمحافظة عليها وإبقائها، ويُظهر ما خفى من المعارف والعلوم، ويهدى الطُرف، ويصقل الحكم، ويتصدر المجالس ويقابل بالتبجيل.

شخصية البطل:

وهى شخصية محورية يدور حولها سرد الراوى، ومن خلالها تتطور الأحداث وتتفاعل مع غيرها من الشخصيات، والبطل واحد فى المقامتين، وإن تغير شكله، وموه وخفى فى البداية على الراوى وسمه، ويصف الراوى وسمه، وعلومه ومعارفه وأدبه وبلاغته والعديد من صفاته وإن لم يطلق عليه اسم، بعكس بطل المقامة عند «الهمذانى» و«الحريرى» ومن سار على نهجهم يظهر ذلك من خلال وصف الراوى له، ومن خلال سرده لتصرفاته وأقواله.

فمن خلال وصف الراوى له يصوره بأنه «أمنا فى زى خائف، وهو شيخ يبدو عليه الذهول والصمت، وكأنه طاف منه بالأرض طائف، فهو ذو عكاز غريب، شَعْره انتشر فيه الشيب، ذو وفرة كثيفة، ضلوعه صلبة شديدة بارزة، تتأثر بالزفرة والنفس كناية عن نحافته وصلابته، تعلوه هيبة لبياض شعره، يرتدى مسبحة يديرها فى ذراعه – رقطاء – وكأنها حية، ذات حبات بيضاء وسوداء، وإلى يمينه دلو ممتلأ متسع، وعن يساره تلميذ مراهق، وأمامه حمار ناهق.

هذه الصورة التى صورها الراوى للبطل، صورة تشد انتباه المتلقى، وتجعله يتطلع لأن يدرك كنه هذه الشخصية، التى يكتنفها الغموض «أمناً فى زى خائف، وشيخاً طاف منه بالأرض طائف، حتى سكن اليمامة والطائف... »[١].

بالإضافة إلى المؤثرات الأخرى المحيطة والمرتبطة بهذه الشخصية التى تزيد من الغموض وتعمقه، وتلقى عليه هالة «وقد دار بذراعه للسبحة الرقطاء حنش، كما اختلط روم وحبش، وإلى يمينه دلو فاهق، وعن يساره تلميذ مراهق، وأمامه حمار ناهق»[٢].

بل يجعل أول ما يتفوه به شعراً يلفت الانتباه، يظهر مدى الرضا والإعجاب بالمكان، يتبعه بشعر مترع بالشكوى والأنين من ذهاب الشباب، والغربة التى لا تنتهى إلا بيوم الحساب، ومن شر نفسه التى تأبى إلا أن تخوض فى الغى، ولا ترتدع ولا تنقاد. وهو لا يجد ملجأ إلا الدعاء والتضرع والتوسل إلى الله. بأن يشفع فيه شيبه ولا يحرمه القرب منه وحسن المآل.

فهو شاعر مجيد، وناثر بليغ، وصاحب تجارب، عرك الحياة وعركته، رحالة صاحب تجوال، وتجاوب فى جميع الأقطار، خاض الأهوال صاحب حمية، ونفس أبية، يعتز بذاته وبخبراته، جمع بين شتى العلوم والفلسفات والأديان والفنون والآداب، وبين الفتوة والمغامرات، والفروسية والانغماس فى الملذات، واقتحام مجالات شتى فى الحياة، وخاض الكثير من الحروب، واطلع على شتى الحضارات وتأثر بها، وجال جميع الأقطار، واطلع فيها على كل عجيب وغريب، ورأى منها ما لم يراه إلا القليل مثل غار الأرواح، وبلاد الواقواق[٣].

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٧ -١٣٨.

(٣) يستدعى كلام البطل كل ما روى المؤرخين والرحالة العرب عن كل عجيب وغريب وخاصة معاصره وصديقه ابن بطوطة فى مؤلفه تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

وهو صاحب قدرات خارقة قهر الجن، ومشاعر وأحاسيس رقيقة وفياضة، يمرض لمرض العيون، فهو عاشق ولهان، وصاحب مغامرات، مغرم باقتناء التحف والآثار(١).

وهو عالم بعلوم العامة والخاصة، ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم واهتماماتهم يأتى بكل عجيب وغريب، ويظهر قدراته الخارقة فى فنون السحر والتداوى، وقراءة النجوم والطالع كما أبرزه فى مجلسه الثانى(٢).

فهو المعادل الموضوعى للمؤلف الذى من خلاله عبر عن مشاعره وعلومه ومعارفه وخبراته وثقافة عصره.

الشخصيات الثانوية:

أولاً: شخصية الغلام الملازم للبطل، والذى يقوم بتحفيزه والتقديم له فى المجلسين، الذى يتسم بالذكاء والألمعية، القدرة على اختيار الوقت المناسب لاستثارة الشيخ، والذى يظهر معه فى أول مشهد فى بداية المجلس، ويتلاشى دوره بعد ذلك، فلا يُذكر إلا عرضاً، والذى اكتفى بوصفه فى المجلس الأول بقوله عند وصفه للبطل «وعن يساره تلميذ مراهق»(٣).

ومن خلال سرد الراوى لتصرف الغلام – الذى افترت عن الدار شفتاه والذى نجح فى استثارة البطل وتحفيز قريحته وإثارة كوامن نفسه من خلال أسلوبه الذى يجمع بين دلاله ومجونه بقوله:

«قال فتاه – وقد افترت عن الدر شفتاه – مستثيرا لشجونه، ومطلعاً لنجوم همه من دجونه، ومدلاً عليه بمجونه وماذا بلغ الشيخ من أمدها ورفع من عمدها، حتى يقضى منه عجب، أو يجلى منه محتجب؟»(٤). هذا الأسلوب الاستفهامى

---

(١) يراجع: معيار الاختيار، ص٧٤-٧٧.

(٢) يراجع: المصدر السابق، ص١٣٨-١٤٠.

(٣) يراجع: معيار الاختيار، ص٧٣.

(٤)معيار الاختيار ، ص٧٤.

الاستخفافى الذى أطلقه الغلام الذى يجمع بين الجمال والخفة والدلال والظرف والمجون والذكاء والقدرة على استثارة كوامن النفس، الذى لم يتعد سن المراهقة.

وبوصفه فى المجلس الثانى بقوله: «وأمامه تلميذ قد شمر الأكمام، والتفت الخلف والأمام، وصرف لوحى لحظه الاهتمام»(١). وبذلك ينتهج المؤلف نهج المقامات المشرقية التى عادة ما يظهر فيها فتى يرافق البطل.

ثانياً: شخصية القائم على مكان الاستضافة (قيم الخان)(٢)

وهى شخصية ثانوية قد ظهرت فى بداية المجلس الأول وآخره، استطاع المؤلف أن يوظفها فى بداية المجلس؛ ليظهر ما في المكان من سبل الراحة(٣) واللذة، وليزيد من المفارقة بين الزمان والمكان ويعمقها، وليحرك الأحداث نحو فراغ الراوى للتأمل بالتفيفة والتقائه بالبطل.

ومن خلال إظهار الرضا التام للبطل عن المكان الذى حقق له الراحة، ووفر له العديد من اللذات، مما جعله يرفع صوته بإنشاد أبيات شعرية تعلن عن رضاه التام عن المكان والقائم عليه، مما يلفت انتباه الراوى إليه، ويزيد اهتمامه به، لتتوالى الأحداث.

وهو يتسم بكونه كثير البشاشة، لطيف، حسن المخبأ، ورحب الصدر، قنوع لا يتطلع لما يقدمه للنزلاء، ولا ينظر لما فى أيديهم، يروِّح عن النزلاء، ويزين لهم المكان، ويتفانى فى خدمتهم، حافظاً للسر، أميناً كاتماً للأسرار، لا يشى بما يطلع عليه من ريب وزلات الأعيان، ولا ما يدور من أمور تُريب، ويتفانى فى بِرّ النزلاء.

---

(١) المصدر السابق، ص٧٤.

(٢) الخان: الخان مفرد جمعه خانات، وهو نُزُل للمسافرين مهيأ للمبيت والطعام والإقامة المؤقتة مقابل ثمن.

– يراجع المعجم الوسيط، مادة «خان»، لسان العرب، مادة «خان».

(٣)المصدر السابق، ص٧٣.

«ذى قيم كثير البشاشة، لطيف الحشاشة، قانع بالمشاشة، يروح ويشى، ويقف على ريب الأعيان وأعيان الريب فلا يشى، برَّ فأكثر، ومهد ووثر، وأدفأ ودثر، ورقى بسور استنزاله فأكثر»(١).

بالإضافة إلى أنه صبور يظهر ذلك من قول الراوى سارداً تردد غلام البطل على قيم الخان، وتحقيق القيم لما يهواه الشيخ «وتردد على قيم الخان زغلوله، فأتاه بما يهواه رسوله»(٢).

نشيط لا يمل من تفقد المكان باستمرار، وتفقد طلبات النزلاء، ومبادر بكل ما يهئ الراحة لهم، يظهر ذلك من قول الراوى فى آخر المجلس الأول: «وقام قيم الخان إلى عادة الافتقاد، وبادر سرجه بالإيقاد»(٣).

وابن الخطيب كعادته لم يجعل له اسماً ولكن اهتم بوسمه (بمهمته الوظيفية) فى البناء السردى وينتهى دور شخصية القيم على الخان بانتهاء المجلس الأول.

الشخصيات الهامشية وتتمثل فى:

أولاً: نزلاء مكان الاستضافة (الخان) فى المجلس الأول:

يشير الراوى فى بداية المجلس الأول، عند وصفه للمكان، الذى نزل فيه للاستراحة (الخان)، إلى نزلاء المكان الذين زادوه ألفة ورفقة وحميمية، يظهر ذلك من خلال قول الراوى: «وأعجبتنى – من رفقاء الرفق – الألفة»(٤)، وقوله :« فلم يبق فى القوم إلا من أشفق وحنّ»(٥) الذين يبدو أنهم يمثلون طبقة اجتماعية رفيعة فى المجتمع الأندلسى، وإن اختلفت مشاربهم بين طريد وعابد ومرابط وماجن.(٦)

يبدو هذا جليا من وصف المكان الذى نزلوا به. وهو ينتهج نهج المقامة المشرقية فى الالتقاء بجمع، وإن وظف ذلك بدقة لتعميق صورة المكان.

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٣.
(٢) المصدر السابق، ص٧٤.
(٣) المصدر السابق، ص١٣٣.
(٤) المصدر السابق، ص٧٣.
(٥) المصدر السابق، ص٧٤.
(٦) المصدر السابق، ص٧٣.

ثالثاً: مرتادى سوق الغبار فى المجلس الثانى

يلتقى الراوى فى المجلس الثانى بهذا الجمع الغفير من قاصدى ومرتادى سوق الغبار، من العامة الذين يمثلون كل الأنماط والطوائف، على اختلاف سلوكياتهم وتصرفاتهم وهيئاتهم؛ ليتعرف على البطل(١) الذى شد انتباهه من بينهم.

ولا يشير إليهم الراوى إلا فى نهاية المجلس الثانى؛ ليمهد بانتهائه من خلال تفقد الشيخ لهم(٢). وهكذا ينتهج ابن الخطيب نهج المقامة المشرقية، وإن استطاع أن يوظف هذا التقليد ليلقى ظلاله على شخصية البطل ومعارفه الشعبية، وانبهار جمهوره به، ويسترسل فى وصف الجمهور وصفا دقيقا مشوقا فى إطار وصفه لمكان الحدث (السوق).

ثالثاً: المدى:(٣)

المدى الذى يدور فيه معيار الاختيار يشمل المكان والزمان، المكان الذى يرتبط بالوصف الذى هو الأداة التى يتشكل بها المكان، والزمان الذى ترتبط صياغته بالسرد.

ويربط الراوى فى سرده بين الزمان والمكان بمهارة فائقة، فإذا الزمان يمكن المكان، والمكان يزمن الزمان.

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٨٤.

(٣) **المدى:** هو إحضار الزمان والمكان مع الحدث، وهو ظاهرة فنية فالمكان يزمن بالزمان، والزمان يمكن بالمكان ويطلق عليهما معاً «ميشال بوتور» المدى.

يراجع: بحوث فى الراوية الجديدة، ميشال بوتور، ترجمة فريد أنطونيوس ط دار عوديات – بيروت ١٩٦٧م، ص٧٨.

المدى وفضاء النص

يرتبط المكان بالشخصيات فى «معيار الاختيار»، ويحمل المكان فى طياته الرموز الملازمة لها، المرتبطة بعصره، وثقافته السائدة، ورؤياه الخاصة للعالم، كما يرتبط بالحدث. فتتعدد الأماكن بتغير الحدث وتطوره، وتخلق الأحداث أبعاداً فى ذهن الشخصيات مكونة من مجموع الأمكنة الحقيقة والذهنية ما يعرف بفضاء النص(١).

فضاء النص: السفر الذى هو حركة فى الفضاء والتجوال، حاضر بكل أشكاله فى «معيار الاختيار». فهو غنى بالتجوال وأسماء الأماكن، ولا يقف فى سفره عند حدود وصفه للبلدان الغرناطية، والمرينية فى الغرب الإسلامى فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى، بل يتحرك فى فضاء العالم الرحب جله، فقد جاب بطله البلاد من أقصى شرقها إلى أقصى غربها.

فاستطاع ابن الخطيب أن يفتح فضاء النص، فنقطة التطواف وأفق السعى والتنقل ليس له نهاية فى معياره، والوصول إلى موضع لا يكون سوى استراحة وتوقفاً مؤقتا، ونوعاً من استرداد الأنفاس، وتأكيد لعبور جديد.

يقول الراوى على لسان بطله فى بيان أسفاره وخبراته «وجبت البلاد وحضرت الجلاد، وأقمت الفصح والميلاد، فعدت من بلاد الهند والصين بالعقل الرصين، وحذقت بدار قسطنطين(٢)، كتاب اللطين(٣)، ودرست مدارس أصحاب

---

(١) بناء الرواية، سيد قاسم ط دار التنوير – بيروت ١٩٨٥م، ص٧٥.
بنية النص السردى من منظور النقد الأدبى، حميد الحمدانى ط المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، بيروت ط٣ ٢٠٠٠م ص ٦٤، وقد نص فيه على أن (الفضاء أشمل وأوسع من المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء).

(٢) قسطنطين: ملك من ملوك الروم سميت عاصمة ملكه باسمه (القسطنطينية) يراجع معجم البلدان، لياقوت الحموى جـ١٥ ص٣٤٧.

(٣) كتاب اللطين: يعنى به اللاتينية.

الرواق[١]، ورأيت غار الأرواح وشجر الوقواق، وشربت حلل اليمن ببخس الثمن، وحللت من عدن حلول الروح من البدن، ونظرت إلى قرن الغزالة لما شدن، وأزمعت عن العراقين سرى القين، وشربت من ماء الرافدين باليدين، وصليت بمحراب الدمنى ركعتين، وتركت الأثر للعين، ووقفت حيث وقف الحكمان[٢]، وتقابل التركمان[٣]، وأخذت بالقدس عن الحُبْر النُدس، وركبت الولايا، إلى بلاد العلايا[٤]، بعد أن طُفت بالبيت المعمور، وحصلت بطيبة على الخصب والريف، فى فصل الخريف، وقرأت باخميم[٥]، علم التصريف، وأسرعت إلى الانحطاط إلى الفسطاط[٦]، والمصر الرحب الاختطاط، وسكنت مدينة الإسكندرية ثغر الرباط،

---

(١) أصحاب الرواق: يقصد الرواقيين وهم فرقة من الفلاسفة القدماء نشأت فى القرن الرابع قبل الميلاد ببلاد الإغريق، تنقسم عندهم الفلسفة إلى المنطق والطبيعة وعلم الأخلاق، ولا يفصلون العناية الإلهية عن القضاء، كما لا يميزون بين المادى والروحى، وأن الكون يسوده النظام، ويسوسه المنطق، وأن على الإنسان أن ينظم نفسه، فيحتل مكانه فيه وبهذا تحققت عندهم الوحدة الكونية، ويعد «زينون الرواقى» مؤلف هذا المذهب الذى ولد بقبرص، وجاء إلى أثينا وهو من أصل فينيقى.

- يراجع: الرواقيين لأحمد زكى، مجلة العربى عدد (١٣٤) يناير ١٩٧٠م.

(٢) هما أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص لما احتكم على ومعاوية لهما بعد موقعة صفين، عام (٣٧هـ-٦٥٧م) فى أمر الخلافة وانتهت بتولى معاوية.

- يراجع: مروج الذهب فى أخبار من ذهب، للمسعودى جـ٢ ص٢٠-٢٢، «وقعة صفين».

- تاريخ الأمم والملوك، للطبرى جـ٦ ص٣٣-٤٣.

(٣) التركمان: قبائل تعرف منذ القرن الثانى عشر الميلادى وقد أخضعها التتار، وتعيش الآن فى تركستان الغربى، وإيران وما وراء القفقاس، يراجع: هامش معيار الاختيار ص٧٦.

(٤) العلايا: مدينة ساحلية بآسيا الصغرى، أسسها «علاء الدين كيقوباذ» عام ١٢٢٠م.

(٥) أخميم: مدينة أثرية على شاطئ النيل الشرقى بمحافظة (سوهاج) بمصر.

- يراجع: معجم البلدان جـ١ص١٢٣.

(٦) الفسطاط: مدينة أنشأها «عمرو بن العاص» عند فتحه مصر عام (٢٠هـ -٦٤٠م) وجعلها عاصمة وهى أحد ضواحى مصر القديمة.

وعجلت بالمرور إلى التكرور[١]، فبعث الظل بالحرور، ووقفت بأشبانية إلى الهيكل المزور، وحصلت بافريقية على الرفد غير المنزور، وانحدرت إلى المغرب، ورابطت بالأندلس ثغر الإسلام، وأعلمت بها تحت ظل الأعلام»[٢]. وهكذا يرتبط فضاء النص فى «معيار الاختيار» بتعدد الأماكن، وتصوير سيرورة الحدث، وتدفق الزمان فيه، مما يضفى واقعية على النص ويقربه إلى ذهن المتلقى، بتردد ذكر تلك الأماكن المعروفة جغرافياً وتاريخياً.

وإذا كان الفضاء المكانى لمقامات «بديع الزمان» و«الحريرى» **هو المشرق العربى** فالراوى والبطل يجولان فيه حتى يبلغا التخوم التى يقطنها الروم: عبر مملكة الإسلام.

فإن ابن الخطيب رغم اتساع الفضاء النصى الذى يتجول فيه بطله إلا أنه **يركز على الفضاء المكانى فى العدوتين الأندلسية والمغربية، أى فى الغرب العربى من المملكة الإسلامية،** التى تحدها الثغور، والتى تسود فيما وراءها الآخرية، فإذا هو فى معياره يقترب من مؤلفات الجغرافيين العرب الذين قصروا رؤيتهم عمداً على مملكة الإسلام[٣] مثله مثل مقامات الهمذانى والحريرى[٤].

---

(١) تكرور: شعب من الزنج يسكن الجزء الأكبر من وهاد (قوتة) السنغالية، ويعرف باسم Foucouleur.

(٢) معيار الاختيار، ص٧٥-٧٧.

(٣) يراجع: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، للمقدسى تحقيق دى خويه «سلسلة المكتبة الجغرافية العربية» المجلد الثالث، ط ليدن ١٩٦٧م، ص٢٩. والذى ينص فيه على أنه لم يذكر إلا مملكة الإسلام فحسب وإنه لم يتكلف غيرها؛ لأنه لم ير فائدة من ذكرها.

(٤) المقامات السرد والأنساق الثقافية، لكليطيو ص٨.

المكان:

يتنوع المكان فى معيار الاختيار فيكون مكان السرد هو الخان، والثقيفة الغرناطية الممهدة للإقامة والاحتفاء والضيافة حيث الراحة والخدمة والرفاهية والأمان والخصوصية، بينما خارجه يكتنفه الخطر فى المجلس الأول، رامزاً به ابن الخطيب لهذا المكان للحياة الهنيئة الوارفة الخصبة التى تنعَّم فيها فى ظلال الأندلس، والتى ما زالت تداعب خياله، وهو فى منفاه بالمغرب، والخطر الذى يتهدده ويتهدد من يفارقها.

يكون مكان السرد فى المجلس الثانى سوق من أسواق العامة (سوق الغبار) بالمغرب، والذى يبدو أن السمة الغالبة عليه هو الزحمة الشديدة والضوضاء، ويعلوه الغبار، وتتوافد عليه أمم تنسل من كل حدب. ويصف سلوك قاصديه، وما يميزهم فى اللباس والسلوك، ويصف السوق وما به من بضائع وخدمات معروضة، وضروب من البشر، منهم الطفيليين وشاهدى الزور والمرائين المظهرين للتدين وحللة العُقد، ودَرَسة الغى، و طهاة الكى، ورقاة الجنون بضروب من القول وفنون، مصوراً حياة العامة وسلوكياتهم وعاداتهم ومعتقداتهم فى المغرب العربى، والتى ما زالت إلى الآن تشتهر بها، من كلف بالأطعمة والأشربة، واحتفاء شديد بها، وبالكى والتداوى به والاعتقاد فى السحر وشدة تأثيره، والاحتفاء بالرقية منه وإبطاله، والرقية من الجنون رامزاً بهذا المكان إلى ما يعانيه من غربة وتوتر واضطراب وانتقال حاله من حياة مرفهة إلى حياة أخرى غريبة عنه.

ويبدو أن المؤلف يأبى أن يجعل الراوى فرد من أفراد عامة الشعب، أو مرتاد من مرتادى هذه الأسواق العامة بل نشعر أنه يجعله ينظر إليهم نظرة فاحصة من برج عال فهو يرتاد السوق (للاعتبار) أى للسياحة والمعرفة من خلال التفقد له دون الانغماس فيه مما يعكس طبيعة شخصية «ابن الخطيب» الذى يعتز بمنزلته مما يظهر غربته النفسية التى يعانيها فى المغرب على الرغم من العناية المحاط بها من السلطان المرينى.

فينجح المؤلف فى أن يجعل «الخان» الذى يرمز له بوطنه الأندلس. مكان يسعد ويهنأ فيه كل المقيمين فيه، يربط بينهم الألفة ورحابة الصدر والتقبل للآخر مع اختلاف مناحيهم فى الحياة على الرغم مما يتهددهم خارجه، ويعكس هذا الشعور ليلف حديثه عن المدن الأندلسية، بينما تسيطر الزحمة والكفاح، والتضارب والضوضاء على وصفه للمدن المغربية.

وهكذا يُسقط المكان دلالاته المتعددة على مجلسى معيار الاختيار، فيُسهم بهذه الدلالات فى بناء المعنى، ويكشف عن الحالة الفكرية والنفسية والاجتماعية لشخوصه، بعد أن يُسقط حالتهم على المكان الذى يتواجدون فيه. فيحمل المكان بذلك دلالة الهدوء والارتياح فى المجلس الأول، ودلالة القلق والتوتر فى المجلس الثانى.

ويختار المؤلف مكان السرد فى مجلسيه **مطلقين غير مقيدين،** فهو خان من الخانات الفخمة السامقة التى تنتشر بين المدن فى المجلس الأول، وسوق من أسواق العامة فى المجلس الثانى، **ولم يحددهما باسم أو مدينة ليفتح مكان السرد،** ويتركه لمخيلة المتلقى، بالإضافة إلى أن جل اهتمام الراوى كان منصباً على وصف المدن الأندلسية والمغربية، الذى هو غايته، والذى يريد أن يكون مداراً للسرد.

الزمان:

إذا كان زمن السرد فى «معيار الاختيار» هو ليلة واحدة يبدأ ببدايتها المجلس الأول وينتهى بنهايتها، ونهار يوم واحداً يبدأ ببدايته وينتهى بانتهائه فى المجلس الثانى، إلا أن الراوى **قد فتح وأطلق هذه الليلة وهذا اليوم ولم يقيده** ليجعل نصه صالحاً لكل زمان.

وإذا كان زمن السرد يتحدد بليلة ويوم، فإن زمن فضاء النص يتسع فى معيار الاختيار ليضرب فى أعماق الماضى من خلال سرد واستحضار عبق التاريخ واستحضار الماضى بزخمه فى بنية النص من خلال ذكر أحداث وشخصيات وأشعار ومدن ونصوص ترتبط بأزمنة تستوعب تاريخ وزمن

الحضارات الإنسانية شرقاً وغرباً التى غدت جزء من الحضارة الإسلامية والعربية. فيستحضر الماضى عبر الحاضر من خلال النصوص التراثية وشخصيات الماضى وأحداثه فهو لاينفصل عن الألفة مع النصوص وشخصيات الماضى.

فالبطل والراوى فى «معيار الاختيار» مسافران لتصيد المعرفة والأدب عبر حدود العيان وعبر التراث، ليتحركا عبر الزمن ويسيطرا على التعاقب، ففى كل لحظة تنبثق ذكريات من أعماق العصور لا يمكن أن تبلغها الملاحظة المباشرة ابتداء من زمن حضارة الهند والصين وحضارة مصر القديمة بطيبة، وحضارة الإغريق الرواقيين فى القرن الرابع قبل الميلاد وحضارة الرومان حتى عصره.

فهذا (الحبر) أو (الشيخ) البطل تشخيصاً للثقافة العربية إنه الإخبارى، مستودع المعرفة وراوٍ لتراث إنسانى محاط بإجلال خاص، فهو صوت التراث، صوت فى ذات الوقت وطريق يسلكه ابن الخطيب فى منعرجاته ومفاجآته فيؤكد على قيم كان يمجدها الأسلاف ويعلن عن دوام هوية عبر تعاقب الأجيال متشبثا بها فى وقت تتعرض فيه هذه الهوية إلى هزات عنيفة من خلال عدو ينقض عليها، ويحاول أن يقضى عليها تماماً من خلال انقضاضه على الولايات الأندلسية ولاية إثر ولاية ومحاولاته الدائمة لتغريبها وتنصيرها ومسح هويتها.

فإذا هو يستحضر الماضى بعبقه فى شتى العصور من خلال الحاضر ويشعرنا بدفئه من خلال الاستدعاء(١).

ارتباط الزمن بالسرد:

يرتبط الزمن بالسرد ارتباطاً وثيقاً فى «معيار الاختيار» ويكسبه الحيوية والسرعة والتدفق ويتحرك فى مجراه وبواسطته من خلال:

---

(١) يراجع المبحث الرابع «حوارية النص» من البحث.

أولاً: المفارقة الزمانية[١]

المفارقة بين زمن الخطاب، وهو الزمن الحاضر، الذى يتوجه فيه المؤلف (المرسل) للمتلقى (المرسل إليه)، والذى يبدأ به المؤلف للمجلس الأول بقوله: «الحمد لله الذى انفردت صفاته بالاشتمال... أما بعد، ساعدك السعد، ولان لك الجعد فإن الإنسان...»[٢].

وبين زمن السرد الذى نلحظ فيه خروجاً عن الترتيب الطبعى، وزمن الحكاية الذى يتقيد بالتتابع المنطقى للأحداث بينما لا يتقيد زمن السرد بذلك، بل يقوم باسترجاع الماضى من خلال السرد الاستذكارى.

السرد الاستذكارى:

ويتمثل السرد الاستذكارى فى استهلال الراوى سرده بالمقطع الاستذكارى «حدث من يعنى بالأخبار ينقلها...»[٣]، الذى يستحضر به المؤلف النص الماضى إلى الحاضر، الذى هو بالنسبة إلى المخاطب ماضٍ أيضاً، **لذلك يحضر النص عبر مستويات زمنية متعددة، وكأن زمن الرواية منشط للزمن الماضى، من خلال لحظة شعورية يتدرج من خلالها الزمن، مبتدأ بالحاضر، مرتداً إلى الماضى** فكان كالتالى:

«ساعدك السعد ولان لك الجعد» زمن خطاب المؤلف (حاضر) «حدث من يعنى بالأخبار ينقلها...» (زمن السرد) (ماض تم استحضاره) «قال: ضمنى الليل وقد سدل المسح راهبه»[٤] زمن المجلس (ماضٍ).

---

(١) يراجع: خطاب الحكاية بحث فى المنهج، جيرار جنيت، ترجمة محمد منتصر وعبد الجليل أزدى، وعمر حلمى ط المجلس الأعلى الثقافى بالقاهرة ١٩٩٧م، تقنية المفارقة الزمنية ص٤٧.

(٢) معيار الاختيار/ ص٧١-٧٢.

(٣) المصدر السابق/ ص٧٢.

(٤) المصدر السابق/ ص ٧٣.

ونجد حضور السرد الاستذكارى فى «معيار الاختيار» من خلال المؤلف، وشخصيات المقامة خاصة الراوى والبطل، اللذين يعتمدان على مخزون ذهنى يغترف منه كل منهما أحداث الماضى؛ ليطرحها فى الحاضر، ويحمل مع الأحداث صورة الأزمنة والأمكنة، فتختلط بهذا السرد الاستذكارى الأزمنة والأمكنة.

وإذا كان زمن الحكاية قد تم استحضاره عن طريق السرد الاستذكارى للراوى، فإن استرجاع بطل الحكاية لماضيه فى المجلس الأول، بعد استثارة غلامه له بقوله: «وأيم الله لقد عقدت الحلق، ولبست من الدهر الجديد والخلق...»[١]. يتغلب على الحاضر، ويتجاوزه ذلك الحاضر الذى لا يستطيع التخلص منه، والذى سرعان ما يعود إليه.

ومن السرد الاستذكارى قول الراوى فى المجلس الثانى بعد أن عرض البطل كثرة رحلاته، وتمكنه من وصف المدن: «فأثار قديمى وذكرنى بنديمى»[٢].

وقول الراوى فى نهاية المجلس الثانى: «واستثبت مخيلته فإذا الشيخ وتلميذه، وحماره ونبيذه...»[٣].

ومن خلال السرد الاستذكارى استطاع ابن الخطيب **أن يحقق جدلية الزمن** التى قال عنها: «غاستو بنا شلار»: إن الذكرى لا تُعلم دون استنادٍ جدلى إلى الحاضر، فلا يمكن إحياء الماضى إلا بتقييده بموضوعة شعورية حاضرة بالضرورة بكلام آخر، حتى نشعر بأننا عشنا زمننا، وهو شعور غامض دائماً... فلا ذكريات بدون هذا الزلزال الزمنى، أو بدون هذا الشعور الحيوى»[٤].

---

(١) معيار الاختيار،ص٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٤٠.

(٣) المصدر السابق، ص١٨٥.

(٤) جدلية الزمن، غاستو بناشلار، ترجمة خليل أحمد خليل، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط٢ ١٩٨٢م، ص٤٧.

ثانياً: التواتر السردى:

ومن خلال سرد الراوى لأحداث مقامته واستحضارها تأتى تقنية التواتر السردى الذى هو حركة السرد فى علاقته مع الزمن من خلال تقنية التلخيص والقطع وتقنية الوصف والمشهد:

أولاً: تقنية التلخيص والقطع وتعتمد على الحركة السريعة.

ومـــن تقنية التلخيص: قول الراوى عن القيم على المكان الذى نزل به فى مجلسه الأول: «بر فأكثر، ومهد ووثر، وأدفأ ودثر، ورقى بسور استنزاله فأثر»(١).

قوله عن البطل (حتى إذا اطمأن حلوله، وأصحب ذلوله، وتردد – إلى قيم الخان – زغلوله... »(٢).

ومنه سرد الراوى عن نفسه: «فلما أزحت الكلفة، وأقضمت جوادى العلفة، وأعجبتنى من رفقاء الرفقة الألفة، رمقت فى بعض السقائف...»(٣).

وفى المجلس الثانى:

مما أورده من تقنية التلخيص قول البطل: (وأما معرفتى بالأخبار، وذرع الأرض بالأشيار، ما بين جليقية إلى الأنبار، وأوصاف المدن الكبار، فقد ثبت بالاختبار»(٤).

ملخصاً من خلال إشارته السريعة لوصفه للمدن الغرناطية فى المجلس الأول بقوله: «فقد ثبت بالاختبار».

ومنه قول الراوى ملخصا ما قام به البطل من أعمال حازت على انبهار وإعجاب مرتادى السوق: «وهو يأسو ويجرح، ويتكلم بلسان القوم ثم يشرح، ويقيد من حضره بقيد العزيمة فلا يبرح»(٥).

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٣.
(٢) المصدر السابق، ص٧٣.
(٣) المصدر السابق، ص٧٤.
(٤) المصدر السابق،ص١٤٠.
(٥) معيار الاختيار، ص١٣٨.

فنجد أن زمن السرد قد استغرق زمن أقل بكثير من الزمن الذى استغرقه الحدث فقد اختزل أحداث حدثت فى ساعات فى عدة ثوانى استغرقتها عدة كلمات قليلة دون التعرض للتفصيل(١).

ومن تقنية القطع قول الراوى بعد أن روى ما أنشده البطل من أبيات الشكوى أشكو إلى الله... «ثم أنَّ، والليل قد جن، فلم يبق إلا من أشفق ، وحن»(٢).

فاستخدم (ثم) التى تظهر أن هناك فاصلاً زمنيا بين إنشاده لأبيات الشكوى وبين أنينه قد تم قطعه؛ لإسراع السرد، وإكسابه الحيوية، وتركيز زاوية الالتقاط على دوال مهمة فى النص(٣).

وقول الراوى: «فلما ذهب الخجل والوجل، وطال المروى والمرتجل...»(٤).

وقوله فى بداية المجلس الثانى: «قال المخبر: فلما اندمل جرح الفراق بعد طول، وزمان ممطول، ومحا رسم التذكر تكرار فصول.. »(٥). فيوجد زمن طويل بين المجلس الأول والمجلس الثانى قد تم قطعه.

ومن تقنية القطع فى المجلس الثانى قوله: «بينما أنا ذات يوم فى بعض أسواق الغبار...»(٦).

---

(١) بنية النص السردى من منظور النقد، حميد الحميدانى ط المركز الثقافى العربى الدار البيضاء – بيروت ٢٠٠٣م، ص٧٦.

(٢) معيار الاختيار، ص٧٧.

(٣) يراجع معيار الاختيار ص٧٧، ثم أجهش ببكائه، وأعلن اشتكائه، وقوله ص٧٨، ثم قال: لقد مات إخوانى الصالحون.

(٤) معيار الاختيار، ص٧٨.

(٥) معيار الاختيار،ص١٣٧.

(٦) معيار الاختيار، ص١٣٧.

وقول الراوى بعد أن روى ما أنشده البطل ليؤكد به علمه الوافر وذكاءه، وفصاحته فى نقل الأخبار ووصف البلدان: «إذا المشكلات تصدين لى... ثم قال: هات، أمن عقدك الشبهات»(١).

وقول الراوى فى سرده بعد أن روى ما أنشد البطل فى نافورة «فاس الجديدة» التى تعد من العجائب «وقوراء من قوس الغمام...» ثم قال: «إلا أن حر هذه المدينة مذيب...»(٢).

وقول الراوى فى آخر المجلس الثانى: «ثم ضرب جنب الحمار، واختلط فى الغمار، وتركنى اتقرى الآثار...».

وتتوافق تقنية القطع مع سرعة حركة السرد محققة هدف الراوى من التشويق والقفز بالأحداث لشد الانتباه وجذب الأسماع.

ثانيا: تقنية الوصف والمشهد:

ويعتمد التواتر السردى فى معيار الاختيار أيضاً على الحركة البطيئة وتتمثل فى الاستراحة التى تعتمد على تقنية الوصف والمشهد.

تقنية الوصف:

وقد تحققت الاستراحة فى مسار السرد فى معيار الاختيار من خلال مقاطع الوصف التى أدت إلى انقطاع السيرورة الزمنية أو تعطيل حركتها غالباً.

ومن ذلك ما جاء فى المجلس الأول من استراحاته المتعددة عن طريق تقنية الوصف **من وصف زمن حدوثه** «ضمنى الليل، وقد سدل المسح راهبه – وانتهبت قرص الشمس فى يد الأمس ناهبه، ودلفت جيوشيه الحبشية وفتحت الأزهار بشط المجرة كواكبه، وجنحت الطيور إلى وكونها...»(٣).

---

(١) المصدر السابق، ص١٤١.

(٢) المصدر السابق، ص١٨٥.

(٣) معيار الاختيار ،ص٧٣.

ووصف مكانه فى مناخ رحب المنطلق، وثيق الغلق، سامى السور كفيل بحفظ الميسور، يأمن به الذعر خائفه...»[١].

وقوله فى وصف «البطل» «رمقت فى بعض السقائف، آمنا فى زى خائف، وشيخاً طاف منه بالأرض طائف، وسكن حتى اليمامة والطائف؛ جنيت عكاز، ومثير شيب أثيث الوفرة...»[٢].

وفى وصفه لفتاه:« وقد افتر عن الدر شفتاه»[٣].

ووصف البطل المسهب للعديد من المدن الغرناطية وخاصة «غرناطة» و«مالقة»، و«المرية» و«جبل طارق» و«برجة» و«المنكب» وإن جاء هذا الوصف فى إطار المشهد الحوارى؛ لتشويق القارئ والسامع، وأثرى فنية العمل لأن كل وصف أو نص فى وصف مدينة قطعة فنية رائعة وصورة كلية ممتعة.

ومن خلال استراحاته المتعددة فى المجلس الثانى عن طريق تقنية الوصف والتى منها **وصف الراوى لمكان السرد «سوق الغبار»** بقوله: «أسرح الطرف الاعتبار، فى أمم تنسل من كل حدب، وتنتدب من كل منتدى ومنتدب، ما بين مشتمل للصماء يلويها، ولائث للعمامة لا يسويها...»[٤].

ومن خلال وصف الراوى للبطل: «وفيهم شيخ قد استظل بقيطون[٥]، وسل سيف لاطون[٦]، وتحدى برقية لديغ ومداواة مبطون، قد اشتمل بسمل غفارة

---

(١) المصدر السابق، ص٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص٧٤.

(٤) المصدر السابق، ص١٣٧.

(٥) قيطون: خيمة فى لغة أهل المغرب، يراجع: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة، عبد العزيز الأهوانى، من بحث فى مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثالث، الجزء الثانى نوفمبر ١٩٥٧م.

(٦) لاطون: كلمة أسبانية معربة، Laton بمعنى النحاس، وقد أشار الدكتور العبادى إلى ورودها فى نفح الطيب للمقرى الأندلسى، وورودها فى معجم دوزى.

- يراجع: مشاهدات ابن الخطيب، للعبادى ص٩٨.

وبين يديه غبار فى جلد فاره، وطحن من إطعام كفاره، وأمامه تلميذ...»[١].

وفى توسعه فى وصف المدن المرينية بالغرب العربى خاصة «سلا»، و«فاس القديمة» و«الجديدة» مدينة الملك و«سبتة» و«مراكش» و«طنجة».

تقنية المشهد ومن خلال استراحاته المتعددة عن طريق تقنية المشهد المتمثلة فى المقاطع الحوارية التى أتت بكثرة فى تضاعيف السرد، ويتطابق فيها زمن السرد مع زمن الرواية، وقد تنوعت المقاطع الحوارية ما بين السرعة والبطء فى معيار الاختيار، وإن طغى البطء عليها، نظراً لطبيعته السردية الوصفية، خاصة فى وصفه للبلدان، التى أسهب فى الحديث عنها من خلال الفاصل الزمنى الطويل، بين كلمتى «قال» و«قلت»، فى ضوء صيغة السرد التى تضم بنيته الفنية واعتمادها على سرد حوار المشهد.

❁❁❁❁

(١) معيار الاختيار، ص١٣٧-١٣٨.

المبحث الثالث
البناء الهيكلى والخصائص الأسلوبية فى ضوء الأصالة والتجديد

أولاً: البناء الهيكلى

لكل فن من الفنون تقاليده المرعية، وقالبه، وبناؤه الهيكلى التأطيرى، الذى يلتزم به الأديب، أو يخرج عنه، فى إقامة أى فن من الفنون، سواء من حيث بناء الهيكل الخارجى، وهو ما يطلق عليه (معمارية الشكل) و(معمارية الأسلوب). أى نوع الكتابة التى عرضت بها المضامين من حيث الإطلاق والتقييد وسوف نستعرض لهما فى تحليلنا لمعيار الاختيار.

معمارية الشكل:

اتخذ مؤلف معيار الاختيار قالب المقامة بتقاليدها المرعية، والتزم بالهيكلية المتوارثة فى هذا اللون الأدبى، من ذكر الراوية والبطل والشخصيات الثانوية المتحركة فى سياق المقامة، وأسلوب السرد الحوارى المقامى، واستطاع أن يجدد فيها من خلال:

أولاً: بدء معيار الاختيار بالخطاب المباشر من خلال حسن الافتتاح المشتمل على فن التحميد وبراعة الاستهلال؛ حيث أتى الكلام فى المفتتح يدل على المضمون والغرض من المجلسين اللذين هما موضوع «معيار الاختيار» فى سهولة ألفاظ وصحة سبك ووضوح معنى.

فأضاف بذلك ما يلتزم به فى بناء بداية الرسائل الديوانية من حسن الافتتاح المشتمل على فن التحميد[1] **وجعله تمهيداً لمقامته فزاوج بينهما بفنية عالية** حتى أن بعض النقاد خلطوا فأطلقوا عليه رسالة مع إدراكهم أنه أقرب إلى

---

(١) يراجع: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، للقلقشندى، ط المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة، (د.ت.) جـ٦ ص٢٧٤-٢٧٦.

- مواد البيان فى أصول الكتابة والإنشاء، على بن خلف، تحقيق حسين عبد اللطيف ط طرابس الغرب جامعة الفاتح ١٩٨٢م.

المقامة منه إلى الرسالة منهم محمد بن شريفة الذى يقول: «ورسالته المعنونة بمعيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار أقرب إلى المقامات منها إلى الرسائل»(١).

يتضح ذلك من بدئه لمعياره بقوله: «الحمد لله الذى انفردت صفاته بالاشتمال على أشتات الكمال، والاستقلال بأعباء الجلال، المنزه عن اختلال الحلال، المتصفة الخلال بالاختلال، المعتمد بالسؤال لصلة النوال، جاعل الأرض كسكانها متغايرة الأحوال، باختلاف العروض والأطوال، متصفة بالمحاسن والمقابح عند اعتبار الهيئات والأوضاع والصنائع والأعمال، على التفصيل والإجمال. فمن قام خيره بشره دخل تحت خطة الاعتدال، ومن قصر خيره عن شره كان أهلاً للاستعاضة والاستبدال، ومن أربى خيره على شره وجب إليه شد الرحال، والتمس بقصده صلاح الحال.

وكثيرا ما اغتبط الناس بأوطانهم فحصلوا فى الجبال على دعة الحال، وفازوا فى الرمال بالآمال، حكمة فى اعتمار ربع الشمال، وتفيئ أكنافه عن اليمين والشمال، إلى أن يدعو أهل الأرض لموقف العرض والسؤال، ويذهل – عن الأهل – عظيم الأهوال.

والصلاة على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الذى أنقذ بدعوته الوارفة الظلال من ظلمات الضلال، وجاء برفع الأغلال، وتمييز الحرام من الحلال، والرضا عمن له من الصحب والآل»(٢).

خاصة وقد اتسم هذا التمهيد بتوجيه الخطاب من الباحث (المؤلف) إلى المتلقى بأسلوب خطابى مباشر مقترن (بأما بعد) وبالدعاء للمخاطب، مع بيان أهمية معرفة صفة المدن التى يريد أن يقيم فيها أو يتعهدها بالزيارة، والوقوف على المعيار الذى يكون على أساسه الاختيار لمدينة دون غيرها، وهو موضوع

---

(١) ابن مغاور الشاطبى حياته وآثاره، مطبعة النجاح الجديدة بالمغرب ١٤١٥هـ -١٩٩٩م، ص٩٤.

(٢) معيار الاختيار، ص٧١.

المجلسين قائلاً: «أما بعد ساعدك السعد، ولان لك الجعد[١]، فإن الإنسان وإن اتصف بالإحسان، وإبانة اللسان، لما كان بعضه لبعض فقيراً، نبيها كان أو حقيراً، إذ مؤنه التى تصلح بها حاله – لا يسعها انتحاله – لزم اجتماعه وائتلافه، على سياسة يؤمن معها اختلافه، واتخاذ مدينة يقر بها قراره، ويتوجه إليها ركونه وفراره، إذا رابه أضراره، ويختزن بها أقواته التى بها حياته...»[٢].

ثانياً: بناء مقدمة مشوقة تشبه المقدمة القصصية خالف فيها المقدمة التقليدية فى فن المقامات «حدثنا عيسى بن هشام» أو قال: أو نحو ذلك.

وعمد فيها الراوى إلى تصوير الإطار الزمانى والمكانى تصويراً فنيا مشوقاً فى كلا المجلسين؛ حيث أخبر الراوية بهذا الخبر التصويرى المشوق فى بداية المجلس الأول قائلا: «ضمنى الليل وقد سدل المسح راهبه...»[٣].

ثم يطرد هذا التقديم لينتهى بالمتلقى إلى مجلس البطل وفتاه بقوله: «فلما أزحت الكلفة، وأقضمت جوادى العلفة، وأعجبتنى من رفقاء الرفقة الأُلفة، رمقت فى بعض السقائف آمناً فى زى خائف...»[٤].

كذلك عمد فيما روى الراوى إلى هذه المقدمة البنائية التشويقية فى المجلس الثانى فذكر المكان والزمان اللذين التقيا فيهما بالبطل من خلال مشهد قصصى جذاب «بينما أنا ذات يوم فى بعض أسواق الغبار، أسرح طرف الاعتبار فى أمم تنسل من كل حدب...»

ثم يتوالى هذا التقديم لينتهى بمتلقيه إلى مجلس البطل وفتاه بقوله: «ونظرت فى ذلك المجتمع الهائل المرأى والمسمع إلى درسة غى، وطهاة كى، ورقاة جنون،

---

(١) أصل معنى الجعد: الشعر غير المنسق والسياق ينصرف إلى اللئيم البخيل.

(٢) معيار الاختيار، ص٧٢.

(٣) المصدر السابق، ص٧٢-٧٣.

(٤) المصدر السابق،ص٧٣.

بضروب من القول وفنون، وفيهم كهل قد استظل بقيطون، وسل سيف لاطون، وتحدى برقية لديغ...»[١].

ذلك البطل الذى يذكره بالبطل المذكور فى المجلس الأول بعد طول غياب[٢] والذى يتأكد بعد ذلك بأنه نفس البطل وفتاه[٣]، كما هو متبع فى مقامات الهمذانى ومن نهج نهجه.

ثالثاً: أضاف إلى بناء وصيغة المقدمة التقليدية للمقامة التى تفتتح بها مباشرة «حدثنا عيسى بن هشام قال: أو نحوها **وصفا تشويقيا لما اتسم به الراوية** وبما تمتع به من علم بين **(**حدث، وقال**)** فى بداية المجلس الأول.

«حدث من يعنى بالأخبار ينقلها، والحكم يصقلها، والأسمار ينتقيها، والآثار يخلدها ويبقيها، والمجالس يأخذ صدورها...»[٤].

رابعاً: عمد إلى التشويق فيما أضاف إلى الراوية الذى وصف خلجاته ومشاعره وصفا دقيقاً[٥]، والبطل الذى صور مواهبه وملكاته، ورحيله الدائم على الرغم من كبر سنه»[٦].

خامساً: الربط بين الافتتاحية والتمهيد والتقديم للراوى ووصف الزمان والمكان الذى التقى فيه مع بطل المقامة بسلاسة فنية عالية.

سادساً: تكون المقامة من مجلسين بخلاف التكوين التراثى للمقامة التى يخص كل مقامة بمجلس واحد.

---

(١) معيار الاختيار، ص١٣٧.
(٢) المصدر السابق، ص١٣٧- ١٣٨.
(٣) المصدر السابق، ص١٥٨.
(٤) المصدر السابق، ص٧٢.
(٥) المصدر السابق، ص٧٢.
(٦) المصدر السابق، ص٧٢.

سابعاً: ربط المؤلف بين المجلسين بخط تصويرى زمنى، فالمجلس الأول يسبق المجلس الثانى زمنياً، وقد جعل المؤلف طول هذا الزمن مفتوحاً غائمة؛ ليثير تساؤلات المتلقى وفضوله بأسلوب شائق يكتنفه الغموض. من خلال استئناف مجلسه الثانى بقوله فى بدايته: «قال المخبر: فلما اندمل جرح الفراق بعد طول، وزمان ممطول، ومحا رسم التذكر تكرار فصول، ونصول خضاب، وخضاب نصول[١] بينما أنا ذات يوم فى بعض أسواق الغبار، أسرح طرف الاعتبار فى أمم تنسل من كل حدب»[٢].

ثامناً: ربطه بين أحداث المجلسين ليقترب بمعياره من الفن القصصى فأحداث المجلس الأول تتردد فى أحداث المجلس الثانى من خلال تقنية الاستدعاء والتذكر وتتابع السرد. وأحداث المجلس الأول تُمهد وتُضىء للمجلس الثانى من خلال إظهار شغف الراوى بأن يصف له وصفاً دقيقاً البلاد الأندلسية ثم يتبعها بالمرينية[٣]، ووعد البطل للراوى بأن ينال بغيته بقوله: «فأقسم لا تسألنى عن غامض وحلو إلا أوسعته علماً وبياناً، ورأيتك الحق عياناً»[٤].

ووقوف البطل بمجلسه الأول عند وصف المدن الأندلسية وعدم تعرضه للمدن المرينية، ووعده للراوى بأن يكون سميره حتى يبلغ بغيته من وصف المدن المرينية إذا أجزل عطاءه[٥].

ومغادرته له بغتاً دون أن يصل الراوى إلى بغيته من وصف المدن المرينية[٦]. فإذا هو يمهد بتقنية لموضوع المجلس الثانى ألا وهو وصف المدن المرينية.

---

(١) نصول خضاب، ذهاب الحناء، خضاب نصول، حناء مزالة.
(٢) معيار الاختيار، ص١٣٨.
(٣) المصدر السابق، ص٧٩.
(٤) المصدر السابق، ص٧٩.
(٥) المصدر السابق، ص١٣٢- ١٣٣.
(٦) يراجع: معيار الاختيار، ص١٣٢.

وتتردد أحداث المجلس الأول فى المجلس الثانى من بدايته[١]، بربطه بين آخر أحداث المجلس الأول وما تركه من آثار، وبين بداية المجلس الثانى.

ويتأكد هذا الربط من خلال إضاءة الراوى بتذكره لبطل المجلس الأول واستحضاره لما دار بينهما فيه من وصف المدن الأندلسية بعد سرد الراوى لقول البطل الذى يظهر ولعه بالأخبار وكثرة أسفاره ورحلاته التى جابت الأرض «أما وصفى المدن الكبار فقد ثبت بالاختبار»[٢]، وتعليقه عليه قائلاً: «فأثار قديمى، وأذكرنى بنديمى، فقلت الله أكبر، أوضح الخبر المخبر، فخضت إليه – ومن بينى وبينه – وهم بحر زاخر»[٣].

وتذكره وتثبته فى آخر المجلس الثانى، وعبوره من المعرفة الوهمية إلى المعرفة اليقينية، بتأكده من أنه الشيخ الذى قابله فى المجلس الأول بقوله: «واستثبت مخيلته، فإذا الشيخ وتلميذه وحماره ونبيذه»[٤]، وسأله عن حاله بعد أن فارقه، واستحضر فراقه له، وسأله عن عذره فى إخلاف وعده[٥].

فالمجلس الأول حاضر خلال أحداث المجلس الثانى وماثل أمام الراوى والمتلقى بكل أحداثه حتى نهاية المجلس الثانى. فإذا بمعيار الاختيار يقترب فى هذه السمة التجديدية من الفن القصصى «وهو ما نفتقده فى مقامات «الهمذانى» و«الحريرى» ومن نهج نهجهما؛ حيث يستقل كل مجلس بمقامة، تستقل بأحداثها استقلالا تاماً لا يربط بينهما إلا تردد اسمى «الراوية» و«البطل»، وإن حاول بعض

---

(١) المصدر السابق ، ص١٣٨.
(٢) المصدر السابق، ص١٤٠.
(٣) المصدر السابق، ص١٤٠.
(٤) المصدر السابق، ص١٨٥.
(٥) المصدر السابق، ص١٨٥.

الباحثين المحدثين أن يخضعهما لخط تصويرى زمنى قسراً ليقترب بهما من فنية القصة الحديثة (١).

معمارية الأسلوب:

فى معيار الاختيار تتداخل فنون الشعر، مع فنون النثر المقيد، المبنى على اختيار الألفاظ المتجانسة، والفواصل والأسجاع المتناسقة، وتوظيف المؤلف لهذا النثر المقيد وإشاعته إشاعة تامة فى أنساق معياره؛ ليعلى من فنية الخطاب السردى والحوارى والوصفى للراوية والبطل، والشخصيات الثانوية، من خلال قدرة وتمكن فائق على توفير الموسيقى وعناصر التأثير والتشويق فى جل فقرات المجلسين.

فهو لم يخرج عن إطار البناء الأسلوبى المقيد بالسجع والجناس والمحسنات البديعية للمقامة، كما عرفناها عند بديع الزمان والحريرى، ومن سار على ضربهما حتى عصرنا الحديث.

ولكنه استطاع أن يكثفه ويوظفه بفنية عالية ليعبر عن موضوعه التجديدى ألا وهو «الرحلة» و«وصف البلدان»، ليخرج بالمقامة من إطار موضوع الكدية، بتهميشه لهذا الموضوع، الذى لا يثير انتباهه ولا يتناسب مع طبيعة شخصيته وعصره **إلى موضوع الساعة حينئذ ألا وهو** «الرحلة» و«وصف البلدان»

فإذا هو يُعيد ويُحيى هذا الفن التراثى الرائع الذى كاد أن يتلاشى فى عصره فى ثوب جديد، يبز فيه أقطابه فى المشرق العربى وفى الغرب، ويثبت جدارته الفنية وتفوقه من خلال تجديده فى هذا الفن، الذى استطاع أن يفتح

---

(١) يراجع: النماذج الإنسانية فى الدراسات الأدبية المقارنة، غنيمى هلال ط دار النهضة القاهرة ١٩٥٧م، ص٢٦.

موضوعه للسياسة(١)، والنقد(٢)، و«الرحلة» ووصف مشاهداته لأهم المدن فى الأندلس والمغرب العربى(٣).

❁❁❁❁

(١) يراجع: مقاماته السياسية (مقامة فى السياسة)، ومقامة (الإشارة إلى أدب الوزارة) فى كتابه ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، جـ٢ ص٣١٦، ٣٣٥.

(٢) يراجع: مقاماته الانتقادية «قطع الفلاة بأخبار الولاة»، ريحانة الكتاب، جـ٢ ص٢٧٠، ومقامة أخرى لا يوجد لها اسم أوردها المحقق ولم يفهرس لها ص٢٧٠ –٢٧٨، وفيها ينتقد بعض الشخصيات.

(٣) توجد لابن الخطيب ثلاثة مقامات فى فن الرحلة كما أوردهم فى باب المقامات بكتابه ريحانة الكتاب أشهرها (معيار الاختيار) موضوع البحث، و(خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف)، وإن كانت أقرب إلى الرسالة، ريحانة الكتاب، جـ٢ص٢٤٨ –٢٦٤.

– وبالإضافة إلى مقامته فى الرحلة من «فاس» إلى «تيط أقوران» بالمغرب العربى والتى أوردها فى كتابه ريحانة الكتاب جـ٢ ص٢٦٤–٢٧٠، ولم يفهرسها المحقق عبد الله عنان، وأُدرجت كأنها جزء من مقامة (خطرة الطيف).

ثانياً: خصائص اللغة والأسلوب

اللغة فى معيار الاختيار: لغة قوية مؤثرة تتسم بالحيوية، والمرونة التى يتطلبها قالبه الفنى السردى المقامى، تزخر بالجزالة التى تجنح أحياناً إلى الإغراب، التى نجح ابن الخطيب أن يوظفها، ويشكلها تشكيلا خاصاً يدل على عبقرية مبدعها، فقد حرص أن تتسم ألفاظه بكونها ألفاظ عربية أصيلة – إلا فى النادر – قوية جزلة مرنة، **تجمع بين كونها مختارة منتقاة من المألوف والمأنوس الذى خلد على ألسنة البلغاء والكتاب** الذين هم جزء أصيل من موروثه وإطاره الأدبى والثقافى، **ومن بعض الألفاظ الغريبة أو المعجمية التى يطغى عليها المألوف، والتى من خلال تداخلها وتعالقها تكسب لغته تفرداً، وتكسبها الحيوية والحياة من خلال وضعها فى إطار موسيقى تصويرى مؤثر، وتوظيف المألوف بإيحاءاته وأنساقه السابقة ليكون جزء من النسق الإبداعى الخاص بمعياره، بانتقائه للألفاظ الموحية ذات الشحنات الانفعالية المؤثرة، وتوظيفها بدقة فى تراكيبه الفنية.** من ذلك قول الراوى سارداً ومصوراً حالة البطل بعد أن تأكد من حسن طوية الراوى فى المجلس الأول: «فلما وقم[١] الهواجس وكبتها، وتأمل المخيلة واستثبتها، تبسم لما توسم، وسمح بعد ما جمح، فهاج عقيماً فتر، ووصل ما بتر وأظهر ما خبأ تحت ثوبه وستر، وماج منه البحر الزاخر، وأتى بما لا تستطيعه الأوائل ولا الأواخر، وقال وقد ركض الفنون وأجالها، وعدد الحكم ورجالها، وفجر للأحاديث أنهارها، وذكر البلدان وأخبارها:

ولقد سئمت مآربى فكأن أطيبها خبيث
إلا الحديث فإنه مثل اسمه – أبداً – حديث»[٢]

---

(١) وقم: طردها وأكرهها قسراً، وردها أقبح الرد. يراجع: مادة (وقم) لسان العرب، وتاج العروس، وفى المعجم الوسيط وقم الدابة: جذب إليه عنانها لتقف، ووقم القدر: سكن غليانها وصوتها، ووقمه: صرفه عن حاجته قسراً وقهراً.

(٢) معيار الاختيار، ص٧٨.

والحوار الذى دار بين الراوى والبطل والذى يسرده الراوى بقوله:
«قلت أيها الحبر، واللج الذى لا يناله السبر، لا حجبك قبل عمر النهاية القبر، وأعقب كسر أعداد عمرك المقابلة بالقبول والجبر – كأنا بالليل قد أظهر لوشك الرحيل الهلع، والغرب الجشع لنجومه قد ابتلع، ومفرق الأحباب – وهو الصبح – قد طلع، فأولنى عارفة من معارفك أقتنيها، وأهزز لى أفنان حكمك أجتنيها.
فقال: أمل مُيسر، ومجمل يحتاج أن يُفسر، فأوضح الملغز، وابن لى الطلا[١] من البرغز»[٢].

ولعل من أبرز الخصائص الأسلوبية التى تميز معيار الاختيار

أولاً: موسوعية لغته بدوران العديد من ألفاظ المعجم اللغوى والفلكى والجغرافى والتاريخى والصوفى والفلسفى والطبى واللغات الأخرى التى هى صدى لموسوعية ثقافة «ابن الخطيب» التى غدت جزء من ثقافة عصره فى الغرب العربى فى بنية «معياره» صاهراً إياها بعبقريته فى بوتقة واحدة «شكلت بتمازجها وانسجامها لوحة تشكيلية مليئة بالألوان والظلال، زاخرة بالأحاسيس والانفعالات»[٣]، استطاعت أن تجعل لغته متدفقة ومتجددة.
وقد نثرها بتقنية عالية فى طيات معياره دون أن يشعرنا بدورانها فى فلكه.

فمفردات المعجم اللغوى حاضرة من مثل: «الدبر»[٤]، هملجت[٥]،

---

(١) الطلا: ولد الظبى ساعة ولادته، والجمع: «أطلاء»، البرغز: ولد البقرة، ويقصد بالعبارة أوضح غرضك
(٢) معيار الاختيار، ص٧٨-٧٩.
(٣) فنون النثر الأدبى فى آثار لسان الدين ابن الخطيب،جـ٢ ص١٧٧.
(٤) معيار الاختيار، ص٨٣، الدبر: النحل.
(٥) معيار الاختيار ص٧٤، هملجت: أسرعت، الهملجة: المشى فى سرعة.

والهمالج[١]، الوذائل[٢]، القطار[٣]، المذانب[٤]، أم ملدم[٥]،الـطلا[٦]، البرغز[٧]، بَهُم[٨] الندس[٩]، الإرم[١٠]، ساوق[١١]، المهارق[١٢]، يشيم[١٣]، مكاسع[١٤] والدمالج[١٥]،

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص٧٥، الوذائل: الرشيقات من النساء.

(٣) المصدر السابق، ص٨٣، القطار: السحاب الغزير.

(٤) المصدر السابق، ص٩٧، ٩٨، ١١٢، ١٢٧، المذانب: جداول الماء.

(٥) المصدر السابق، ص١٥٠، أم ملدم: الحمى.

(٦) المصدر السابق، ص٧٩.

(٧) المصدر السابق، ص٧٩.

(٨) المصدر السابق، ص١١١، بهم: (بفتح وضم) شجاع يقول البوصيرى فى بردته:

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقاً فما تفرق بين البهم والبهم

(٨) المصدر السابق، ص٧٦، الندس: الذى يخالط الناس دون أن يثقل عليهم، وندس فطن، وأدق النظر فى الأمر، والندس: الفطنة والكيس الفطن.

(٩) المصدر السابق، ص٨٢، الإرم: ما يهتدى به من حجارة تنصب فى المفازة، والجمع: آرام، وأرؤم، والمعنى المراد: (علم البلاد).

(١٠) المصدر السابق، ص٨٢، ساوق: فاخر.

(١١) المصدر السابق، ص٨٢، المهارق: الصحيفة.

(١٢) المصدر السابق، ص٧٢، يشيم: يعلم .

(١٣) المصدر السابق، ص٧٣، مكاسع: مطارد.

(١٤) المصدر السابق، ص٧٥ (الدملج والدملوج): سوار يحيط العضد، وهو الحجر الأملس وجمعها دمالج، ودماليج، من دملج الشيء إذا سواه وأحسن صنعته، والمدملج: المدرج الأملس، والدملجة: تسوية الشيء، كما يدملج السوار، ودملج: طوى لحمه (ويريد النساء المصقولات اللائى طوى لحمهن وهى (السمينة من النساء).

شدن[١]، الناب[٢]، حوار[٣]، الوخد والإرقال[٤]، وقم[٥]، صوى[٦]، الدو[٧]، النغبة[٨]، العلل[٩]، الإهطاع[١٠]، الكرك[١١] والدرك، الفرقد، والغفر[١٢]، والعيبة[١٣].

ومفردات المعجم الفلكى:

«الفرقد، الحوت، سهيل، كواكب الجنوب، عطارد، النجوم، المجرة، والكواكب والفلك ومداره، مواقع النجوم، الكواكب الخنس والأبراج، والفلك الدوار، والنجوم الثواقب...»[١٤].

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٦، شدن الغزال: قوى واشتد واستغنى عن أمه، والشدنيات: من النوق منسوبة إلى موضع باليمن (شدن) قال العجاج: «والشدنيات يساقطن النعر»، والشدن بسكون الدال شجر له سيقان خوارة غلاظ، ونور شبيه بنور الياسمين، إلا أنه مشرب بحمرة، وهو أطيب ريحاً من الياسمين، قال ابن برى:

كأن فاها بعدما تعانق الشدن والشريان والشبارق

– يراجع: مادة (شدن) فى لسان العرب.

(٢) معيار الاختيار، ص٧٨، الناب: الناقة المسنة.

(٣) المصدر السابق، ص٧٨، حوار: بفتح الحاء وضمها، ولد الناقة.

(٤) المصدر السابق، ص٧٩، الوخد والإرقال: ضربان من السير السريع للإبل.

(٥) المصدر السابق، ص٧٨، وقم: وقم الرجل: أى أكرهه، ورده قسراً.

(٦)المصدر السابق، ص٩٩، صوى: ما يوضع فى الأرض من أحجار كعلامات.

(٧) المصدر السابق ص١٠٤، الدو: الفضاء، والأرض المستوية والفلاة الواسعة، والمراد هنا: خارج المدينة.

(٨) المصدر السابق، ص١٠٦، النغبة: بالتشديد مع الفتح أو الضم: الجرعة من الماء.

(٩) المصدر السابق، ص١٠٦العلل: هو شرب الخمر المرة تلو المرة.

(١٠) المصدر السابق، ص٩٤، الإهطاع: الإسراع فى خوف.

(١١) المصدر السابق، ١٢٨، الكرك: نوع من الطير، الدرك: الحراسة.

(١٢) المصدر السابق، ص٩٢، الفرقد: البقر الوحشى، والغفر: ولد الوعل.

(١٣) المصدر السابق، ص١٣٣، العيبة: وعاء من أُدم (جلد) يكون فيها المتاع. (الزنبيل).

(١٤) المصدر السابق، ص٩٢، ٩٤، ٨٥، ١٧٥، ٧٤، ٧٣، ١٣٤، ٧٨، ١٣٩، ١١٩، ١٧٦، ١٥٨.

ومفردات المعجم غير العربى وتشمل:

مفردات أسبانية: منها (قالة) [١] (لا طون)[٢]، (غرناطة)[٣].

وأندلسية منها: (كورة)[٤]، (المجاشر)[٥]، (الساباط)[٦].

وبربرية منها: (تيط)[٧]، (تلمسان)[٨]، (قيطون)[٩].

وألفاظ فارسية: «مارستان»[١٠]، وبستان.

وألفاظ لاتينية: منها (اللطين)[١١]، و(طبرنش)[١٢].

فينيقية منها: (مالقة)[١٣].

وجلها ألفاظ متداولة مفهومة أصبحت جزء من لغة أهل الأندلس والمغرب.

---

(١) معيار الاختيار، ص١٤٧، قالة: بمعنى ميناء (La Cala).

(٢) المصدر السابق، ص١٣٨، لاطون: النحاس.

(٣) المصدر السابق، ص١١٣، غرناطة: الرمانة وهى رمز المدينة حتى الآن.

(٤) المصدر السابق، ص١٨٠، كُورة: بلد به قرى.

(٥) المصدر السابق، ص١٥٥، المجاشر: أى القرى والضياع، ويقال لها الآن بالمغرب: المداشر.

(٦) المصدر السابق، ص١٥٢، الساباط: أى سقيفة بين دارين، تحتهما طريق.

(٧) المصدر السابق، ص١٥٩، تيط: العين (عين الماء).

(٨) المصدر السابق، ص١٨٣، تلمسان: مكونة من (تلم) أى: تجمع، (وسان) أى: اثنين؛ لأنها تجمع بين اثنين (التل والصحراء).

(٩) المصدر السابق، ص١٣٧، قيطون: الخيمة.

(١٠) المصدر السابق، ص١٥٢، مارستان: أصله فى الفارسية بيمارستان وهو المشفى.

(١١) المصدر السابق، ص٧٥، اللطين: اللاتين.

(١٢) المصدر السابق، ص١٠٣، طبرنش: حوانيت وأكواخ.

(١٣) المصدر السابق، ص٨٧، مالقة: المملح.

ومفردات المعجم الجغرافى:

منها: دوران أسماء العديد من الأنهار، نهر دجلة والفرات (ماء الرافدين)، نهر النيل، ونهر مالقة، ونهر بطة، ونهر شنيل، ونهر الوادى الكبير بغرناطة[١]، والسهول والأودية، ومنها: وادى سهيل، وادى المرية، فحص بسطة، الوادى الكبير، وادى النيل وادى بيرة[٢]، **والمدن وموقعها ومناخها** فهى تنتشر انتشاراً واسعاً فى بنية معيار الاختيار خاصة وهى موضوعه الذى يهدف إليه. ومنها بلاد الهند والصين، دار قسطنطين (القسطنطينية) والواقواق – قيل فى (الهند أو الصين أو جزر اليابان)، «غار الأرواح» بالقدس، واليمن، وعدن، والعراقين وبلاد التركمان (تركستان الغربى، وإيران، وما وراء القفقاس)، والبيت الشريف (مكة) والقدس، والعلايا (مدينة ساحلية بآسيا الصغرى)، وطيبة (بجنوب مصر) وأخميم (بمحافظة سوهاج)، الفسطاط عاصمة مصر الإسلامية، مدينة الإسكندرية ثغر الرباط، والتكرور بالسنغال، وأشبانية والسودان (النوبة) والمغرب، والأندلس ثغر الإسلام[٣]، بالإضافة إلى وصف موقع ومناخ مدن العدوتين السبع وخمسين مدينة[٤]، وما ورد فيها من معالم جغرافية مثل: العقيق وبارق[٥]، ومن وصفه لموقع ومناخ تلك المدن قوله فى جبل طارق،

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٦، ١٠٩، ١١٢، ١١٧، ١٠٤.

(٢) المصدر السابق ص٨٥، ١٠٤،١٠٢، ١٠٩، ١٥٤.

(٣) المصدر السابق، ص٧٥-٧٧.

(٤) المصدر السابق، المدن الأندلسية من ص٨٢ : ١٣٢، والمدن المغربية من ص١٤٣ : ١٨٤

(٥) معيار الاختيار، ص٨٢، العقيق وبارق: العقيق هو: (مسيل الماء الذى شقه السيل فى الأرض، وفى جزيرة العرب أربعة أعقة، يراجع: معجم البلدان، لياقوت الحموى جـ١٤

«فاتحة الإقليم» «حجزه البحر» «هوائه صحيح» «بعيد الأقطار ممار بالقطار، كثير الرياح»(١).

ومفردات المعجم الحضارى والمعمارى السامق: ومنها تردد أسماء أشهر المعالم المعمارية فى العدوتين (الأندلس والمغرب العربى) بالإضافة إلى معالم أخرى فى البنية التركيبية لمعيار الاختيار، ومن ذلك (محراب ابن الدمينة)، و(طيبة) وآثارها الفرعونية، و(أخميم) وأثارها الفرعونية والرومانية والإسلامية، (الفسطاط) الإسلامية، والرومان وبناء مدينة (الإسكندرية) و(القسطنطينية)، و(الهيكل المزور بأشبانية)(٢)، و(قبة أرين) «بمربلة»، و(قصبة مالقة) و(أسوارها المضاعفة)، وبناء الفينيقيين لها، و(قصر المنكب) و(مسجده العالى) و(عموده الشاهق)، و(صرح هامان) بمصر، و(حصن شلوبانية)، و(قصبة المرية) و(كرسيها) و(العين الحارة بها) (حمتها)، و(قصر الحمراء) بغرناطة، و(نفورة فاس) و(قصورها)، و(منارة سبتة) و(قصورها)، و(مساجدها) و(منازلها) و(جسورها) و(منارة طنجة) و(ميناؤها)(٣).

ومفردات المعجم التاريخى:

الذى هو حاضر حضوراً تاماً بأحداثه من تاريخ اليونان الإغريق، واللاتين ومدينة القسطنطينية وقسطنين، وتاريخ الإسلام فى الأندلس والمغرب والمشرق العربى، من خلال استحضار الخلاف بين (على ﷺ ومعاوية بن أبى

ص١٣٨ -١٣٩، وبارق: جبل فى اليمامة فى اليمن، ويطلق على ماء بالعراق يفصل بين القادسية والبصرة من أعمال الكوفة، وهو ماعاناه المتنبى فى قوله:

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجر السوابق

يراجع: معجم البلدان، جـ٢ ص٣١٩ -٥٣٢٠.

(١) معيار الاختيار، ص٨٢-٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص٧٥-٧٦.

(٣) معيار الاختيار، ص٨٥، ٨٧، ٩٤، ٩٧، ١٠٢، ١٠٣، ١١٩، ١٤٤، ١٤٧.

سفيان) على الخلافة فى موقعة صفين (٣٧هـ-٦٥٧م) و«وقفت حيث وقف الحكمان» (أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص)[١]، وتاريخ فتح الأندلس (ومحط طارقها بالفتح طارق)، وتاريخ العرب البائدة عاد (ارم البلاد التى لم يخلق مثله فيها)[٢].

وحادث الجزيرة (موقعة طريف) والتى كانت بين النصارى والمغاربة والأندلسيين وانتهت بسقوط (طريف) والجزيرة الخضراء عام ٧٤١هـ - ١٣٤٠م)[٣].

والمؤامرة السرية التى تمت بين قشتالة وأرجون لغزو مملكة غرناطة على أن يهاجم الأرجوانيون المرية من الشرق ويهاجم القشتاليين الجزيرة من الجنوب ويتقابلا فى غرناطة[٤]، ومشيراً إلى سقوط «لورقة» فى يد الإسبان ٦٤٥هـ ١٢٤٨م)[٥]. وغيرها من الأحداث التاريخية المرتبطة بالمدن الأندلسية والمغربية التى تناولها.

والمعجم الصوفى: (جبت)[٦]، (الخلوة) و(ملازمة الخلوة)، و(المريد)[٧]، (لبس الخلق)[٨]، (فك الغلق)[٩]،

---

(١) المصدر السابق، ص٧٦.
(٢) المصدر السابق، ص٨٢.
(٣) المصدر السابق، ص٨٣.
(٤) المصدر السابق، ص١٠٢.
(٥) المصدر السابق، ص١٠٩.
(٦) المصدر السابق، ص٧٤.
(٧) المصدر السابق، ص٧٦.
(٨) المصدر السابق، ص٨٢.
(٩) المصدر السابق، ص١٤٠.

(النسك)[١] – (البركة) و(الأقطاب)[٢]، (سر الحكمة)[٣]، (عبرت حلم النوم)[٤]، و(لبست الخرقة)[٥]، (بشرط القوم)[٦] (الصوفية)، (الذكر) و(معتكف الصوم)، و(دار نساك)[٧]، و(خلوة اعتكاف وإمساك)[٨].

ومن المعجم الفلسفى:

ومنه: فلسفة أصحاب الرواق، الحلول[٩].

ومن المعجم الطبى: (الهواجس)، (الحميات)، (الوباء) (جرب)، (العلاج بماء العين السخنة)، و(التداوى) (الحمى)، (ترهات)، (المصال) و(العمش) و(القراع)[١٠].

ثانياً: استدعاء ألفاظ لها دلالتها وشحنتها الانفعالية المكثفة فى وعى المتلقى

لارتباطها بأحداث لها تأثيرها فى وعى الأمة، وتكثيف هذه الشحنات من خلال بنيته الفنية، معلياً من قدرتها الإيحائية، تلك القدرة الإيحائية التى تميز النص الأدبى عن الخطاب العادى[١١]، والتى يرى النقاد أنها تأتى من شحن اللغة بمقدار غير عادى من الانفعالات، هذا الشحن الذى يزيحها عن واقعها

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص٧٤.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٧.

(٤) المصدر السابق، ص١٠٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٧٤.

(٦) المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٧) المصدر السابق، ص١٤٠.

(٨) المصدر السابق، ص١٠٠ .

(٩) المصدر السابق، ص٧٥، ٧٦.

(١٠) معيار الاختيار، ص٩٣، ٩٦ ٩٩، ١٠٣، ١١٧، ١٢٤، ١٢١.

(١١) يراجع فى حوارية النص استدعاء أسماء الأعلام والبلدان والمواضع والأحداث والرموز ذات الأبعاد الفكرية والمعرفية والشحنات الشعورية والعاطفية.

الأصلى العادى إلى واقع عرضى مؤقت[١]، من خلال قدرة المبدع الذى استطاع أن يشكل بعبقريته من ذلك الرصيد المعجمى إبداعاً حياً لا يمكن الوقوف عليه فى معاجم الكلمات اللغوية ولعل هذا ما جعل العديد من الكتاب والدارسين يشيدوا بعبقرية اللغة عند مؤلف المعيار[٢].

ثالثاً: التنوع فى البناء اللغوى والأسلوبى

وتوظيفه بدقة بالغة ليتمازج ويتآلف ويتداخل فى بنية فنية معبرة ومميزة.

يتسم البناء اللغوى فى «معيار الاختيار» بالتنوع فى بنائه اللغوى والأسلوبى بالجمع بين الجمل الخبرية بمختلف أشكالها الابتدائية والطلبية والإنكارية وبين الجمل الإنشائية على مختلف صورها من أمر ونهى ونداء واستفهام وتعجب... وغير ذلك وتوظيفها فى مكانها الملائم فاكتسب أسلوبه بذلك خاصية التشكيل والتشويق.

وقد غلبت الجمل الاسمية على الجمل الفعلية فى وصف المدن الأندلسية والمرينية (المغربية)؛ لتأكيد ثبوت الوصف لدرجة أن وصفه السريع لبعض المدن اقتصر على توالى الجمل الاسمية المتنوعة فى بنيتها ومن ذلك قوله فى وصف مدينة «أندرش» الأندلسية «عنصر جباية، ووطن بُهْم[٣] أولو إباية، حريرها ذهب، وترابها تبر منتهب، وماؤها سلس، وهواؤها لا يلفى معه كسل، إلا أنها ضيقة

---

(١) الأسلوبية والأسلوب فى النقد، مقال لمحمد مسعود جبران بمجلة الفكر العربى العـدد (٢٦)، شهر (٤)، ١٩٨٢م.

(٢) يراجع: ابن الخطيب من خلال كتبه، جـ١ ص٢٤.

(٣) يراجع: معيار الاختيار ووصفه للعديد من المدن الأندلسية مثل وصفه لمدينة (دلاية) ص٩٩ و«المرية» ص١٠٠، و «أورية» ص١٠٧، و«فنيانة» ص١١٣، و«لوشة» ص١٢٥، وقرطمة» ص١٢٨... الخ، وكذلك وصفه للعديد من المدن المغربية مثل: رباط آسفى ص١٦٠، وأغمـات ص١٦٤، وغساسة ص١٨٤

الأحواز والجهات، كثيرة المعابر والفوهات، أعرابها أولو استطالة، وأبناء مترفيها كثير البطالة»[١].

وقوله فى وصف مدينة (أصيلا) المغربية «كثيرة المرافق، رافعة فى الخصب اللواء الخافق، العصير الأثير، والحوت الكثير، واللبن الغزير، والإدام الذى يرمى به من حكم عليه بالتعزير، والسفن المترددة وفيها الملف والأبازير إلا أن حصنها من المنعة برئ، وساكنها بربرى، وجارها من غمارة جرى»[٢].

كما غلبت الجمل الفعلية وخاصة الماضى منها على مفاصل سرد الأحداث

ومن ذلك قول المؤلف: «حدث من يعنى بالأخبار...»[٣].

وقول الراوى: ضمنى الليل وقد سدل المسح راهبه وانتهبت الشمس فى يد الأمس ناهبة ...»[٤].

«فلما أزحت الكلفة وأقضمت جوادى العلفة، وأعجبتنى من رفقاء الرفق الألفة، رمقت فى بعض السقائف...»[٥].

«ثم أنَّ وقال وقد هزته أريحية»، «فلقد نلنا الأوطار وركبنا الأخطار، وأبعدنا المطار وحلبنا الأشطار»، «فقال فتاه، وقد افترت عن الدر شفتاه[٦]، وقال: لقد عقدت الحلق، ولبست من الدهر الجديد والخلق، وفككت الغلق، وأبعدت فى الصبوة الطلق، وخضت المنون وصِدت الضب والنون... وركبت الهمالج، وتوسدت الوذائل والدمالج وركضت الفاره، واقتحمت المهالك والمكاره،

---

(١) المصدر السابق، ص١١١.

(٢) المصدر السابق، ص١٥٠.

(٣) المصدر السابق، ص٧٣.

(٤) معيار الاختيار، ص٧٢.

(٥) المصدر السابق، ص٧٣.

(٦) المصدر السابق، ص٧٤.

وجبت البلاد... ورأيت غار الأرواح وشجر الوقواق، وشربت حلل اليمن، وحللت من عدن حلول الروح من البدن، ونظرت...، وأزمعت...، وشربت... ، وصليت... ، ووقفت...، وأخذت... فـ ركبت... طفت...، وحصلت... ، وأسرعت... وسكنت... وعجلت... ووقفت... وانحدرت...، ورابطت...»[١].

«فتملكتنى له رقة...، فهجمت...، وراع شاءه وعكره، وغطى بفضل ردنه»[٢].

«فلما وقم الهواجس، وتأمل...، واستثبتها...، وتبسم...، وسمح...، وقال...»[٣].

«فلما ذهب الخجل والوجل، وتوسط...، تشوفت...، توردت...، قلت...»[٤].

وورود الفعل (قلت)، والفعل (قال) الذى يلف البينة السردية فى المجلسين من أولها إلى نهايتها.

ووظف الجمل الفعلية التى تدل على الحاضر (المضارع)، ليستحضر الصورة الماضية وكأنها ماثلة للعيان، وليبث فيها التجدد والحياة والاستمرارية.

وإن أتى بها فى نسق الماضى ومن ذلك قوله مستحضراً صورة ما يحدث فى سوق الغبار، وكأن المتلقى يعيش معه لحظة بلحظة «فى أمم تنسل من كل حدب، وتندب من كل منتدى ومنتدب...، يموجون ومن الأجداث يخرجون،

---

(١) المصدر السابق، ص٧٤، ٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص٧٨.

(٣) معيار الاختيار، ص٧٨.

(٤) المصدر السابق، ص٧٨.

يشيرون بأجنحة الأكسية...، ويتساقطون على ثماد القُلُب وأسئار الأحسية...»[١].

وقوله فى استحضار تصرفات البطل فى السوق التى شدت انتباهه وانتباه مرتادى السوق فى المجلس الثانى، «يأسو ويجرح، ويتكلم بلسان القوم ثم يشرح، ويقيد من حضره بقيد العزيمة فلا يبرح[٢]، ويقول: أيها البهم...»، واستحضاره تصرفات القيم على الخان وسرد أفعاله فى المجلس الأول وحيويته وحركته المتتابعة واستمرار وتجدد اعتنائه بالنزلاء بقوله: «يروح ويشى، ويقف على ريب الأعيان وأعيان الريب فلا يشى»[٣].

وقوله فى سرد المشهد ووصف الخان الذى نزل به والمكان الذى دار فيه المجلس الأول مستحضراً ما يوفره لقاصده ومؤكداً على استمراره وتجدده: (يأمن به الذعر خائفه، وتدفع معرة السماء – سقائفه، يشتمل على مأوى الطريد، ومحراب المريد[٤].

وقوله فى سرد فقرات حواره مع البطل فى المجلس الثانى طالباً منه أن يصف له المدن المغربية بعد أن وصف له الشيخ المدن الأندلسية فى المجلس الأول «وبك يتم الشكر، ويعظم الخطر»[٥].

وتأتى الجمل الشرطية لتكسب بنية «معيار الاختيار» حيوية وحياة وحوارية معتمدة على الفعل ورد الفعل ونجحت تلك الجمل الشرطية فى ربط مفاصل النص السردى فى لحظات مهمة لتشد انتباه المتلقى مثل لحظة التقائه بالبطل

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٧.
(٢) المصدر السابق، ص١٣٨.
(٣) المصدر السابق، ص٧٣.
(٤) المصدر السابق، ص٧٣.
(٥) المصدر السابق، ص١٤١.

«فلما أزحت الكلفة...» رمقت فى بعض السقائف آمنا فى زى خائف»[١]، وقوله فى لحظة شد انتباه البطل للحضور بإنشاده «حتى إذا اطمأن حلوله... استجمع قوته واحتشد ورفع عقيرته وأنشد...»[٢].

وقول الراوى ممهداً للحظة تحقيقه لغايته وهو طلبه من البطل وصفه للمدن: «فلما ذهب الخجل والوجل... قلت أيها الحبر واللج ... فأولنى عارفة من معارفك أقتنيها»[٣].

وقوله فى إنهاء حديث البطل فى المجلس الأول بعد وصفه لمدينة (رندة) الأندلسية: «فلما بلغ هذا الحد قال هل اكتفيت؟[٤].

وقوله فى إنهاء حديث البطل فى المجلس الثانى: «ثم لما وصل إلى هذا الحد نظر... فقال: وجب اعتناء بالرحيل...»[٥].

وقد يأتى أسلوب الشرط فى معيار الاختيار مقترنا بأسلوب التقديم والتأخير؛ لتأكيد المعنى وإبرازه، وإثارة اهتمام المتلقى ومن ذلك قول البطل للراوى لإغرائه: «وأنا بعد نزيلك إن سرنى جزيلك، وعديلك إن ضحك الىَّ منديلك، وسميرك إن روانى نميرك»[٦].

وقوله مبينا قدراته، ومؤكداً لها، ومبينا لأهميتها، ولاختصاصه بذلك وقصرها عليه «أنا قاطع الدماء إذا نزفت، وكاشف الغماء إذا ما انكشفت»[٧].

---

(١) المصدر السابق، ص٧٣.
(٢) المصدر السابق، ص٧٤.
(٣) المصدر السابق، ص٧٨ –٧٩.
(٤) المصدر السابق، ص١٣٢.
(٥) المصدر السابق، ص١٨٤.
(٦) المصدر السابق، ص١٣٢–١٣٣.
(٧) المصدر السابق، ص١٣٨.

وتظهر حيوية الجمل الشرطية وحواريتها المنوعة الأفعال من خلال توالى الجمل الشرطية وتكثيفها فى قوله: «إن نعيت الشمس لوقت محدود طمس فيها نورها، وإن وعدت الأرض برى محمود فار تنورها، وإن كتبت لعقد النكاح انحلت، وإن عقلتُ خُطى الضالة وقفت حيث حلت، وإن زجرت الجنون تركتْ وتخلتْ»(١).

وتأتى الجمل الاعتراضية(٢): لتعطى البنية التركيبية فى معيار الاختيار بعداً دلاليا وآخر جماليا قد نبه إليه ابن المعتز عند قوله: ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام فى كلام لم يتمم معناه، ثم يعود إليه فيتممه فى بيت واحد»(٣).

فوظِّفت الجمل الاعتراضية بتنوعها فى بنيته التركيبية لتقوية البنية السردية وتحسينها، سواء لبيان الاهتمام أو الاحتراس أو التعليل أو الدعاء أو التفسير والتوضيح، **وبتداخلها التركيبى لتكسب بنيته غموضاً فنياً محببا يقربه من شاعرية الخطاب النثرى.**

وقد امتازت الجمل الاعتراضية فى معيار الاختيار بتنوعها بين الطول والقصر **وإن غلبت عليه الجمل القصيرة نظراً لطبيعة موضوعه، وملائمتها لسرعة السرد، وللحد من تبطئته وإيقافه فى المشاهد الحوارية والوصفية خاصة.**

---

(١) معيار الاختيار، ص١٣٨-١٣٩.

(٢) الجملة المعترضة عبارة عن جملة تعترض بين كلامين تفيد زيادة فى معنى غرض المتكلم، يراجع: خزانة الأدب وغاية الأرب، جـ٨ ص٣٦٦.

- وعند النحاة جملة صغرى تتخلل جملة كبرى على جهة التأكيد، يراجع: البرهان فى علوم القرآن، جـ٣ ص٥٦.

(٣) البديع، ص٥٩.

وتندر فى معيار الاختيار الجمل الاعتراضية الطويلة ومن تلك الجمل ما ورد فى دعاء الراوى للبطل لاستعطافه، وتأكيداً وترسيخاً لهذا الاستعطاف من خلال توالى الدعاء لتأكيده وترسيخه، وإظهاراً لتبجيل الراوى للبطل واهتمامه به فى قوله: «قلت أيها الحبر واللج الذى لا يناله السبر – لا حجبك قبل عمر النهاية القبر، وأعقب كسر أعداد عمرك المقابلة بالقبول والحبر – كأنا بالليل قد أظهر – لوشك الرحيل – الهلع، والغرب الجشع لنجومه قد ابتلع، ومفرق الأحباب – وهو الصبح – قد طلع»(١).

وتتوالى الجمل الاعتراضية القصيرة بعد تلك الجملة الاعتراضية الطويلة لتكثيف البنية الاعتراضية فى خطاب الراوى للبطل بجملة (لوشك الرحيل) الاعتراضية بدلالتها التوضيحية التعليلية لبيان سبب إظهار الليل الهلع، وتضافرها مع جملة (وهو الصبح) الاعتراضية التفسيرية التى تليها فى النص، والاحتراسية من أن يذهب ذهن السامع إلى أن المراد بمفرق الأحباب هو الموت.

ومن الجمل الاعتراضية القصيرة التى سردها فى بنيته ووظفها للدعاء وإشعارنا بالخطر الذى يكتنف المدعو له، وتأكيد الحرص عليه لأنه فاتحة هذا الإقليم ألا وهو «جبل الفتح» قوله: «ووصفه الحسن لا يشان بتقبيح، إلا أنه – ولله يقيه مما يتقيه – بعيد الأقطار ممار بالقطار(٢)»(٣).

ومن توظيف البنية الاعتراضية فيه لتأكيد المعنى وترسيخه وشد الانتباه بإشراك المخاطب فى الإقرار بسوء أخلاق أهل سبتة قوله: «وخدامها – كما

---

(١) معيار الاختيار ، ص٧٨ –٧٩.

(٢) المصدر السباق، ص ٨٣، القطار والقطور: السحاب الكثير القطر، أى: المطر.

(٣) معيار الاختيار، ص٨٧.

علمت – أولئك هم شر البرية»[١]، معمقاً هذا التعالق الصياغى للاعتراض بالتعالق النصى للنص القرآنى الذى استحضره ومعمقاً له.

ومن توظيفه للبنية الاعتراضية للتعليل، وبيان السبب وتوضيحه وتأكيده بالإضافة إلى الاحتراس قول الراوى فى ختام المجلس الأول بعد فراق البطل له: «وسرت وفى قلبى – لبينه وذهاب أثره وعينه – حرقة»[٢].

وكذلك توظيفه للجملة الاعتراضية لتعليله وتوضيحه أثر مناقب الشيخ الولى[٣] وتكثيفها فى البنية السردية، مع الاستفادة من إيحاء الكلمة وتعالق النص القرآنى فى تركيبية مكثفة بديعة تتجلى فى قول البطل فى إطار وصف ما يتهدد نزلاء (بادس) المغربية من هجمات قبيلة (غمارة) البربرية وبيان صدى مناقب الشيخ فى التصدى لكيدهم «وكيدهم – ببركة الشيخ – فى تتبيب[٤]»[٥].

ومن توظيفه للجملة الاعتراضية لبيان الأهمية والاختصاص وإبراز المعنى والتشويق له فى وصف (عين برقانها) بكونها – أعذب عيونها –، وتكثيف الخرافة التى تدور حولها، وتعالقها مع القص والنص القرآنى وربطها به فى تركيبة بديعة بقوله: «وعين برقانها – أعذب عيونها– مشهور بتوليد الهوج،

---

(١) اقتباساً من: ختام الآية (٦) من سورة البينة.

(٢) معيار الاختيار، ص١٣٤.

(٣) هو العالم المتصوف أبو يعقوب يوسف بن محمد بن عبد الله الزهيلى البادسى، نسبة إلى «بادس»، عاش ما بين (٦٤٠هـ –٧٣٤هـ) عاصر الملك أبا الحسن المرينى، وقد ألف فى مناقبه أبو محمد الأوربى مؤلفاً مخطوطاً عثر عليه مؤخراً، يراجع صحيفة الميثاق عدد ٧، ٨، السنة الأولى ١٩٦٢م.

(٤) اقتباساً من الآية الثانية من سورة الفيل.

(٥) معيار الاختيار، ص١٠٩.

قران عند الناس غير ذى عوج، ويذكر أن سليمان اختصها بسجن مردة الجن...»[١].

وتأتى الجمل الإنشائية غير الطلبية المحملة بشحنات انفعالية عالية وتُركّز بصيغها المتنوعة فى متوالية تعبيرية لتعبر عن كثافة الشحنة الانفعالية وتكسب لغته الحيوية والتنوع والتكثيف ومن ذلك وصفه لرد البطل على غلامه، واستفهامه التعجبى، الذى أحس منه الاستخفاف والتقليل من خبرته: «وماذا بلغ الشيخ من أمدها...؟» بقوله: «أى بنى، مثلى من الأقطاب يخاطب بهذا الخطاب!! وأيم الله لقد عقدت الحلق و... فآهاً، والله على عمر مضى وزمن انقضى...»[٢] فإذا هو يرد على أسلوب الاستفهام التعجبى الاستخفافى الإنكارى بأسلوب النداء الذى يدل على التفجع، وبأسلوب التعجب الذى يظهر الاستياء والاستنكار والدهشة والاستغراب، وبأسلوب القسم المغلظ الذى يؤكد به انفعاله ويؤكد به خبراته، وعلومه وفنونه التى والى سردها فى اندفاع كالسيل، وإردافه بأسلوب التحسر والتوجع والتأوه من خلال «فآها» بهذه الصيغة وما بها من مد زائد يعبر عن زفراته العميقة، والذى والاه بأسلوب القسم «والله» **فإذا هى لغته مترعة بالمشاعر والأحاسيس المكثفة المتأججة، والحوارية الجذابة المتدفقة التى أعلت شاعريتها وإن أتت فى سياق سردى.**

وتبرز فى معيار الاختيار جمل التحسر والتعجب والقسم بصورة واضحة من بين الجمل الإنشائية الأخرى فى بنيته اللغوية والأسلوبية.

وتلعب الجمل الطلبية دوراً مهماً فى البنية السردية «لمعيار الاختيار» بصيغتى الأمر والنهى بإكسابها التفاعل والحيوية وخاصة فى السرد الحوارى

---

(١) معيار الاختيار، ص١٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص٧٤.

بين الراوى والبطل، الراوى الذى يقف من البطل موقف التلميذ الحريص على الاستزادة، الذى يجنح أسلوب الأمر منه إلى الاستعطاف والحث، فيضع له المقدمات ويقدم له، بينما يميل أسلوب الأمر لدى البطل إلى النصح، نصح الأستاذ لتلميذه الحريص وعلى إفادته؛ ولذا يقترن – فى أحيان – بأسلوب النهى.

ويظهر ذلك من خلال حوارهما معاً على امتداد المجلسين ومن ذلك قول الراوى مقدماً لطلبه: «أيها الحبر واللج الذى لا يناله السبر. لا حجبك قبل عمر النهاية قبر...، فأولنى عارفة من معارفك أقتنيها واهزز لى أفنان حكمك اجتنيها...»(١).

وقول (البطل): «فأوضح الملغز، وابن لى الطلا من البرغز، وسل عما بدا لك، فهو أجدى لك»(٢).

وقول الراوى قلت: «صف لى البلاد... »(٣)، فقال: « سل ولا تسل، ولو راعك الأسل»، قلت: «انفض لى البلاد الأندلسية من أطرافها، وميز بميزان الحق بين اعتدالها وانحرافها، ثم اتلها بالمرينية نسقاً، واجل بنور بيانك غسقاً وهات ما تقول فى جبل الفتح»(٤).

وقول الراوى للبطل يستحثه: «... فألن العريكة، وسلم النطع والأريكة» وقول البطل أجل واعرض، وانزل السؤال وافرض... ثم قال هات»(٥).

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٨، ٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص٧٩.

(٤) المصدر السابق، ص٧٩، ٨٢.

(٥) معيار الاختيار، ص١٤٠ –١٤١.

وإنهاء البطل لحديثه فى نهاية المجلس الثانى بعدة أبيات تتعدد فيها جمل الأمر، أنهاها بالنهى الذى يفيد التحذير «خذ من زمانك، واترك بجهدك ما تيسر، واكتم حديثك، لا تعدم التقوى»(١).

فإذا بالجمل الطلبية تجعل المخاطب حاضراً متفاعلاً مع النص.

رابعاً: حوارية النص:

تتسم بنية معيار الاختيار ببنائها التركيبى الدقيق والمميز بـ «حوارية النصوص» وهى ما بين النصوص من التحاور والجدل، الذى يشير إلى وجود نصوص مركزية وأخرى فرعية، من القرآن والحديث وأقوال السابقين وأشعارهم، ومن الثقافات الشعبية السائدة زمن التوظيف، التى استطاع مؤلف معيار الاختيار بمهارة وفنية أن يستقطبها جميعاً داخل نصه ويوظفها بفنية عالية.

هذه الحوارية أو الجدلية(٢)، أو التفاعل(٣)، أو التداخل والتعالق(٤)،

---

(١) المصدر السابق، ص١٨٥.

(٢) يراجع: دينامية النص تنظير وإنجاز، محمد مفتاح ط المركز الثقافى العربى بالرباط ط٢ ١٩٩٠م، ص٨٩.

– تحليل الخطاب الشعرى: استراتيجية التناص، محمد مفتاح ط المركزالثقافى العربى بالرباط، ط الثالثة ١٩٩٢م، ص١٢١.

(٣) يطلق «سعيد يقطين» مصطلح التفاعل النصى مرادفاً للتناص ويعلل هذا الإيثار بقوله: «فبما أن النص ينتج ضمن بنية نصية سابقة، فهو يتعالق بها، ويتفاعل معها تحويلاً أو تضميناً أو خرقاً، وبمختلف الأشكال التى تتسم بها هذه التفاعلات.

–يراجع: انفتاح النص الروائى، سعيد يقطين ط المركز الثقافى العربى ط ٢٠٠١م، ص٩٨.

– انفتاح النص إلى النص المترابط، سعيد يقطين، ط المركز الثقافى العربى ط أولى ٢٠٠٥م.

(٤) يطلق «عبد الله الغذامى» مصطلح التداخل النصى مرادافً للتناص ويرى أن تداخل النصوص يتم بين نص واحد من جهة، وتقابله فى الجهة الأخرى نصوص لا تحصى».

– الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامى، ط النادى الثقافى بجدة ط (١) ١٩٨٥م، ص٩٠.

والتقاطع[١]، أو التناص[٢] فى معيار الاختيار الذى أثراه بكمٍ هائلٍ من الملفوظات والنصوص كثفت وعمقت شحناته الانفعالية، فاتسع بزخم موروثه الثقافى ليشمل أنماطاً أدبية متعددة مترعة بالأنساق الثقافية[٣] حتى عصره، تختلف نسب وجودها وتختلف بالتالى درجة جدلياتها مع النص المركزى.

ومن أبرز تلك النصوص التى كان لها حضورها القوى فى بنية «معيار الاختيار» النص القرآنى، ذلك النص الذى يُعجز عن مجاراته، **والذى نجح ابن الخطيب فى استدعائه؛ ليكسب نصه القدسية والخلود، والثراء الدلالى المتنوع، وجماليات التعبير،** وليتمكن من ربط وجذب المتلقى بالنص، وتفاعله معه، من خلال إثارة ذهنه وتحريكه للبحث عن مصدر التفاعل، ودلالاته المتعددة، مما أسهم فى ثراء نصه من خلال:

---

(١) تؤكد «جوليا كرستيفا» المنظرة للتناص هذا المدلول من خلال تحديدها للنص بأنه «ترحال للنصوص وتداخل نصى، ففى فضاء نص معين تتقاطع ملفوظات عديدة متقاطعة من نصوص أخرى.

– يراجع: علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهى، ط دار توبقال بالمغرب ط الأولى ١٩٩٣م، ص٢١.

(٢) هذا التناص الذى يرى «ياسر رضوان» أنه يعنى التداخل والتفاعل بين هذه النصوص جميعها، هذا التفاعل الذى يستدعى علاقات التأثير، والتأثر، والمثاقفة وغيرها من المصطلحات التى تؤدى إلى التعالق بين النصوص قديمها وحديثها، فالنص يتشكل من مجموعة من النصوص السابقة التى تفاعل معها، وتأثر بها فبدا على صورته الآنية التى نتلقاه بها.

– يراجع: التناص عند شعراء الصنعة، ياسر عبد الحسيب رضوان، ط مكتبة الآداب بالقاهرة ط الأولى ١٤٣١هـ –٢٠١٠م، ص٨٠.

(٣) يراجع المقامة والأنساق الثقافية، كليطو ص٨ والذى يعرف الأنساق الثقافية بأنها «مواضعة اجتماعية، دينية، أخلاقية، جمالية»، تفرضها فى لحظة معينة من تطورها الوضعية الاجتماعية، والتى يقبلها ضمنيا المؤلف وجمهوره، فيكون أفق النصوص المفردة والانجازات الفردية هو (النص الثقافى)، الذى يجعلها ممكنة، من خلال انفتاحه على نصوص أخرى، ومعرفيات أخرى يدمجها فى بنيته.

أولاً: استدعاء النص القرآنى

سواء كان هذا الاستدعاء للنص كاملاً «الاقتباس»:

ومن ذلك قول الراوى بعد سرده لحديث البطل عن مثالب مدينة «غرناطة»[١]، وهو ينهى حديثه عنها، ثم قال: «اللهم غفراً، وإن لم نقل كفراً» ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٢].

وقوله بعد أن عدد محاسن مدينة «سبتة»[٣]، معللا اتصافها بتلك المحاسن «وثمرة امتثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[٤].

فيأتى بصدر الآية لاستحضارها كاملة فى النص ليؤكد حسن أخلاق أهلها وتدينهم وامتثالهم لأمر الله فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[٥].

فإذا هو يجمع بين بلاغة السرد والتناص، وحسن التعليل والإيجاز.

ومن ذلك قول الراوى عندما طلب من البطل أن يصف له المدن متوخيا عدم الميل[٦] ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ ﴾ ومن أصدق من الله مقالاً»[٧]، الذى جمع فيه بين تناصين التناص الأول اقتباس كامل لجزء من آية، والتناص الآخر مع التغيير من (قيلا) إلى (مقالاً).

---

(١) معيار الاختيار ، ص١٢٣.

(٢) آية (٤٨) من سورة النساء.

(٣) معيار الاختيار، ص١٤٦.

(٤) أية (٩٠) من سورة النحل.

(٥) أية (٩٠) من سورة النحل.

(٦) معيار الاختيار، ص٧٩.

(٧) آية (١٥٢) من سورة الأنعام، وآية (١٢٢) من سورة النساء.

أو الاستدعاء لدلالة النص القرآنى دون الاقتباس الكامل للنص، وهو ما يعرف عند البلاغيين «بالاختلاس»، معتمداً على التلويح والتلميح، ومراعيا حسن المناسبة الذى يضفى على النص عمقاً فنياً.

ومن ذلك قوله فى وصف جبل الفتح(١)، «مأهل العقيق وبارق، ومحط طارقها بالفتح طارق، **إرم البلاد التى لم يخلق مثله فيها**»(٢).

وقوله فى وصف مدينة «المنكب»(٣)، وأهلها: «فإذا التهبت السماء وتغيرت بالسمائم المسميات والأسماء، فأهلها من أجداث بيوتهم يخرجون وإلى جبالها يعرجون»(٤).

وقوله فى وصف «لوشة»(٥): «وصيد ووقود، وأعناب كما زانت اللبات عقود، وأرانب تحسبهم أيقاظا وهم رقود»(٦).

وقوله فى وصف ما يتهدد مدينة (بادس)(٧) من مجاورتها لقبائل (غمارة) البربرية، ودبيبهم فى الطرق المؤدية إليها، وحفظ الله لها ببركة وليها الشيخ أبو يعقوب البادسى، «وكيدهم – ببركة الشيخ – فى تتبيب»(٨)، فإذا هو يعمق المعنى ويكثفه ويعلى من هلاكهم ويؤكده من خلال استحضار النص القرآنى، وربط معناه (هلاكهم) بهلاك أصحاب الفيل.

---

(١) معيار الاختيار، ص٨٢.

(٢) تناص مع الآية (٧)، (٨)، من سورة الفجر ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾.

(٣) معيار الاختيار ص٨٢.

(٤) المصدر السابق ص٩٦.

(٥) تناصاً مع قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ (٤٣) من سورة المعارج.

(٦) معيار الاختيار، ص١٢٦، ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ آية (١٨) من سورة الكهف.

(٧) معيار الاختيار، ص١٤٣.

(٨) تناص مع قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴾ الآيـة ١، ٢ مـن سورة الفيل. =

ويكثر فى معيار الاختيار التناص الدلالى من القرآن الكريم، وينتشر فى بنيته بشكل دقيق، وصياغة متميزة(١).

ثانياً: استدعاء أبيات الشعر:

ويكثر بشكل ملفت للنظر التناص مع النصوص الشعرية والتعالق والتداخل النصى لها حتى غدت جزء من البنية السردية فى معيار الاختيار؛ حيث يضمنه ثلاثة وستين بيتاً **تضميناً تارة يذكر فيه اسم الشاعر وهو قليل، وتارة يعتمد فيه على شهرة الشعر، وثقافة المتلقى،** مستحضراً لتلك الأبيات من خلال صياغة دقيقة تعلى من شاعرية السرد النثرى، وتعمق معناه، وتثرى بنيته بتلك الحوارية والجدلية من خلال استحضار أبيات الشعر من العصور الماضية بزخمها الشعورى والانفعالى والتراثى الراسخ فى المخيلة العربية، واستحضار أبيات للمؤلف تمثل جزء من إبداعه وانفعاله الشعرى، ليكثف ويعمق بها تلك البنية من غير أن يشير إلى مبدعها فإذا هى جزء من الموروث الشعرى.

ومن تضمينه لأبيات يذكر فيها اسم مبدعها، مظهراً فيها لتضمينه وموظفاً لاسم مبدعها وما يرتبط به من اتجاه شعرى اشتهر به، ألا وهو الزهد؛ ليعمق من إيحائها وليستدعى إلى ذهن القارئ أشهر قصائده ومقطوعاته، هو ومن نهج نهجه

= يقصد بالولى الذى أشار إليه فى النص «بالشيخ» (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن عبد الله الزهيلى البادسى، عاش ما بين (٦٤٠هـ -٧٣٤هـ -١٢٤٢م -١٣٣٣م) وهو عالم متصوف، ذكره ابن خلدون عرضاً فى حديثه عن قبائل البربر، وقد عاصر الملك «أبا الحسن المرينى»، وقد ألف أبو محمد الأُوربى مُؤلفاً فى مناقبه عُثر عليه.

- يراجع صحيفة الميثاق المغربية عدد (٧، ٨) من السنة الأولى ١٩٦٢.

(١) يراجع معيار الاختيار ،ص٧٢، ٨٢، ٨٥، ٨٧، ٩٤، ٩٦، ١١٧، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، وفيها تناص من ثلاث سور، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨...

استحضاره لبيتى أبى العتاهية[١]، بعد أن عدد مساوئ (غرناطة)، معللاً لتعلقه بها على الرغم من ذكره لمثالبها، عند إنهائه الحديث عنها قائلا: «ولله در أبى العتاهية» حيث يقول[٢]:

أصبحت الدنيا لنا فتنةً والحمد لله على ذالكا
اجتمع الناس على ذمها وما نرى منهم لها تاركاً[٣]

ويتعالق ويتناص وصفه لمدينة «سلا» المغربية مع بيتى «لابن الخطيب»، فيضمن مسرده الوصفى الذى يبين فيه أن فيها السلوى للمهموم، مؤكداً ذلك ومدعماً إياه بقوله: «وتوجد عندها للمهموم السلوى، كما قال ابن الخطيب[٤]:

وصلت حثيث السير فيمن فلا الفلا فلا خاطرى لما نأى وانجلى انجلى
ولا نسخت كربى بقلبى سلوة فلما سرى فيها نسيم «سلا» سلا

---

(١) أبو العتاهية: هو الشاعر العباسى «إسماعيل بن القاسم»، شاعر الزهد العربى فى القرن الثانى الهجرى، ولد حوالى عام (١٣٠هـ -٧٤٧م)، وتوفى عام (٢١٠هـ -٨٢٩م)، اتصل بأربعة خلفاء (المهدى، والهادى، والرشيد، والمأمون)، اشتهر فى شبابه بحبه لجارية الرشيد (عتبة)، وتردد اسمها فى قصائده ومقطوعاته، واشتهر شعره بالزهد فى آخر حياته، حتى أصبح رائد هذا الاتجاه فى العصر العباسى الأول.

- ديوان أبو العتاهية، تقديم كرم البستانى ط دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م ص١ - ١٠.

- أبو العتاهية ، محمد أحمد برانق ط القاهرة ١٩٤٧م.

- شاعرنا العالمى أبوالعتاهية،عبد العال الصعيدى-مجلة الرسالة المصرية عدد(٣) ١٩٥٣م.

(٢) ديوان أبى العتاهية، ص٣٠٩.

(٣) معيار الاختيار ،ص١٢٣.

(٤) ديوان لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد مفتاح ط دار الثقافة للطبع والنشر ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م جـ٢ ص٧٧٨.

وكفى بالشابل رزقاً طرياً، وسمكاً بالتفضيل حرياً[١].

وقول الراوى سارداً ما دار بينه وبين البطل فى نهاية المجلس الأول بعد أن أجزل له العطاء: «فقال: بوركت من مواس، وأنشد قول أبى نواس [٢]:

ما من يد فى الناس واحدة كيد أبو العباس أولاها

نام الثقات على مضاجعهم وسرى إلى نفسى فحياها

ثم قال: نم فى أمان ... »[٣].

ويأتى عدم تصريحه باسم الشاعر الذى يظهر الإعجاب بشعره الذى يتعانق معه نصه تحفيزاً وحضاً على الاستماع لهذا الشعر، ودفعاً المتلقى ليستحث ذاكرته الشعرية، ويقدح قريحته ولو لبرهة ليستحضر كل الأبيات التى أتت فى هذا المعنى. فإذا هو يضفى شىء من الضبابية الفنية ليشد انتباه المتلقى ويعمق معناه ويثريه بما يثيره هذا الشعر لتتحاور العديد من المعانى، وتُعمق البنية الفنية، فى قوله: «ولله در القائل»[٤] ولله در صاحبنا إذ يقول:...» [٥].

وقد يتعالق النص الشعرى فى معيار الاختيار من خلال السرد لقول الراوى أو قول البطل لأبيات الشعر بصيغ متنوعة مثل:

«ثم يقول[٦]، فقال[٧]– ثم قال[٨]، وأنشد[٩]، وجعل ينشد[١٠].

---

(١) معيار الاختيار، ص١٥٥.

(٢) ديوان أبى نواس، تحقيق إينالد فاغر، ط – القاهرة ١٩٥٨م، جـ١ ص٢٤٨.

(٣) معيار الاختيار، ص١٣٣.

(٤) المصدر السابق، ص٩٩، ١٠٩.

(٥) المصدر السابق، ص٧٢.

(٦) المصدر السابق، ص٧٣.

(٧) المصدر السابق، ص١٧٢، ١٨٥.

(٨) المصدر السابق، ص٧٤.

(٩) المصدر السابق، ص٧٤، ٧٧.

(١٠) المصدر السابق، ص١٤١.

وقد يأتى بالنص الشعرى فى مسرد وصفى بحيث يتداخل مع النص تداخلاً تاماً بدون التنبيه أو التمهيد له بصيغة من الصيغ التى تسبق أبيات الشعر فى نسقنا الثقافى وتضيىء له[(١)]، ومن ذلك ما أورده من سرد الراوى لانفعال البطل وتصرفاته بعد وصفه لمثالب مالقة والتى أوردها ردفاً لمحاسنها بقوله: «ثم تبسم عند انشراح صدر وذكر قصة الزبرقان بن بدر:

تقول هــذا مجــاج النحــل تمدحــه وإن ذممــت فقــل قــئ الزنــانير

مدح وذم وعــين الشــىء واحــدة إن البيان يُرى الظلماء فى النــور [(٢)]

وقد نجح المؤلف فى إيهام المتلقى بأن البيتين «للزبرقان»، مع أنهما «لابن الرومى»[(٣)]، هذا الإيهام أو الخداع الفنى الذى أضف على النص غموضاً فنياً تُجلِّيه ثقافة المتلقى الشعرية، بعد أن تجذبه إليه، وتكثف المعنى وتعمقه، خاصة فى تلك المتوالية التى انتظم فيها التناص الخفى لآية قرآنية، واستدعاء الحديث الشريف «إن من البيان لسحراً»، مع استلهام قصة تُوهم بأن بطلها الأوحد هو «الزبرقان بن بدر»، وصياغته للنص الشعرى فى نسقها، صياغة توهم بأن النص الشعرى جزء من تلك القصة، مع أنهما من عصرين مختلفين، عصر صدر الإسلام والعصر العباسى، ولكنه الإبداع الفنى الذى يجمع بين العصور وبين الفنون من خلال دورانهما حول معنى واحد، يتحاور كل منهم ليعمقه، فى صيغة تجمع بينهم، وتمزجهم بفنية عالية.

ومن هذا التناص الشعرى قوله على لسان البطل فى وصف محاسن (غرناطة) وجمالها فى جميع صورها: «يروقك من أطرافها حسن الصور وجمالها، وطرف الصنائع وكمالها، والفعلة وأعمالها، حتى الأطلال وانهمالها، والسؤال وأسمالها.

---

(١) معيار الاختيــار، ص٧٨، ٨٣، ٨٩، ٩١، ١٠٢، ١٠٥، ١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٥٨، ١٧٥، ١٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص٩١.

(٣) ديوان ابن الرومى، جـــ٢ ص١٦٨ .

كـلٌ عليـه مـن المحاسـن لمحـة فـى كـل طـور للوجـود تطـوراً
كالروض يعجب فـى ابتـداء نباتـه وإذا اسـتجم بـه النبـات ونـوَّرا
وإذا الجمـال المطلـق استشـهدته ألغيت مـا انتحـل الخيـال وزوَّرا[1]

وقوله مستحضرا لبيتى ابن اللبانة[2]، ومزاوجاً لهما، ومتناصاً معهما فى وصفه لمحاسن طبيعة مدينة «فاس» وأنهارها: «حيث... والمنارة المخطوبة، وصفح الخلج المشطوبة، والغدر التى منها أبو طوبة:

بلـد أعارتـه الحمامـة طوقهـا وكساه ريـش جناحـه الطـاووس
فكأنمـا الأنهـار فيـه مدامـة وكـأن سـاحات الـديار كـؤوس[3]

---

(١) معيار الاختيار، ص١٢١.

(٢) ابن اللبانة: هو الشاعر «أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمى الـدانى»، لقـب بـابن اللبانة؛ لأن والدته كانت تبيع اللبن، وبالدانى لمولده فى مدينة «دانية» بالأندلس، قال الشعر منـذ صباه، عاش فى عصر ملوك الطوائف، انتقل إلى «بطليوس»؛ حيث مملكة «بنـى الأفطـس»، ولكنه لم يسعفه الحظ عند أميرها المتوكل بن الأفطس، رحل إلى «إشبيلية» واتصل «بالمعتمد بن عباد» ومدحه بالعديد من قصائده، وتوطدت علاقته، به فجمعت بينهما الصداقة والمحبة الخالصة، وظل وفياً للمعتمد بعد سقوط دولته ونكبته، وبعد وفاة المعتمد رحل من «إشبيلية» إلـى جزيـرة «ميورقة»، حيث توفى فيها عام (٥٠٧ هـ)، ودفن فيها بجانب الشاعر «أبى العرب» الصـقلى، ودفن إلى جانبه فيما بعد الشاعر المشهور «ابن حمديس الصقلى»، ومـن أرق وأروع وأعـذب قصائده، شعره فى «المعتمد ابن عباد» والعباديين، الذين ظل وفيا لهم، يتميز بقوة قريحته وجودة طبعه، فشعره بصفة عامة يتصف بالسهولة والسلاسة والرقة والبعد عن التكلف، فهو تعبير عـن معاناته الشعرية وعن صدق مشاعره بطلاقة، تراجع ترجمته فى: =

=- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام ، تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة بيـروت لبنان ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، جـ٣ ص٦٦٦-٧٠٢.

- المغرب فى حلى المغرب، لابن سعيد ، تحقيق شوقى ضيف ط ٢ مـط دار المعـارف بمصر ١٩٦٤م، جـ٢ ٤٠٩ -٤١٦.

اجتمع بها ما أولده سام وحام...»[١].

وتتداخل دلالة النص الشعرى فى دقة فنية مع النثر فى معيار الاختيار، فإذا هو الغائب الحاضر، من خلال استدعاء فنى متميز، وهو ما يطلق عليه البلاغيون حل المعقود أو حل المنظوم، ومن ذلك قوله فى وصف جمال أهل «برجة»: «وأعيان ووجوه، نجل العيون بيض الوجوه غلتهم الحرير»[٢].

متناصاً مع بيت «حسان بن ثابت» من قصيدته التى مدح بها «الغساسنة» قائلا:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول[٣]

من خلال استحضاره لمطلعه «بيض الوجوه»، وإخفائه من خلال مزواجته مع تعبيره (نجل العيون) الذى أتى على وزنه، ليُكون منهما بنية سردية متماثلة منسجمة.

- قلائد العقيان، الفتح بن خاقان، تحقيق حسين يوسف خربوش ط مكتبة المنار بالأردن ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م، ص٧٧٦-٧٨٠.
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، للمراكشى تحقيق سعيد العريان ط القاهرة ١٩٦٣م، ص٢٠٨-٢٢٤.
- فريدة القصر، عماد الأصفهانى (قسم شعراء المغرب والأندلس)، تحقيق أذرتاش أذرنوش وآخرين ط الدار التونسية للنشر ١٩٧١م، جـ٢ ص١٠٧ -١٤٧.
- الوافى بالوفيات، الصفدى نشر المستشرق دبدرنغ ط المطبعة الهاشمية بدمشق ط ١٩٥٩م، جـ٤ ص٤٩٧.

(٣) ديوان ابن اللبانة الدانى (مجموع شعره)، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد ط ٢ عمان – دار الراية للنشر والتوزيع ١٤٢٩هـ -٢٠٠٧م، ص٧٦.

(١) معيار الاختيار، ص١٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص٩٩.

(٣) ديوان حسان بن ثابت، ط دار بيروت للطباعة والنشر ودار النفائس بيروت – لبنان ط الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٧م، ص١٨٠.

وقوله فى وصف «شِعْب» مدينة «طبرنش» «وشِعْب تُنثر فيه دنانير أبى الطيب»(١).

فإذا هو يستدعى ويتناص مع وصف «المتنبى» لشعب بوان، مستحضراً لقوله فى وصف كثافة أشجار هذا الشِعْب، الذى يتخلل أغصانه ضوء الشمس عند الشروق، فيلقى على ثيابه دنانير من الضوء، تفر من بنانه كلما حاول أن يمسك بها.

فألقى الشرق منها فى ثيابى دنانير تفر من البنان(٢)

وقوله فى مدينة «فاس» مشيداً بـ«بنى مرين»: «أى كلف وكلف، ومتفق ومختلف، ومحاباة وذلف، وقضيم وعلف، وخلف عن سلف، إنما الدنيا أبو دلف، سألت عن العالم الثانى.. ..»(٣).

فيستحضر ويتناص مع قول الشاعر العكوك «على بن جبلة»(٤)، فى مدح «أبو دلف»(٥) الذى ذاع صيت كرمه النادر وغناه العريض(٦).

---

(١) معيار الاختيار، ص١٠٣.

(٢) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى، للبرقوقى ط دار الكتاب العربى – بيروت لبنان ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، جـ٤ ص٣٨٦.

(٣) معيار الاختيار، ص١٧٤.

(٤) الشاعر العكوك هو: الشاعر العباسى «على بن جبلة بن مسلم الأنبارى الخرسانى»، شاعر عراقى مجيد، أعمى أسود، أبرص، ويلقب بالعكوك أى: القصير السمين، وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ مداح حسن التصرف، ولد سنة ١٦٠هـ، وتوفى سنة ٢١٣هـ.

– يراجع: الأغانى، لأبى الفرج الأصبهانى ط دار الكتب المصرية بالقاهرة جـ٨ ص٢٥٤، جـ١٨ ص١٠٠.

– وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م، جـ٣ ص٣٥.

(٥) أبو دلف هو: «القاسم بن عيسى بن إدريس العجلى»، أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الأجواد من الشعراء، وكان من رجال «الرشيد» ثم ابنه «المأمون» وقد عقد له ابن طيفور فصلاً خاصاً فى كتابه «بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية» عند حديثه عن الخليفة المأمون وشهرة الرجل واضحة فى الغنى العريض والكرم النادر، وتوفى سنة ٢٢٦هـ، يراجع: بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية، لابن طيفور.

(٦) ديوان على بن جبلة، الملقب بالعكوك، جمع وتحقيق، حسين عطوان، ط دار المعارف، الطبعة الثالثة سلسلة ذخائر العرب (٤٨)، ص٦٨.

إنمـــا الـــدنيا أبـــو دلـــف بـــين مغـــزاة ومختصـــره
فـــإذا ولـــى أبـــو دلـــف ولـــت الـــدنيا علـــى إثـــره

ويتناص فى سياق سرد الراوى لحال البطل وتحسره على شبابه بقوله:

«وقال وقد هزته أريحية على الدنيا سلام وتحية»[١]، مع بيت آخر «لعلى بن جبلة» فى مدح «حميد الطوسى»[٢].

إنمـــا الـــدنيا حميـــد وأياديـــه الجســـام
فـــإذا ولـــى حميـــد فعلـــى الـــدنيا الســـلام[٣]

وهكذا يأتى الشعر مزاوجاً للنثر لتأكيد قيمة الوصف السردى فيه وبيان أثره فى مجرى الأحداث[٤]، وليجعل النص يقترب من روح الدراما...[٥] فتأتى ترنيماته إبرازاً لقيمة الحدث، وتأكيداً وتعميقاً لأثره فى نفوس المتلقين، ولتقوية الأسلوب ولجذب انتباه القارئ ودفع السأم والملل عنه من خلال التنويع بين الشعر والنثر ولتوظيف قدرة الشعر على تكثيف العاطفة وتركيزها، ولفتح فضاء النص على النسق الثقافى وربطه بالتجارب المشابهة السابقة منها واللاحقة واستدعاء الأبيات التى تدور حول هذا المعنى لتجول بذاكرة القارئ فى إطار نغمها الموسيقى الذى يستدعى أحداثها ويجذبها مغناطيسياً[٦] لإثراء وتعميق البنية العميقة للنص بالعديد من المستويات فى معذوفة تضم كماً هائلاً من أصوات الماضى والحاضر يجمعها

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٤.

(٢) حميد بن عبد الحميد الطوسى أحد قواد المأمون والمقربين إليه جمعته علاقة صداقة مع الشاعر «على بن جبلة» ومدحه فطارت بشهرته الآفاق، الأغانى جـ١٨ ص١٠٥.

(٣) ديوان على بن جبلة، ص١٠٥.

(٤) فن القصص فى النثر الأندلسى، على الغريب محمد الشناوى ص٣٥٨، ط الأولى ط مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠٠٣م.

(٥) فن المقامة فى القرن السادس،حسن محمودعباس، ط دار المعارف ١٩٨٦م، ص٣٤٢.

(٦) أدب الرسائل فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى، فايز عبد النبى فلاح القيسى، ط دار البشير للنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م، ص٣٢٦-٣٢٧.

نغمٌ واحد، يُظهر مدى موسوعية مبدعها، وسعة محفوظه، وقدرته الإبداعية المتناغمة مع موروثه الثقافى، خاصة وأن دالة الشعر ديوان العرب جزء من النمط الثقافى والوجدانى للمتلقى لهذا الفن.

ثالثاً: استدعاؤه للأمثال والحكم التى تجرى مجرى الأمثال وتوظيفها بدقة:

فقد استطاع صاحب معيار الاختيار أن يضمن بنيته العديد من الأمثال والحكم التى سارت مسار الأمثال، التى نجح فى استحضارها بعمق تركيزها، وتكثيفها، وشهرتها وذيوعها عبر أزمنة متعددة، واستدعاء التجارب المرتبطة بها لإثراء وتعميق النص، وتكثيف شحنته الانفعالية، وجعله مألوفاً، من خلال صياغة دقيقة، وتوظيفٍ فنى يخدم موضوعه، ومن ذلك قوله: «وأزمعت عن العراقين سرى القين»[١] مستحضراً للمثل (إذا سمعت بسرى القين فإنه مصبح)[٢] الذى يضرب لكل من يهم بالشىء ولا يفعله، والذى ضربته العرب من خلال اعتياد القين (الحداد)، الذى يقوم بحفر الآبار عندما ينزل بقوم، ويجد أن القوم بعد وقت قد خف استعمالهم له، فإنه يحفزهم على استعماله، بأن يجمع أدواته مظهراً عزمه على الرحيل الذى لا يتحقق، ولذا صار سيره الذى لا يتحقق مضرباً للأمثال[٣].

وقد استطاع المؤلف أن يوظف المثل فى بنيته الفنية بإيجازه وتركيزه وتكثيفه لتصوير مدى ارتباط البطل «بالبصرة» و«الكوفة» هاتين المدينتين اللتين أطلق عليهما (العراقين) لأهميتهما، وليعبر عن أنه كلما همَّ بالرحيل عنهما، وعزم على ذلك، لا يستطيع أن يرحل عنهما، ليدلل على صعوبة فراقه لهما، مصوراً حاله فى ذلك بحال القين، ومستدعياً للقصة التى ارتبطت بهذا المثل، ومتمثلاً بها، ومكثفا من خلاله لشحنته الانفعالية، وإكسابه معناً شعورياً وإنسانياً يعكس شدة ارتباطه بهما.

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٦.

(٢) مجمع الأمثال، للميدانى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط دار المعرفة بيروت لبنان ١٣٩٢هـ جـ١ص٤١.

(٣) معجم لسان العرب، مادة (قين).

وقوله: «حشف وسوء كيلة»[١]، وتوظيفه لهذا المثل[٢] فى حديثه عن «غساسة» المدينة المغربية، التى تعد ثغر من ثغور المغرب المواجهة للعدو الصليبى، ومقراً لقبائل (بطوية) البربرية فجمعت بين عيبين ونقيصتين أو ظلمين، وهما عدم الأمن وسوء قاطنيها، بالإضافة إلى سوء محصولاتها الزراعية، وغش أهلها، فعبر عن ذلك وأكده ورسخه بقوله: «أنها فريسة وأكيلة وحشف وسوء كيلة».

وكذلك توظيفه للمثل وما قلت إلا بالذى علمت سعد» الذى يضرب فى التحقق وإسناد الأخبار إلى مصادرها، وتوظيفه له بحرفية عالية؛ ليؤكد به ويرسخ وصفه لجمال طبيعة «مراكش»، التى جعلته يقول أنها جنة الله فى الأرض، ويؤكد ذلك بكونه حقيقة ثابتة يعلمها أهلها قائلاً: «فإذا تناصف الحر والبرد، وتبسم الزهر وخجل الورد، وكسا غدرانها الحائرة الحُلُق السرد، قلت أُنجز للمتقين الوعد، وساعد السعد، وما قلت إلا بالذى علمت سعد»[٣]. مستحضراً فى الأذهان قصة هذا المثل الذى قاله الحطيئة فى قصيدته التى يمدح بها «بغيض بن عامر بن لؤى»[٤]، «أنف الناقة» وقومه من «بنى سعد»، الذى أكرم ضيافته بعد أن انصرف عن ضيافة «الزبرقان بن بدر»، الذى أحس بالإهانة لانصرافه عنه فاشتكى إلى «عمر بن الخطاب» ﷺ معرباً عن استيائه من استضافة أبناء عمومته للحطيئة، مع أنه كان فى ضيافته فقال الحطيئة مادحاً لـــ «بنى أنف الناقة» ومعرضا «بالزبرقان» الذى لامه على مدحه لهم[٥]:

---

(١) الحشف هو: أسوء أنواع التمر، وسوء الكيلة: الغش فى المكيال، فصار يضرب هذا المثل إذا اجتمع أكثر من عيب، أو وقع على أحد أكثر من ظلم، وأصل المثل (أحشف وسوء كيلة).

(٢) جمهرة الأمثال، أبى هلال العسكرى ط دار الفكر بيروت لبنان جـــ١ ص١٠١.

(٣) معيار الاختيار، ص١٦٣.

(٤) ديوان الحطيئة، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، ط دار المعرفة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـــ –٢٠٠٣م، ص٤٠، ويذكر الشارح للديوان تلك القصة ص ١٧–١٨.

(٥) ديوان الحطيئة، ص٤٢.

وتعـــذلنى أبنـــاء ســـعد علـــيهم ومـــا قلـــت إلا مـــا علمـــت ســـعد

مستحضراً للنصوص التى دار فى فلكها هذا المثل(١).

ومن ذلك توظيفه للأمثال التالية سواء النثرى منها أو الشعرى بدقة ومهارة فنية فى بنيته السردية «ابن لى الطلا من البرغز» الذى وظفه ليعبر عن طلب البطل من الراوى توضيح وتفصيل ما يريده من ذكر المدن توضيحاً تاماً لا لبس فيه.

«وناب حنت إلى حوار» الذى وظفه ليبين شدة تعلق الراوى بالبطل، وتلهفه على علمه، والاستفادة منه(٢)، وتوظيفه للمثل «الجنون فنون» ليبين الراوى للبطل مدى عشقه وولهه وشوقه، وشدة تعلقه وكلفه بمعرفة البلدان(٣)، مستدعياً فى الأذهان بهذا المثل قول أبو بكر على الفهستانى(٤):

تذكر نجـداً والحـديث ذو شـجون فجـن اشـتياقاً والجنـون فنـون

وقول «أبى البقاء الرندى» الشاعر الأندلسى (٦٨٤هـ -١٥٨٥م)(٥):

دعينـى وإن قيـل الجنـون فنـون فالصـب مثلـى بـالهوى مفتـون

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٩، المثل يضرب للإيضاح والتفصيل البين الذى لا لبس فيه كما يبين ويفصل ويفرق بين «الطلا» ولد الظبى حين الولادة و«البرغز» ولد البقرة.

(٢) معيار الاختيار، ص٧٨.

(٣) معيار الاختيار، ص١٤١.

(٤) مجمع الأمثال، للميدانى جـ١ ص١٩٧، ذكره الميدانى عند الحديث عن المثل «الحديث ذو شجون» قائلاً: أن الشيخ أبو بكر على الفهستانى قد نظم هذا المثل ومثل آخر «الجنون فنون» فى بيت فأحسن ما شاء (وذكر البيت).

(٥) يراجع: ديوان أبى الطيب صالح بن شريف الرندى، تحقيق ودراسة حياة قارة ط مركز البابطين بالمملكة المغربية سلسلة من تراثنا الشعرى رقم (١٠) ٢٠١١م «قصيدة الجنون فنون» ص٢٨٠.

وكذلك توظيفه للمثل القائل: «لا تجود يد إلا بما تجد»(١)، والقائل: «كل نظم فإلى انتثار»(٢)، و«ولا تسل ولا راعك الأسل»(٣)، و«الدهر لا يقول نما لمن عثر»(٤)، «ولا ينظم شملاً إذا انتثر»(٥)، «لكل شيء آفة»(٦).

وبذلك استطاع المؤلف أن يثرى نصه بالعديد من النصوص المتحركة والمتعالقة والمتشابكة المعمقة لبنيته ودلالته والمنفتحة على العديد من النصوص المكثفة السائرة.

استدعاؤه للأساطير والخرافات والغرائب والعجائب:

وتوظيفه لشحناتها الانفعالية، وجذورها الضاربة فى الوجدان الشعبى للأمم والشعوب؛ لإكساب بنيته السردية أبعاداً دلالية، واستحضار كل ما يدور عنها لإثراء وتعميق بنيته الفنية بالعجائبية ومن ذلك:

استدعاؤه للأسطورة التى تتردد من أن «سليمان» عليه السلام قد سجن وحبس الجن الذى تمرد عليه فى أوانى، وألقاها فى عين فى «فاس» أطلق عليها «عين برقان» هذه

---

(١) معيار الاختيار، ص١٤١، مستحضراً قول الشاعر«الفقيمى» قاتل والد الفرزدق:

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجد

- كتاب الأمثال والحكم، لأبى الحسين الماوردى، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ط دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية ط الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م ص٩١.

- وأورده الجاحظ فى البيان والتبيين للفقيمى جـ٣ ص٢١٤، ٣٢٦.

- وورد فى العقد الفريد، لابن عبد ربه (دون نسبه) جـ٣ ص١٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٨٥.

(٣) المصدر السابق، ص٧٩، مثل يضرب للحث على التجلد والصمود والثبوت أى: لا تتحرك ولو اخترقتك الرماح.

(٤) المصدر السابق، ص٩١، مثل معناه أن الدهر لا يدعو لك بالانتعاش إذا عثرت.

(٥) المصدر السابق، ص٩١، مثل معناه أن الدهر لا يجمع شمل من افترق.

(٦) المصدر السابق، ص١١، وفى هذا المثل يستحضر قول عثمان بن عفارن رضي الله عنه الذى صار مثلاً «إن لكل شيء آفة، ولكل نعمة عاهة وإن عاهة هذا الدين، وعاهة هذه النعمة عيابون طعنون...» مجمع الأمثال، للميدانى جـ٢ ص٤٥٣. =

العين التى يدَّعون أنها مسئولة عن إثارة الريح العاصفة، وأن بها أوان يعثرون عليها، ملئت ريح يثير تبريحاً، وتقضى على من يقترب منها.

فيقول فى أثناء حديثه عن «فاس» وعين برقانها»: «وعين برقانها – هى أعذب عيونها – مشهور بتوليد الهوج، قران عند الناس غير ذى عوج – ويذكر أن سليمان اختصها بسجن مردة الجن، فيعثر بها على أوان ملئت ريحا تثير تبريحاً – ويسندون لذلك – إفكاً صريحاً»(١).

واستدعاؤه للغرائب والعجائب التى ارتبطت ورسخت فى المخيلة الإنسانية وتناولتها أقلام الرحالة العرب على أنها من العجائب والغرائب مثل شجر الواقواق التى ارتبطت فى المخيلة العربية والأندلسية والمغربية برحلات «المسعودى» و«الإدريسى» و«ابن بطوطة»(٢)، و«ابن طفيل الأندلسى» فى قصته الفلسفية «حى ابن يقظان» وحديثه عن جزيرة الواقواق(٣)، وهى تدور حول أن هذه البلاد يوجد

=– والذى تمثل به على بن أبى طالب ﷺ فى قوله: «لكل شىء آفة، وآفة الرأى الهوى...». والذى ورد فى نهج البلاغة، للشريف الرضى، شرحه وضبط نصه الإمام محمد عبده ط الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت.).

– والشاعر فى قوله:

ولكل شىء آفة من جنسه حتى الحديد سطا عليه المبرد

– السحر الحلال فى الحكم والأمثال، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمى، ط دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص٤٨

وموظفاً هذا المثل بزخمه وجدلية نصوصه ليمهد به للحديث عن مثالب «غرناطة» بعد أن أسهب فى ذكر محاسنها.

(١) معيار الاختيار، ص١٤٩.

(٢) يراجع: مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودى، ت(٣٤٦هـ)، تحقيق يوسف أسعد، ط دار الأندلس – بيروت، المقدمة (ص٢٥-٢٧)، نزهة المشتاق للإدريسى.

– المسالك والممالك، لابن خرداذبة.

– تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، لابن بطوطة، ط القاهرة ١٩٣٨م.

(٣) حى بن يقظان، لابن طفيل، تحقيق فاروق سعد، ط دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان ط الثالثة ١٤٠٠هـ –١٩٨٠م، ص١١٧.

فيه شجر ثمره على صورة نساء معلقات من شعورهن إذا جاءت الريح وهزته أحدث صوتاً (واق واق) ولذلك أطلق عليها شجر الواقواق.

و(غار الأرواح) فى قول البطل مظهراً لعلمه ورحلاته التى جاب فيها وألم بالأقطار، وبكل عجيب وغريب: «ورأيت غار الأرواح وشجر الواقواق وقهرت بعد سليمان الجنون»(١).

رابعاً: استدعاؤه للتعبيرات الأدبية الرفيعة وإدماجها فى بنيته السردية:

ومن استدعائه لتلك التعبيرات الأدبية الأنيقة استدعاؤه لقول الثعالبى فى مقدمة كتاب «خاص الخاص» الذى خصه بإبداعاته الشعرية أنه «وعاء ملئ علماً وظرف حشى ظرفا»(٢).

فيضمنه قوله فى وصف «برشانة» وما يتعلق به أهلها من ظرف ومجون بقوله: «فأصبح ربعهم ظرفا قد ملئ ظرفا، فللمجون به بسوق وللفسوق ألف سوق»(٣).

ومن ذلك تضمينه لقول الحريرى فى مقامته الشيرازية فى إطار تعريف بطل الحريرى بنفسه وبخبراته: «ومرضت حتى لمرض الأحداق»(٤).

بقول المؤلف فى سرده لاسترجاع البطل لخبراته فى المجلس الأول: «ومرضت لمرض العيون»(٥).

وصاحب معيار الاختيار فى صياغته لهذه التعبيرات يضيف إليها شاعرية الخطاب، ويخضعها لنصه، فيدمجها فتنير وينيرها من خلال تتابع صيغه وتألقها.

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٤ –٧٥.

(٢) خاص الخاص، للثعالبى، نشر وتحقيق فليب طرزى، ط خزائن الكتب العربية فى الخـــافقين د.ت (المقدمة).

(٣) معيار الاختيار، ص١٠٦.

(٤) شرح مقامات بديع الهمذانى، محمد محيى الدين عبد الحميد، ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط الثانية – ب. ت ص٢٨.

(٥) معيار الاختيار، ص٧٥.

والمتتبع لمعيار الاختيار يجد العديد من تلك التركيبات التى استطاع أن يصوغها صياغة خاصة أسبغ عليها من روحه، وشفافيته، وشاعرية لغته ما جعلها جزء من أسلوبه وصياغته، يصعب إلا على المتتبع الخبير أن يتتبعها فى نثره التركيبى المتألق.

خامساً استدعاء لأسماء الأعلام والبلدان والمواضع والأحداث والرموز ذات الأبعاد الفكرية والمعرفية والشحنات الشعورية والعاطفية فى معياره:

مما قوى وعمق المعنى وزاده رواء ورونقاً، حيث قام اللفظ الوجيز مقام التعابير الطوال، أى تكثيف البنية التعبيرية فى النص، وهو ما أطلق عليه البلاغيين (التلميح)[١]، مشيرين بهذا إلى ما فيه من تكثيف وتركيز وإشارة خفية تكسب النص عمقاً فنياً وأبعاداً دلالية.

ومن استدعائه للأعلام:

استدعاؤه لأعلام إسلامية ارتبطت بأحداث جسام، كان لها أثرها فى تاريخ الأمة مثل: «عثمان بن عفان» ﷺ، ذو النورين الذى اشترى بئر الماء بماله ليشرب منه المسلمين فى المدينة، وتوفى وقد مُنِع عنه الماء، مستحضراً الفتنة التى أودت بحياته والتى فتح بعدها باب الفتن بين المسلمين، والتى أخبر بها رسول الله ﷺ وحذر منها.

فيستدعى انعدام الماء من دار عثمان ﷺ ليصور به انعدام الماء فى مدينة «سلا» المغربية بقوله: «وديارها فى الماء دار عثمان»[٢].

---

(١) يراجع: معجم البلاغة العربية، بدوى طبانة ط الأولى منشورات جامعة طرابلس ١٩٧٥م، جـ٢ ص٨١٦؛ حيث يعرفه من خلال اصطلاح البلاغيين بأنه هو أن يشير الناظم فى بيت أو قرينة سجع إلى قصة معلومة أو نكتة مشهورة، أو بيت شعر حفظ لتواتره أو إلى مثل سائر يجريه فى كلامه على جهة التمثيل.

(٢) معيار الاختيار، ص١٥٦.

واستدعاؤه لـــ«حسان بن ثابت» شاعر الرسول، و«صومعته» التى خَلَى فيها للعبادة؛ ليصور مدى تدين أهل «سلا»، التى اختارها حسان بن ثابت لتكون نهاية مطافه، من خلال سرده لمعالمها بقوله: «وطلل حسان المثل فى الاشتهار».

واستدعاؤه لـــ «طارق بن زياد» فاتح الأندلس الذى سُمى «جبل الفتح» و«المضيق» باسمه، فإذا هو يستحضر فتح المسلمين للأندلس وبطولات هذا البطل وفتوحاته عند حديثه عن جبل الفتح «ومحط طارقها بالفتح طارق»(١).

واستدعاؤه لـــ «هارون الرشيد» و«المعتصم» ابنه، أعظم وأشهر خلفاء بنى العباس، ليظهر عظم شأن «جسر سجلماسة» المغربية اللذين يعجزان عن مثله بقوله: «وجسرها يعجز عن مثله معتصم ورشيد»(٢)، فإذا هو يستحضر أشهر وأعظم خلفاء بنى العباس بإنجازاتهما، ويؤكد شهرتهما، فى ذهن المتلقى، ويؤكد تلك المنافسة التى كانت بين المشرق والمغرب العربى، ومحاولة الغرب الإسلامى التفوق على المشرق العربى ومطاولته.

و«**المنصور**» **أبو يوسف بن عبد المؤمن** أشهر ملوك الموحدين من (٥٥٤هـــ – ٥٩٥هـــ)، بكل ما ارتبط به من إنجازات وانتصارات فى المغرب والأندلس، وإيقاف للزحف الصليبى على مدن الأندلس. وهو يتحدث عن (الرباط) بقوله: «وقابلها – أى سلا – الرباط الذى ظهر به من المنصور الاغتباط»(٣).

واستدعاؤه لـــ«بنى مرين» فى حديثه عن «فاس»؛ حيث يقول: «نعم العرين لأسود بنى مرين»(٤). مستحضراً عهدهم، وما أشادوا من معالم الحضارة، وما خاضوا من جهاد ضد الصليبيين فى الأندلس والمغرب العربى.

---

(١) المصدر السابق، ص٨٢.

(٢) معيار الاختيار، ص١٨١.

(٣) المصدر السابق، ص١٥٢.

(٤) المصدر السابق، ص١٧٢.

ويستحضر أقطاب المتصوفة فى المغرب العربى منهم «الشيخ أبى محمد صالح» وهو أحد رواد الطرق الصوفية فى المغرب الذى عاش فى «رباط آسفى» وكان يرأس – جمعية لتيسير الحج، لحراسة القوافل الذاهبة إلى الأراضى المقدسة قائلا: « وبه – أى رباط آسفى – تربة «الشيخ أبى محمد صالح» وهو خاتمة المراحل»(١)، فيستدعى إلى ذهن المتلقى أقطاب الصوفية، وما يتعلق بهم من أحداث، ومصطلحات مثل «خاتمة المراحل».

استدعاؤه لأعلام الشعر العربى: ومن ذلك استدعاؤه «لأبى العتاهية» فيذكرنا بتيار الزهد والتجديد الذى هو زعيمه و«أبو نواس»(٢) زعيم تيار المجون والحداثة، وهما التياران اللذان اشتهرا فى العصر العباسى. و«وابن الخطيب»(٣) وشعره، و«أبو دلف» الشاعر الذى يضرب به المثل فى الكرم الأمير الأديب(٤)، و«المتنبى» وشعره فى شعب بوان(٥)، و«الزبرقان بن بدر» الشاعر المخضرم فى الجاهلية والإسلام، وغيرهم من الشعراء من شتى العصور والاتجاهات الفنية بذكر أشعارهم لا أسمائهم(٦).

---

(١) المصدر السابق، ص١٦١.

(٢) معيار الاختيار،ص١٢٣.

(٣) المصدر السابق ،ص١٣٣.

(٤) المصدر السابق ،ص١٥٥.

(٥) المصدر السابق ، ص١٧٤.

(٦) يراجع معيار الاختيار، أبيات «على بن الجهم» ص٧٢، «طفيل الغنوى» ص٧٣، جحظة البرمكى ص٧٧، «امرئ القيس» ص٧٨، «ابن الرومى» ص٧٨، ٩١، «حسان ابن ثابت» ص٨٩، و«أبى العتاهية» ص١٢٣، و«أبى نواس» ص١٣٣، «على بن أبى طالب» ص١٣٤، ١٤١، و«بشار بن برد» ص١٥٨، «على بن جبلة» «العكوك» ص٧٤، ١٧٤، «ابن اللبانة» ص١٧٥، «ابن الخطيب» ص٧٤، ٧٧، ٨٣، ٩٩، ١٠٢، ١٠٥، ١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٥٥، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٥.

استدعاؤه للرسل والأنبياء، والرموز التى ارتبطت بهم: «نوح» عليه السلام وطوفانه، واستدعاؤه «سليمان» عليه السلام الذى ارتبط اسمه فى جميع الكتب السماوية بتسخيره للجن وقهره لهم، فيستحضره أكثر من مرة قائلاً: «وقهرت بعد سليمان» الجنون[١]، مدللا به على القدرات الخارقة للبطل التى قام باستدعائها فى المجلس الأول.

واستدعاؤه لأمة «عاد» و«ثمود»[٢]، وكذلك استدعاؤه «لهامان» وصرحه، الذى ارتبط بقصة «موسى» عليه السلام و«فرعون» الذى وظفه فى وصفه للأثر «المسلة الشاهقة» «بالمنكب» وتشبيهه له بصرح هامان[٣].

واستدعاؤه للأعلام التى لها دور بارز فى الفكر الإنسانى والحضارى

ومن ذلك استدعاؤه لـــ «قسطنطين»[٤]، أشهر ملوك الروم الذى سميت المدينة العظيمة المنيعة باسمه، و«كسرى» أشهر ملوك الفرس، وسواريه[٥]، المرتبطة فى وجدان المتلقى بنبؤة رسولنا الكريم «لسراقة» بأنه سوف يحصل عليهما، وتحقق ذلك بالفتوحات الإسلامية.

واستدعاؤه لأسماء البلدان والأماكن التى لها صداها فى الوجدان الجماعى:

ومن ذلك استدعاؤه للبيت الشريف، «وطفت بالبيت الشريف»[٦]، و«عرفات»، و«مكة» و«المدينة»[٧]، بقداستهم وروحانيتهم وشدة التعلق بهم، ورصيدهما

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٥.
(٢) معيار الاختيار، ص١٥٠.
(٣) المصدر السابق ص٩٤.
(٤) المصدر السابق، ص٧٥.
(٥) المصدر السابق، ص٨٩.
(٦) المصدر السابق، ص ٧٦.
(٧) المصدر السابق، ص ١٤٧.

الشعورى الزاخر فى وجدان المسلمين ولدى المتلقى، وكذلك «القدس» بمكانتها لدى المسلمين والمسيحيين واليهود(١).

ومن ذلك أيضاً «اليمن» و«عدن»(٢) لشهرتهما التجارية، والعراقين (البصرة والكوفة»(٣) بآصالتهما العلمية، وزخمهما الثقافى خاصة فى العصرين الأموى والعباسى.

وبلاد «الهند والصين»(٤)، بحضارتهما وحكمتهما، وبلاد قسطنطين وحضارة الروم(٥)، «ومدينة السلام» بغدادعاصمة الحضارة الإسلامية فى العصر العباسى(٦).

ومركز النهضة العلمية والثقافية، ومدن مصر «طيبة» و«إخميم» و«الفسطاط» و«الإسكندرية»(٧) التى ارتبطت كل مدينة منها بحضارة من الحضارات الإنسانية من فرعونية ورومانية وإسلامية أو عدة حضارات، والتى كانت واسطة العقد بين الشرق والغرب الإسلامى، و«أشبانية» و«هيكلها»، و«الأندلس» وحضارتها، و«المغرب»(٨)، ودوره فى التصدى لهجمات الصليبيين على الأندلس، وحضارته الإسلامية، وغيرها من المدن التى ورد ذكرها وكان لها وقعها مثل استحضاره «لصنعاء» وشهرتها بصناعة الحلل الحسان(٩)، والبصرة بعلوم اللسان(١٠)، وأخميم

---

(١) المصدر السابق، ص٧٦.
(٢) معيار الاختيار، ص٧٦.
(٣) المصدر السابق، ص٧٦.
(٤) المصدر السابق، ص٧٥، ٨٥.
(٥) المصدر السابق، ص ٧٥.
(٦) المصدر السابق، ص ٨٧.
(٧) المصدر السابق ، ص٧٦.
(٨) المصدر السابق، ص ٧٧.
(٩) المصدر السابق، ص ٧٧، ٨٩.
(١٠) المصدر السابق، ص١٤٦.

بعلم التصريف[١]، ودارين بالعطر الفواح[٢]، وأوانى وصنائع حلب[٣]، وتبريز وشهرتها بصناعة منسوجات الحرير[٤]، واستحضاره «لدار الندوة»[٥]، وشهرتها لتصوير شهرة (قصر كتامة) بالحُمى ولجوئها إليه كلجوء الملهوف لدار الندوة و«دار الندوة لأم ملدم»[٦]، ولقصرى[٧] «خورنق» و«سديم»[٨].

بالإضافة إلى ذكره لسبع وخمسين مدينة أندلسية ومغربية تعد من أبرز مدن العدوتين فى عصره، والتى هى موضوع «معيار الاختيار»، والتى أورد فى وصفها العديد من البلدان والأماكن الشهيرة، مثل قوله فى وصفه «بيرة» ووادياها «نيلى الفيوض والمدود، مصرى التخوم والحدود»[٩].

وقوله فى وصف «طنجة» المغربية «ديارها نبيهة وأحوالها بأحوال جارتها الأندلس شبيهة»[١٠].

---

(١) المصدر السابق، ص٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٩.

(٤) معيار الاختيار، ص ٨٧، ومشاهدات ابن الخطيب، ص٧٧.

(٥) دار الندوة: فى الجاهلية كان يجتمع فيها حكماء ووجهاء قريش بمكة لإغاثة الملهوف ورفع الظلم عن المظلوم ومناقشة الأمور المهمة.

(٦) معيار الاختيار، ص١٥٠(أم ملدم: كنية الحمى).

(٧) المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٨) «خورنق» و«سديم»: قصران ينسبان فى التاريخ للنعمان بن المنذر ملك الحيرة وتنسج حولهما كثيراً من القصص والطرائف، يراجع: معجم البلدان، للحموى جـ٣ص٥٤.

(٩) معيار الاختيار، ص١٠٤.

(١٠) المصدر السابق ص ١٤٦.

استدعاء العديد من الأحداث والوقائع

منها: «**حادثة التحكيم فى النزاع بين على ومعاوية** – رضى الله عنهما – واختيارهما للحكمين «أبو موسى الأشعرى» و«عمرو بن العاص» بعد معركة صفين، هذا الحدث الذى كانت له انعكاساته على الأمة الإسلامية «ووقفت حيث وقف الحكمان»[١] فإذا هو يثير مشاعر الحزن والأسى.

و«**طوفان نوح**»، الذى استدعاه الراوى مصوراً به غزارة عطائه للبطل، وكرمه الذى يعمه، وينجيه من الحاجة، كما عم البسيطة «طوفان نوح» الذى أنجاه هو والمؤمنين «والرفد طوفان نوح»[٢]، و«**حرب وائل**»[٣] الذى هو من أشهر وأكبر أيام ووقائع العرب فى الجاهلية، والتى استمرت قرابة أربعين عاماً قائلاً فى وصف شدة زحام فاس والتحام الناس فيها وتلاحمهم وزحامها «بحرب وائل»[٤]، فإذا هو يستدعى هذه الحرب التى أطلق عليها «حرب البسوس» باسم الناقة التى كانت سبب لهذه الحرب بين «بكر وتغلب» من بنى ربيعة، وما ارتبط بها من أحداث وأشعار.

وموقعة «طريف» أو «الجزيرة الخضراء» التى كان لها صداها فى فقدان المسلمين لكل من «طريف» و«الجزيرة الخضراء» إثر هزيمتهم أمام النصارى فى الأندلس عام (٧٤١هـ –١٣٤٠م)، بقوله عند الحديث عن «اسطبونة»: «وكانت مظنة النعم الغزيرة قبل حادث الجزيرة»، **والتى تمثل منحنى من أخطر المنحنيات فى تاريخ**

---

(١) معيار الاختيار، ص٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٤٠.

(٣) المصدر السابق، ص١٧٨، «وقد قامت بسبب ناقة «جساس» «البسوس» التى قتلها «كليب» فقتل «جساساً» «كليباً» فقامت الحرب بين فرعى ربيعة (تغلب وبكر).

– يراجع العقد الفريد، لابن عبد ربه، تحقيق مفيد قميحة، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، جـ ٦ ص٦٩.

– أيام العرب فى الجاهلية، محمد أحمد جاد المولى على، محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم ط عيسى البابى الحلبى ١٣٩١هـ –١٩٤٢م، «أيام ربيعة» ص١٤٢.

(٤) معيار الاختيار، ص٨٣.

المسلمين بالأندلس[١] **مستحضراً شعور الحسرة والألم لسقوط العديد من المدن الأندلسية، والأشعار التى قيلت فى رثائها إلى ذاكرة ووعى المتلقى** ليرمى حجراً فى المياه الراكدة، وليعبر عن الانكسار الذى أصاب مسلمى الأندلس والمغرب.

والمؤامرة السرية الخطيرة التى سبقت حادثة «الجزيرة» ومهدت لها والتى تمت بين مملكة «قشتالة» وأراجون للاستيلاء على مملكة «غرناطة» والتى فشلت بسبب صمود المدن وخاصة «المرية» عام (٧٠٩هـ -١٣٠٩م)[٢] مستدعياً كل مشاعر الخوف والقلق والمعاناة التى أعقبها الفرح برد هذا الغزو المنذر بالخطر الدائم فى قوله:

«أرغم أهلها أنف الصليب، لما عجم منها بالعود الصليب، وألف لامها وألفها حكم التغليب فانقلب منها آيساً عند التغليب»[٣].

وقد نجح ابن الخطيب فى توظيف هذه الاستدعاءات بحواريتها وجدليتها على صعيد اللفظ والأسلوب؛ ليركب منها جميعاً ومن دلالتها عملاً فنيا متميزاً جديداً، من خلال صهره لتلك الاستدعاءات، ودقة صياغته لها، فى لغة تصويرية متدفقة مترعة بالحيوية والحركة والأحاسيس.

---

(١) يراجع: العبر فى المبتدأ والخبر، لابن خلدون جـ٧ ص٢٦١ -٢٦١.
- هامش اللمحة البدرية، لابن الخطيب ص٩٢، ٩٣.

(٢) يراجع: درة الحجال فى غرة أسماء الرجال، لابن القاضى، نشر علوش ط - الرباط ١٩٣٩م، جـ١ ص٧١ وما يليها.
- وهذه المؤامرة تتلخص فى أن تهاجم الأساطيل الإرجوانية ثغور المرية من الشرق، والجيوش القشتالية الجزيرة الخضراء بالجنوب، ويتابعا الطرفان هجومهما حتى يتقابلا فى غرناطة نفسها.

(٣) معيار الاختيار، ص١٠٢.

خامساً: انتشار التورية والكناية فى بنيته السردية مع بعض الإلغاز لإكسابها غموضاً فنياً

فمن خلال **الإيهام أو الخداع الفنى للتورية** التى هى إطلاق للفظٍ يحتمل معنيين، أحدهما قريب لا يراد التعبير عنه، والآخر بعيد وهو المراد التعبير عنه، والتعبير غير **المباشر للكناية التى هى إطلاق اللفظ وإيراد لازمه وضبابيتها وتوظيفهما بدقة فى بنيته السردية، مع ورود بعض الإلغاز مما أكسب الصياغة جاذبية وخفاءً فنياً شفافاً يشف عنه السياق التعبيرى وينأى بها عن التقريرية النثرية ويرتقى بها إلى شاعرية الخطاب النثرى.**

ومن التورية قوله عن «برجة» وجمالها: «وحرمها أمين، وحسنها بادٍ، وكمين، عقود أعنابها قد قرطت آذان الميس(١)، والحور(٢)»(٣).

ومن التورية قوله فى «أنتيقيرة» بعد أن عدد محاسنها: «إلا أنها جرداء الخارج بل مارد(٤)، ومارج(٥)»(٦).

---

(١) الميس: يطلق على المرأة الجميلة القوام، وكذلك الميس: نوع من الشجر يوصف بضخامة الأدواح والغصون.

(٢) الحور: النساء الحسان اللائى يتسمن بجمال العيون وكأنهن لؤلؤ مكنون، وأيضاً الحور: نوع من الكروم ينهض على ساق.

(٣) معيار الاختيار، ص٩٨.

(٤) مارد: يطلق على المتمرد من الجن، وهو المعنى القريب الذى يؤكده لفظ (مارج): الشعلة ذات اللهب الشديد. وعلى اللص العاتى القاصى الذى يتهددها، وهو المعنى البعيد المراد.

(٥) معيار الاختيار، ص١٢٧.

(٦) بنى الأصفر المعنى القريب السلاجقة الأتراك الذين حكموا العراق (٤٤٢هـ-٦٥٦م)، والمعنى البعيد الدنانير وهو المراد.

وقوله: «لأحكمنك من كرام بنى الأصفر[١]»[٢].

فاستدعى بتلك التورية الموروث الشعرى من قول أبى تمام فى قصيدته فى فتح(عمورية) والتى مطلعها[٣]:

السيف أصــدق أنبــاء مــن الكتــب فى حده الحد بــين الجــد واللعــب

. . . .

أبقيت بنى الأصفر الممراض كاسمهم صفر الوجوه وجلت أوجــه العــرب

والصراع بين العرب والروم وحديث الرسول ﷺ فى علامات قيام الساعة الصغرى وخروج بنى الأصفر[٤]، وتاريخ السلاجقة فى المشرق العربى.

وقوله فى وادى غرناطة: «ريع من واديه بثعبان مبين، إن لدغ تلول شطه تلها للجبين، وولدت حيات المذانب عن الشمال واليمين»[٥].

والمعنى البعيد المراد هو «النهر المتعرج» وليس الثعبان الذى أوهم بأنه المراد من خلال ورود لفظ (لدغ)، ولفظ (حيات)، **فتتضافر التورية مع الاستعارة التصريحية والتناص القرآنى** (تله للجبين)[٦]؛ (عن الشمال وعن اليمين عزين)[٧] **فى دقة تركيبية بديعة.**

---

(١) يراجع: تاريخ الدولة السلجوقية، الروانى، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى، وعبد المنعم حسنين ط القاهرة (د.ت).

- تاريخ الأدب العربى عصر الدول والإمارات (الجزيرة – العراق – إيران)، شوقى ضيف ط دار المعارف بالقاهرة الطبعة الرابعة ١٩٩٦م.

(٢) معيار الاختيار، ص١٨٤.

(٣) ديوان أبى تمام، شرح الخطيب التبريزى قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجى الأسمر ط دار الكتاب العربى بيروت لبنان ط الثانية ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، جـ١ص٤٩.

(٤) صحيح البخارى، تحقيق محمد بن زهير ناصر ط دار طوق النجاة ط أولى ١٤٢٢هـ جـ١ص١٠١ «باب ما يحذر من الغدر».

(٥) معيار الاختيار، ص١١٩.

(٦) من سورة الصافات الآية (١٠٣) ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾.

(٧) من سورة المعارج الآية (٣٧) ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

وقوله فى برجة: «وقاعدتها فروق[١]، ووتدها مفروق[٢]، ومعقلها خرب»[٣].

وقوله عن غرناطة: «فتعددت القرى والجنات، وحفت بالأمهات[٤] منها البنات، ورف النبات».

وقوله فى (تيط) المغربية: «فلولا ساكنه لم ينبس يوم فخر، ولم ينم إلا إلى صخر[٥]»[٦].

وقوله فى «مجاقر» «وبحر ما على إفادته مزيد، وخصب ثابت ويزيد»[٧].

يورى باسم «حسان بن ثابت» و«يزيد بن معاوية».

وقوله فى «رندة» «وفى أهلها فضاضة وغضاضة، ما فى الكلف بها غضاضة»[٨] فهو: يورى بالغضاضة عن النقيصة والحط من القدر مع أن الغضاضة الأولى الحلم وسعة الصدر».

ومن الكناية: التى كثيرا ما تستعمل بضبابيتها لتصوير مثالب أخلاق أهل المدن، التى نجح فى أن يؤكدها بذكر لازمها غير مصرح بها، بل أتى بها فى سياق غير مباشر، ليخفف من وقعها بضبابية التعبير، وليرتفع نصه عن الاصطدام بالذوق العام للمتلقى مراعاة لمشاعره، وللرقى بالنص عن الابتذال.

---

(١) فروق: كناية عن أنها عرضة لغارات العدو فهى جزعة يتملكها الخوف.

(٢) وتدها مفروق: هنا تورية بالمصطلح العروضى، والمراد: أن النهر ووادية يفرق مبانيها ويتوسطها.

(٣) معيار الاختيار، ص١١٩.

(٤) يورى بصخر المبكى عليه من أخته الخنساء والتى رثته بالكثير من القصائد إثر إصابته التى أودت بحياته فى معركة بعد مقتل أخيه معاوية وهو شاعر فارس جواد، ومن رثائها له قولها:

وإن صخراً لكافينا وسيدنا ... وإن صخراً إذا نشتوا لنحار

أغر أبلج تأتم الهداة به ... كأنه علم على رأسه نار

– شرح ديوان الخنساء، لثعلب تقديم وشرح فائز محمد، ط دار الكتاب العربى، ط الثالثة ١٤١٩هـ -١٩٨٩م، ص٢٣٠.

– والمعنى المراد: أنها وعرة الطرق منقطعة عمن سواها من المدن.

(٥) معيار الاختيار، ص١٦٠.

(٦) المصدر السابق، ص١٠٥.

(٧) المصدر السابق، ص١٣٠.

(٨) معيار الاختيار، ص ١٠٦.

ومن ذلك قوله عن «برشانة» «فللمجون به بسوق وللفسق ألف سوق تشمر به الأذيال عن سوق»[١] كناية عن انغماس أهلها فى الفسوق والرذائل.

والذى يؤكده بقوله: «وفى نسوانها طلاقة، وفى ألسنتهم ذلاقة،ولهن بالسفارة فى الفقراء علاقة»[٢]، كناية عن اشتغال بعض نسائها بالقوادة.

وقوله فى أخلاق أهل «قمارش»: «إلا أنه عدم سهله[٣]» كناية عن سوء خلق أهلها.

وقوله فى «بيرة» وأهلها: «كثيرة المشاجرة والشرور، بِرّها أندر من بُرّها فى المعتمر والبور»[٤]. كناية عن سوء أخلاق أهلها.

وقوله فى أهل «أزمور»: «يترامون على حبة الخردل بالجندل»[٥]، كناية عن بخلهم وتقاتلهم وتناحرهم.

وقوله فى «رباط آسفى»: «وعزيزه لعادية من يواليه من الأعراب ذليل»[٦]، كناية عن كثرة السطو على الموسرين.

وقوله فى «قنتورية»: «يجود بها الجبن والعسل، ومن دونها الأسل»[٧]. كناية عن بخل أهلها.

ومن توظيفه للكناية لإكساب الصياغة ضبابية فنية قوله عن سهيل: «وعرف شأنه بأرض النوب»، كناية عن بعد صيت المدينة وشهرتها.

وقوله فى «المنكب»: «كاد أن يصل ما بين الحوت والحوت»[٨]. كناية عن عظم ارتفاع القصر.

وقوله عن رندة: «ويلبس نساؤها الموق[٩]» كناية عن التحضر والترف.

---

(١) معيار الاختيار، ص١٠٦.
(٢) المصدر السابق، ص١٠٦.
(٣) معيار الاختيار، ص٩٤.
(٤) المصدر السابق، ص١٠٤.
(٥) المصدر السابق، ص١٥٩.
(٦) المصدر السابق، ص١٦١.
(٧) المصدر السابق، ص١٠٥.
(٨) معيار الاختيار، ص٨٥.
(٩) المصدر السابق، ص١٣٢.

وقوله: «إلا أن العدو طوى ذيل بردها»[١]، كناية عن استيلاء العدو على القرى التابعة لها.

وقوله عنها: «وأعلى طائرها ودارجها[٢]» كناية عن أن العدو بغاراته يجتاحها فيثير طيورها ويثير غبار طرقها.

وقوله فى أصيلا: «والأدم الذى يرمى به من حكم عليه بالتعزير» كناية عن وفرة الزاد بالبلد.

وقوله فى برجة: «وقاعدتها فروق»[٣]، كناية عن أن أرضها عرضة للغارات التى تجعلها جزعة يتملكها الخوف.

ومن الألغاز: قوله فى «المرية»[٤] تلك المدينة الأندلسية التى صمدت لغارات الصليب: «وألف لامها وألفها حكم التغليب فانقلب منها آيساً عند التغليب».

وقوله فى «برجة»[٥] وجمالها: «تصحيف وتحريف، وتغيير فى تعريف ما هى إلا بهجة».

وقوله فى «بسطة»[٦]: «وما بسطة بلد خصيب ومدينة لها من اسمها نصيب.

فـــى بلـــدة عـــوذت نفســـى بهـــا اذ فـــى اســـمها طـــه وياســـين

فيتعانق الإلغاز مع توظيف مصطلحات الصرف، وعلوم القرآن والحديث والاستدعاء لأسماء سور من القرآن الكريم فى تركيب بديع يضفى ضبابية فنية وشاعرية تعبيرية تعلو بها تعانقها مع التورية والكناية فى صياغة تركيبية بديعة.

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٢.
(٢) المصدر السابق، ص١٣٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٩٩.
(٤) المصدر السابق، ص١٠٢ أى أن لام كلمة (المرية) (الياء) تغلبت عينها عليها (الراء) فأصبحت المرية مرارة للعدو.
(٥) معيار الاختيار، ص٩٨.
(٦) المصدر السابق، ص١٠٩.

سادساً: امتازت لغة معيار الاختيار وأسلوبه بأنها لغة إيحائية تصويرية مترعة بالموسيقى، استطاع من خلالها أن يرسم بالكلمة، ويحفر بالمعنى، ويثير الانفعالات بالنغم والمبنى، ومن خلال الصورة التعبيرية، والصورة المجازية نجح فى أن يبعث الحياة فى كل أجزائها وتنساب فى سياقاته بسلاسة خفية مما جعله يرقى إلى شعرية الخطاب النثرى، فكل صورة من صوره الفنية لوحة فنية متميزة يتداخل فيها اللفظ المعبر الموحى، والصورة البلاغية البديعة، والأسلوب المترع بالموسيقية والقادر على استدعاء تجارب غنية، والنصوص المتداخلة فى حوارية دقيقة أشبه بدقة المنمنمات فى العمارة الإسلامية، ولكنها حية نابضة ترى وتسمع وتفرح وتحزن تخاف، تتوتر، تصرخ، تمرح، تستدعى، تسترجع، تستشرف فى ضبابية فنية من حوارية النصوص وتداخلها، وغموض التورية، والكناية، والجناس الموحى بالتماثل الخادع لفظاً المتنوع معناً، المصاحب للترصيع والسجع المتنوع، والفقرات المتوالية المتآلفة.

ومن ذلك قوله فى وصف زمان السرد التى تدور فيه أحداث المجلس الأول: «ضمنى الليل وقد سدل المُسح راهبه، وانتهبت قرصة الشمس من يد الأمس ناهبه، ودلفت جيوشه الحبشية وكتائبه، وفتحت الأزهار بشط المجرة كواكبه»(١).

الذى صور فيه دخول الليل الذى يغشى النهار بظلامه بشخص يضمه، وجعله راهباً يسدل ثوبه الأسود، وأردفه بتصوير ظلام الليل الذى يغشى قرص الشمس وستره لها وتغلبه على ضوئها بالفرس المبارى، الذى يسبق ضوء الشمس ويستره ويتغلب عليه، كما صور توالى ظلامه وتتابعه ببطء بتتابع الجيوش الحبشية المثقلة وكتائبه، وصور ظهور بياض «نهر المجرة» ضوء الكواكب فى السماء بتفتح الأزهار على شط النهر فى الليل، ليعطينا صورة حية نابضة بالحركة والمشاعر (ضمنى) التى توحى بالاحتواء، والراهب وهيبته، وحركة إرخائه لثوبه الأسود، وبالفرس الأمس الذى فى يده ورجله بياض خافت لا يظهر من سرعة

(١) معيار الاختيار، ص٧٣.

عدوه، والذى يبارى ويسبق قرص الشمس فى تتابع وتثاقل كتتابع الجيوش الحبشية وكتائبها، وتصويره ضوء الكواكب فى نهر المجرة بتفتح الأزهار. فى صورة يتكامل فيها الانفعال والعاطفة والمشاعر والحركة والضوء واللون والرائحة من خلال تتابع العديد من الصور المتلاحقة المترابطة، التى تُكون صورة كلية لليل وتتابع ظلامه، والتى أضفى عليها الحيوية والحركة من خلال التشخيص، وأعلى من حيوية وحركية هذا الليل، وحيوية الحركة والصوت والصورة صياغته لهذه الصور من خلال بلاغة الإسناد والتركيب، والتقديم والتأخير فى البنية التركيبية للصورة، مما أعطاها غموضاً شفافاً. ومن ذلك تأخيره للفاعل (راهبه) فى قوله: «وقد سدل المسح راهبه» وتقديمه للمفعول (المِسح)، وإضافة ضمير الهاء للفاعل الذى يعود على الليل؛ ليربط الصورة ويوهم بعودته على المِسح.

وكذلك فى الصورة التالية «وانتهبت قرصة الشمس من يد الأمس ناهبه» فقد قدم المفعول ومتعلقاته «قرص الشمس من يد الأمس» وأخر الفاعل «ناهبه» الذى ربطه بالليل وظلامه؛ ليربط صوره ويقوى تعالقها ويجذب بعضها إلى بعض بالإضافة إلى الانزياح فى إسناد تاء التأنيث للفعل (انتهب) الذى يعود على الفاعل (راهبه) المذكر؛ ليشاكل بينه وبين (قرصة الشمس) المفعول المجاور له، بالإضافة إلى إكساب الصورة غموضاً وإيهاماً فنياً، وتحقيقاً للتناسب بينه وبين الأفعال المتتالية فى الصور التالية، (دلفت...، وفتحت...) مما يزيد من ترابط الصورة الكلية، ويعلى من موسيقيتها، بتضافره مع انتشار (حروف الصفير) فيها، وتكرار حرف (الهاء)، وإنهاء كل صورة من الصور الجزئية به، مما يشعرنا بتكرار صوت تنهد الليل وتثاقله، بالإضافة إلى تماثل وتناغم وتوافق الفواصل والسجع بين جميع فقرات الصورة، مكسباً إياها إيقاعاً موسيقياً موحداً، يؤكد الصورة، ويزيد من انفعال المتلقى بها (راهبه، ناهبه، كتائبه كواكبه) خاصة وقد أثراها الجناس بين (راهبه وناهبه) وبين (كتائبه وكواكبه).

فإذا هو بتركيبه الفنى لتلك الصورة يقترب من لغة الشعر من خلال التزامه بالحروف التى تماثل حروف القافية وتقفيته لنثره بها، وتتابع صوره، وضبابية تعبيراته، التى تشف عن معانيها، وتجذب المتلقى لها بطرافة تركيبها.

وتتضافر الصورة التعبيرية مع الصورة المجازية على المستويين التركيبى والبيانى، وتنتشر فى كل فقرة من فقرات معيار الاختيار، **وإن كانت تغلب على صوره البيانية الاستعارة المكنية التشخيصية، لغموضها الفنى وضبابيتها.**

ومن ذلك قوله مدمجاً وصف زمان المجلس الأول بوصف مكانه من خلال متتالية من الصور والتعبيرية والخيالية: «وجنحت الطيور إلى وكونها، وانتشرت الطوافات بعد سكونها، وعوت الذئاب فوق هضابها، ولوحت البروق ببيض عضابها، وباهت الكف الخضيب بخضابها، وتسللت اللصوص لانتهاز فرصها، وخرجت الليوث إلى قسمها وحصصها»(١).

ففى هذا المشهد تتضافر الصور الخيالية مع الصور التعبيرية، التى من خلال صياغتها، وحيوية أفعالها وتتابع تلك الأفعال فى حركية تحمل فى طياتها سكون من خلال مفارقة تصويرية تعبيرية دقيقة، يربط بينها توافق صيغ الجمل التعبيرية، وتواليها بحيوية مع ما قبلها: «انتهبت قرصة الشمس،ودلفت جيوشه...، وفتحت الأزهار...، وجنحت الطيور...، وانتشرت الطوافات...، وعوت الذئاب...، ولوحت البروق...، وباهت الكف...، وتسللت اللصوص...، وخرجت الليوث...»

فتتوالى الصور التعبيرية «جنحت الطيور إلى وكونها» والتعبير بالفعل (جنحت) الذى يعطينا صورة وصوت حركة أجنحة الطيور وهى تأوى إلى عشها، متعبة، ولفظ (وكونها) الذى يعطينا إحساس بالسكون بعد الحركة بدل من (عشها)؛ لأنه يريد أن يشعر المتلقى بما يصحب دخول الليل، مصوراً إياه تصويراً حياً نابضاً، ويلى تلك الصورة التعبيرية صورة مفارقة لها وهى «وانتشرت الطوافات بعد سكونها» لتشعر بحركية الانتشار وشيوعه بعد السكون، واختياره للفظة

(١) معيار الاختيار، ص٧٣.

(الطوافات) لتفتح الصورة. ولتعطى المتلقى معناً يتسع لكل ما يطوف بالليل وتفتح له التخيل، ومع صوت الأجنحة ورفيفها وحركتها، وصورة الانتشار للطوافات وحركتها يدخل الصوت المرعب المحدث للمفارقة «وعوت الذئاب فوق هضابها» ليكون الصوت أقوى والأشد وقعاً فى تصوير وحشة الليل ووحشة المكان، بالانتقاء للفعل (عوت) المصاحب للإحساس بالرعب والخوف وخطورة الزمان والمكان.

وأردف متتالية تلك الصور التعبيرية بصورة بيانية تجتمع فيها الصورة والحركة مع اللون والانفعال من خلال التشخيص «ولوحت البروق ببياض عضابها» فصور صورة البروق التى تضىء ببياضها ولمعانها فى ظلام وسواد الليل بصورة المقاتل الذى يلوح ببياض سيفه، وبصورة كفه المخضبة بالدماء التى يباهى بها وبخضابها، وأتى بشىء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ليعطى المتلقى إحساساً بالرهبة، ويشعرنا أنها ليلة يكتنفها الخطر من أرجائها (سهولها، وهضابها، وسمائها). ويرشح تلك الاستعارة المكنية التشخيصية ويقويها بقوله: «وباهت الكف الخضيب بخضابها» ليبين ما يكتنفها من ظلام يظهره بياض ولمعان تلك البروق. ويتبع تلك الصورة الخيالية بصورة تعبيرية تعمق لدى المتلقى الإحساس بالخوف والخطر وانعدام الأمان «وتسلسلت اللصوص لانتهاز فرصها» من خلال التعبير بالفعل (تسلل) الذى يشعرنا بالحركة الحذرة للصوص، مع مصدر الفعل (انتهز) الذى يوحى بالسرعة والانقضاض «لانتهاز فرصها»، مشعراً المتلقى بتكالب كل أسباب ومظاهر الخطر التى يندر اجتماعها – فى هذه الليلة وفى هذا المكان – من خلال تعبيره بلفظ (فرصها) وإسناده للانتهاز.

وتليها صورة تعبيرية أخرى، تزيد من شدة الخطورة، وتقلل من فرص النجاة وهى «خرجت الليوث إلى قسمها وحصصها»، وتلعب المفارقة التصويرية بين «تسللت اللصوص، وخرجت الليوث» والتى تجمع من خلال الحركة الحذرة المتخفية للصوص، والحركة الظاهرة التى فيها إقدام من قبل الليوث، دورها فى تكثيف وتعميق شدة خطورة الزمان والمكان.

وتتوالى تلك الصور التعبيرية والخيالية فى قالب مترع بالموسيقية والتناغم المنوع من خلال انتهاء الفواصل والأسجاع بالضمير (ها)، وترديده ليربط تلك الصور، ويشعرنا فى ظل إيحاءاتها بتردد الصوت المصاحب للخوف والرهبة، والمصاحب للاندهاش الذى يلف تلك الصور. ويعمق هذا الإحساس ويقويه الجناس المنوع بين (وكونها وسكونها)، وبين (هضابها وعضابها وخضابها)، وبين (فرصها وحصصها)، الذى يتداخل مع التقفية، ليعلى من هذه الموسيقية ويعمقها، مع تردد الحروف، خاصة النون، وحروف الصفير، وتنوعها فى البنية التركيبية لهذه الصور، التى ترسم صورة تتفاعل مع غيرها من الصور، لتكوِّن صورة كلية لمعيار الاختيار.

ومن تلك الاستعارات المكنية التشخيصية التى تتوالى فى صياغته بكثافة فنية قوله فى جبل الفتح: «وأطل بأعلاه قصر، وأظله فتح – من الله – ونصر، ساوق[١] سوره البحر فأعياه، قد تهلل بالكلس محياه، واستقبل الثغر الغريب فحياه...»[٢]، فقد صوره بشخص، وحذف المشبه به، وأتى بشىء من لوازمه (يطل، ويستظل، ويباهى، وينال ممن يباهيه، ويتهلل محياه، ويستقبل، ويحيى) فبعث فيه الحياة والحيوية، ورسم صورة حية متفاعلة متفائلة تتكامل فيها الحركة والانفعال والصورة واللون والصوت، وتتكامل فيها كل الحواس حركة العين الإحساس والانفعال، انبساط الوجه، وحركة اليد والأذن واللسان.

ويتضافر الجناس مع التقفية والسجع ولزوم ما لا يلزم (الذى يعنى التزام تكرار أكثر من حرف وحركة فى السجعة)، مع تكرار حرف (الراء)، وحروف الصفير فى البنية التصويرية بحرفية عالية، مع التقفية الداخلية لتربط فى رشاقة وخفة التسجيع السابق باللاحق، فيأتى الانتقال من (قصر، ونصر) إلى (فأعياه، محياه، فحياه) من خلال الربط بين التقفية (بالراء) فى السجعة الأولى، والتقفية

(١) ساوق: أى فاخر.
(٢) معيار الاختيار، ص٨٢.

(بالهاء) فى السجعة التالية، بتكرار السجعة الأولى فى التقفية الداخلية (البحر قصر بالراء)، والجمع بينها وبين السجعة التالية (بالهاء) (فأعياه)، وتواليهما وتعاقبهما فى كلمتين متتاليتين فى جملة واحدة ليقوى النغم ويربطه فى قوله: (ساوق سوره البحر فأعياه) بعد أن جمعتهما كلمة (سوره) التى تضمهما وتسبق كلا التقفيتين، مما يؤكد فنية التركيب فى «معيار الاختيار».

وقوله فى تصوير مبانى (فاس) المغربية وموقعها«حيث البنى التى نظر إليها عطارد فاستجفاها(١)، وخاف عليها الوجود أن يصيبها بعينه فسترها الغور وأخفاها(٢)»(٣).

وقوله فى تصوير مدينة (مراكش): «بعدت من المركز دارتها، وجرت على قطب السياسة إدارتها، وسحرت العيون شارتها، وتعبد الإباءة(٤) إشارتها، وخاضت البحر الخضم نذارتها وبشارتها، اقتعدت البسيط المديد، واستظهرت بتشييد الأسوار وأبراج الحديد، وبكى الجبل من خشيتها بعيون العيون، فسالت المذانب كصفاح القيون(٥)، وقيدت طرف الناظر المفتون، أدواح الشجر بها وغابات الزيتون»(٦).

وتتداخل الصور التعبيرية مع الصورة المجازية – الاستعارة المكنية والتشخيصية، والتشبيهية مع الجناس والتقفية والسجع لفقراتها، ولزوم ما لا يلزم، والتورية بـــ (العيون)، و(البسيط، والمديد)، والتقديم والتأخير بين «الفاعل» و«المفعول»، و«قيدت طرف الناظر المفتون، **أدواح الشجر بها**، وغابات الزيتون» فى بناء فنى مترع بالحياة والحيوية، والتدفق التعبيرى»، والموسيقية العذبة، والصور البديعية الآسرة.

---

(١) استجفاها: طلب منها البعد والتعبير «كناية عن علو شأن المدينة ومنزلتها السامية».
(٢) أى أن موقع المدينة بالسفح المنخفض قد أخفاها.
(٣) معيار الاختيار، ص١٧٥.
(٤) الإباءة، الإقامة، المعجم الوسيط مادة (أباء).
(٥) القيون: جمع قين، وهو: الحداد، يراجع: لسان العرب مادة (قين).
(٦) معيار الاختيار، ص١٦٣.

ولا يخلو معيار الاختيار من العديد من صور التشبيه، و«الاستعارة التصريحية»، التى وظفها بدقة فى تراكيبه التعبيرية، لتضييء المعنى، وتبث فيه الحياة والحيوية.

ومن تشبيهاته: قوله فى وصف «أثر المنكب» الذى هو أقرب إلى المسلة أو الصرح: «والأثر المنبىء عن كان وكان، كأنه مبرد واقف، أو عمود فى يد مثاقف، قد أخذ من الدهر الأمان، وتشبه بصرح هامان، وأرهفت جوانبه بالصخر المنحوت، وكاد أن يصل ما بين الحوت والحوت».

ونجد أنه قد أردف التشبيه بتشبيه آخر «كأنه مبرد واقف، أو عمود فى يد مثاقف» واستخدم أداة التشبيه «كأن» التى تدل على شدة التماثل والتشابه بين المشبه والمشبه به؛ لتقريب وتوضيح الصورة وتأكيدها.

وتضافر التشبيه مع الاستعارة المكنية فى قوله: «قد أخذ من الدهر الأمان»، مع التلميح فى قوله: «المنبىء عن كان وكان»، والاستدعاء فى قوله: «وتشبه بصرح هامان»، والصور التعبيرية فى قوله: «وأرهفت جوانبه بالصخر المنحوت»، والجناس التام والتورية والكناية فى قوله: «كاد أن يصل ما بين الحوت[١]، والحوت»[٢]. ليُحدث بعد الوضوح ضبابية تعبيرية جذابة، وتتداخل الموسيقى فى نسيج تركيب الصورة من خلال تضافر الجناس والسجع، مع تكرار الحروف وترددها فى البنية الداخلية، وترددها وتكرارها فى التقفية لتكسبها حيوية وتثريها من خلال دقة تركيبية بديعة.

وقوله فى وصف مثالب (برجة) بعد أن أسهب فى ذكر محاسنها وبيان خراب معقلها «إلا أن متبوأها بسيط مطروق ومعقلها خرب، كأنه أحدب جرب، إن لم ينقل إليه الماء برح به الظمأ»[٣].

(١) معيار الاختيار، ص٩٤.
(٢) المصدر السابق، ص٩٩.
(٣) المصدر السابق، ص٩٩.

ويقوى التشبيه بعد «كأن» تركيبه مع جملة «إن لم ينقل إليه الماء برح من الظمأ»، الذى يتناسب ويتلائم مع قوله (جرب)، فربط بين وصف خراب معقلها، وعدم سكناه، وأردفه بقلة الماء.

وقوله فى وصف «بليش شقراء»: «ثغر قصى، على الأمن عصى، ويتيم ليس عليه –غير العدو– ولى، ماؤه معين، وحوره عين، وعسله – إذا اصطفت العسول– إمام»(١).

الذى يلعب فيه التقديم والتأخير دوره فى ضبابية بنية الصورة وشاعريتها، من تقديم (غير العدو) على (ولى) وهو متعلق به، وتقديم خبر ليس (عليه) على اسمها (ولى)، وكذلك توسط جملة فعل الشرط «إذا اصطفت العسول» بين طرفى جواب الشرط و(عسله)، (إمام).

وقوله عن «أندرش» «حريرها ذهب، وترابها تبر منتهب، وماؤها سلسل، وهواؤها لا يلفى معه كسل»(٢).

الذى يوظف فيه النحت للفظ «سلسبيل» ليصير «سلسل» ليدخل غموضاً فنيا، وليتناسب مع الفاصلة (كسل) محدثاً السجع والجناس ولزوم ما يلزم ليعلى من موسيقية الصورة.

ومن الاستعارة التصريحية: قوله فى وصف غرناطة وحمرائها (قصر الحمراء): «وكم أطلعت من أقمار وأهلة»؛ حيث شبه ما نبغ فيها من علماء وأدباء بالأقمار والأهلة، وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية، وتأتى الاستعارة التصريحية فى غمرة سيل متدفق من الاستعارات المكنية التشخيصية، التى تضفى الجمال والبهجة والسعادة والجلال على حمرائها «وتبرحت بحمرائها القصور مبتسمة عن بيض الشرفات، سافرة عن صفحات القبات المزخرفات تقذف –

(١) معيار الاختيار، ص١٠٧.
(٢) المصدر السابق، ص١١١.

بالأنهار من بعد المرتقى – فيوض بحورها الزرق، وتناغى – أذكار المآذن بأسمائها – نغمات الورق، وكم أطلعت من أقمار وأهلة، وربت من ملوك جلة»[١].

وتتحقق البراعة والجدة والطرافة فى التراكيب، والإسناد المكون للصورة الشعرية فى «معيار الاختيار» مثرية إياه بالعديد من الصور التى تتسم بالجدة والابتكار، وإن كانت لبناتها وألفاظها تدور فى فلك الموروث الثقافى لكن تركيبها وإسنادها وتكوينها بشكل خاص هو ما يكمن فيه الإبداع.

ولعل الوصف التصويرى للحمراء يؤكد طرافة الصورة، وجدتها، وجمالها، وشدة تأثيرها، فالإبداع فى الصورة، والابتكار يقوم على إعادة تركيب لعناصر شائعة ومشتركة بطريقة خاصة، لأن القيمة الأدبية للصورة الأدبية «لا تأتى من العناصر نفسها، وإنما من تركيب العناصر النصية بطريقة خاصة»[٢] مؤثرة.

ومن صوره التى تتسم بالجدة والابتكار قوله: «ذى المحاسن غير المعارة المعجزة لسان الكناية والاستعارة»[٣].

وقوله فى تصوير البناء الشاهق للخان الذى نزل به الراوى فى المجلس الأول: «يأمن به الذعر خائفه، وتدفع معرة السماء سقائفه»[٤].

وقوله فى تصوير البطل لبداية طلوع ضوء الصباح وانزياح ظلام الليل: «كأنى بالصباح السافر، وأدهم الظلام النافر، قد أجفل أمام مقنبه[٥] الوافر، وترك من الهلال نعل الحافر»[٦].

وقول الراوى واصفاً قرب انتهاء الليل: «كأنا بالليل قد أظهر لوشك الرحيل – الهلع، والغرب الجشع لنجومه قد ابتلع»[٧].

---

(١) معيار الاختيار، ص١١٩.
(٢) المحاورات السردية، عبد الله إبراهيم، ط الأولى، ط دار الأمان بالرباط والدار العربية للعلوم والنشر – بيروت – لبنان ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص١٣٠-١٣١.
(٣) معيار الاختيار، ص١١٩.
(٤) معيار الاختيار، ص٧٣.
(٥) المقنب: الوعاء للصائد يجعل فيه ما يصيده.
(٦) معيار الاختيار، ص٧٣.
(٧) معيار الاختيار، ص٧٨-٧٩.

وقول الراوى عن الدنانير التى أعطاها للبطل: « فلما خضب كفيه بحنائها، وحصلت النفس على استغنائها»(١).

وتصويره لمدينة «ذكوان» وما يتهددها: «وخفق بالمحاسن لواؤها، إلا أنها ضالة ساقطة، وحبة ترتقب لاقطة، لا تدفع عن قرطها وسوارها بأسوارها، ولا تمنع نزع صدارها بجدارها»(٢).

وتصويره لطمع العدو فى «لوشة» عند وصفه لها: «وعيون العدو – لثغرها الشنيب مغازلة»(٣).

وقوله فى «برجة»: «وعقائل أدواحها مبتسمة عن ثغور النور»(٤)، وعينها سلسالة، وسبائك المذانب منها مسالة، تحمل إلى كل جهة منها رسالة»(٥).

ولعل تلك الفنية العالية التى اتسم بها معيار الاختيار هى التى جعلت صاحب نفح الطيب يقول عنه: «وللسان الدين مقامة عظيمة بديعة، وصف بها بلاد الأندلس والعدوة، وأتى فيها من دلائل براعته بالعجب العجاب»(٦).

وقد أشاد أحمد حسن بسج بتميزه فى هذا الفن عند الحديث عن مقاماته قائلاً:

«وكان ابن الخطيب ممن برزوا فى هذا الفن وأدلى بدلوه كل ذلك فى إطار أدبى فنى رفيع بما يحيوه من بساطة فى الكلام وخفة ورشاقة فى العبارات نظراً لقصرها فضلاً عن السجع غير الثقيل، والبعيد عن التكلف»(٧).

واستحوذ على إعجاب المؤرخ العلامة محمد كمال شبانة الذى قام بتحقيقه إذ يقول مشيداً به وبقالبه الفنى: «معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار

---

(١) المصدر السابق، ص١٨٤.
(٢) المصدر السابق، ص١٢٨.
(٣) المصدر السابق، ص١٢٦، الثغر الشنيب: ما كان أبيض السنان حسنها ويقصد صفحة المدينة الجميلة.
(٤) المصدر السابق، ص٩٨.
(٥) المصدر السابق، ص٩٨.
(٦) نفح الطيب، للمقرى جـ٨ ص٣١٥، تحقيق محيى الدين، ط القاهرة.
(٧) لسان الدين ابن الخطيب (عصره، بيئته، حياته، وآثاره، أحمد حسن بسج، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولى ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، ص٩٤.

لابن الخطيب من أطرف كتب المؤلف الشهيرة فقد صاغه على هيئة مقامة أدبية ذات منهاج وأسلوب فنى انفرد به لسان الدين روعة وإبداعاً مستهدفاً وصف أهم المدن الأندلسية والمغربية جغرافياً واجتماعياً، كما رآها وعاصرها فى «منتصف القرن الثامن الهجرى»، «منتصف القرن الرابع عشر الميلادى»(١).

«فإنه وإن كان قد عنى بالأسلوب إلا أن الوصف للمدن عموماً قد جاء تحفة فنية رائعة فقد تناولها تاريخياً واجتماعياً وثقافياً، وتمكن رغم قيود السجع والجناس والكناية وغيرها من إبراز هذه المعالم فى صورة مشوقة»(٢).

وكذلك أشاد محمد مسعود جبران «بالتقاطه الرائع لهذا الموضوع التجديدى فى فن المقامة والذى يتسع لتصوير الرحلات والمشاهدات»(٣).

وسبقه يوسف نور عوض، وعبد المالك مرتاض(٤) «الذى يرى أن ابن الخطيب فى كتابه مقامة «معيار الاختيار» انتهج نهج المقامات الأندلسية فى التجديد فى فن المقامة»(٥).

وأشاد محمد عبد الله عنان بأسلوب ابن الخطيب قائلاً: «ولابن الخطيب براعة خاصة فى تخير الألفاظ، وإبراز المعانى لا يجاريه فيه الكثيرون من أكابر الكتاب و«مقدرة فائقة على تخير أساليب المدح والذم»(٦).

ويؤكد «على الغريب» على تجديد ابن الخطيب فى موضوع المقامة بمقامته «معيار الاختيار» قائلاً: «وقد جدد لسان الدين ابن الخطيب فى موضوع المقامة إذ

(١) معيار الاختيار، المقدمة، ص٣.
(٢) معيار الاختيار، ص٥٥ -٥٦.
(٣) فنون النثر الأدبى فى آثار لسان الدين ابن الخطيب، جـ١ ص٤٩٤..
(٤) فن المقامات بين المشرق والمغرب، يوسف نور عوض، ط دار القلم بيروت لبنان ١٩٧٩م، ص٢٢٣ -٢٥٤.
(٥) فن المقامات فى الأدب العربى، عبد المالك مرتاض، ط الدار التونسية للطباعة والنشر ١٩٨٨م، ص٢٥٥.
(٦) الإحاطة فى أخبار غرناطة، المقدمة ص٤٦.

كتب مقامة الرحلة وهى... ومقامة معيار الاختيار وهى من مقامات الرحلة التى تجلببت بالقص»[١].

ويقول محمود على مكى أثناء حديثه عن فن المقامات مشيداً بتراثه القيم فى هذا الفن الذى يعد معيار الاختيار من أبرزها: «وإذا كان لسان الدين بن الخطيب هو آخر أعلام الفكر الأندلسى فى مملكة غرناطة من بين من عالجوا هذا الشكل وخلفوا لنا فيه تراثاً قيماً»[٢].

ولعل ما تداوله النقاد قديماً وحديثاً عن براعة أسلوبه وتفرده بالأصالة والتجديد يتمثل بقوة فى معياره فهو كما يقول المقرى: المستخرج من بحار البلاغة درها المكنون»[٣] «وقصرت ألسن البلغاء عن عُلاه...، ويراعة أرهقت سنان قلمه، وبراعة سارت أمراؤها تحت علمه، فكم فتح بفكره أقفالها، ورسم بذهنه الثاقب أغفالها، وسبك معانيها فى قالب إبريزاً، ورقم بيان لسانه برود إحسانه بلفظه البديع تطريزاً، فرفع فى ميدان الإجادة لواؤه، وأتيح من أنهار البراعة العذبة إرواؤه، ونال سبقاً وتبريزاً:

وما زمن الشباب وأنت تجرى ... مع الأحباب من لهو وطيب
ووصلٍ من حبيبٍ بعد هجر ... بأحلى من كلام ابن الخطيب[٤]

وكلماته غدت للإبداع إقليداً، وجمعت طريفا من البلاغة وتليداً»[٥].

وقد قال عنه ابن خلدون مشيداً بنظمه ونثره الذى جمع بينهما «معيار الاختيار» بقالبه المقامى: «وكان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله فى النظم والنثر والمعارف والأدب، لا يساجل مداه، ولا يهتدى فيه بمثل هداه»[٦]، و«كان فى اللسان ملكة لا تدرك»[٧].

---

(١) فن القص فى النثر الأندلسى، على الغريب الشناوى ص٣٧٧.
(٢) أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية فى الأدب، محمود على مكى، ط الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧م، ص٧٩.
(٣) نفح الطيب، جـ٤ ص١٠٩.
(٤) نفح الطيب، جـ٤ ص٧٦.
(٥) المصدر السابق، جـ١ ص٧٧.
(٦) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص٥٥.
(٧) كتاب العبر، لابن خلدون جـ٧ ص٩٥٩.

وكذلك أشاد بأصالته وتجديده الأمير إسماعيل بن الأحمر معاصره بقوله: «هو شاعر الدنيا، وعلم المفرد والثنيا، وكاتب الأرض إلى يوم العرض لا يدافع مدحه فى الكتب، ولا يجنح فيه إلى العتب وسيف مقولة ليس بالكهام إذ هو الماضى، وإلا فانظر كلام الكتَّاب الأول من العصبة، كيف كان فيهم بالإفادة صاحب القصبة، للبراعة، باليراعة، به أسكت صائلهم، وما حمدت بكرهم وأصائلهم المشربة بالحلاوة الممكنة من مفاصل الطلاوة»(١).

و«كرد على» فى «كنوز الأجداد» قائلاً: «وفى كتابته نسقط على تعابير وألفاظ قلّ أن وقع لأحد من كتاب الأندلس استعمال مثلها، ولا يسيما المعانى المبتكرة والتراكيب البارعة»(٢).

والأمير «شكيب أرسلان» بقوله: «وكم حدثت نفسى بأن أكتب رسالة تكون لمحة دالة على تفنن لسان الدين فى الكتابة، وانفراده فيها بأنماط خاصة به، لا يجدها القارئ عند غيره»(٣).

وقد أشاد العديد من نقاد الغرب وخاصة المستشرقين الأسبان بأسلوبه منهم: « كونثالث بالنسيا» فى كتابه «تاريخ الأدب العربى الإسبانى»، و«سيمونيت» فى كتابه وصف مدن غرناطة و«مورينو نييتو»(٤)، الذى يقول عنه: «لا يوجد فى تاريخ غرناطة الأدبى ما يمكن أن يقارن بهذا الكاتب الخصب، وقلما حظى أسلوب كاتب مثله بما حظى به أسلوبه، من البلاغة والرشاقة حسبما يقول ابن خلدون»(٥).

❁❁❁❁

(١) نثير فرائد الجمان فيمن يضمنى وإياهم الزمان، ص٢٤٣.
(٢) كنوز الأجداد، كرد على، ص٣٣٢.
(٣) ابن الخطيب من خلال كتبه، جـ١ ص٢٤.
- الحلل السندسية، شكيب أرسلان، جـ١ ص١٨٩.
(٤) يراجع الإحاطة فى أخبار غرناطة، ص٥٠.
(٥) المصدر السابق، ص٥٠.

الخاتمة

أولاً: نتائج البحث:

يستطيع البحث بعد أن طوف حول معيار الاختيار فى ضوء الأصالة والتجديد أن يسجل بعض الاستنتاجات والملاحظات ومن أهمها:

- يُعد معيار الاختيار أنموذجاً بديعاً للنثر التركيبى (الحلى) عند أبرز عَلم من أعلام النثر والشعر فى الغرب الإسلامى.
- نجح عنوان النص الذى جمع بين ألق المكان، وذكرياته، وصياغة بنيته الفنية فى أن يحدد حقله الذى جمع بين الرحلة والمقامة والبنية السردية (الحكى)، وأكدت سياقات النص هذا الحقل.
- يُعد ابن الخطيب فى معياره – وفقاً لما بين أيدينا – أول من استطاع أن يجدد فى فنى «الرحلة» و«المقامة»، بأن أخضع الرحلة لتكون موضوعاً للمقامة بفنيتها العالية بعد أن كانت الرسالة آخر قالب تقولبت فيه الرحلة، كما جدد فى المقامة بأن جعل قالبها الفنى يتسع لوصف الرحلة ووصف المدن من خلال مشاهداته.
- يُعد معيار الاختيار أوسع عمل من أعمال ابن الخطيب التى تناولت الرحلة ووصف المدن، حيث اتسع موضوعه لوصف «سبع وخمسين» مدينة أندلسية ومغربية من خلال مشاهداته فى منتصف القرن الثامن الهجرى، فى أحرج فترة من فترات التاريخ الإسلامى فى الأندلس والمغرب. ولم يقف وصفه عند «اثنتين وخمسين» مدينة أو «أربع وخمسين» مدينة كما ذهب الباحثون.
- لم يراع لسان الدين فى تناوله للمدن فى «معياره» ترتيبا جغرافيا أو تاريخياً وحضارياً تحقيقاً؛ للانزياح وكسراً للتوقع وجذبا للمتلقى.
- راوح ابن الخطيب فى وصفه للمدن بين الإيجاز والبسط والمراوحة بينهما.

- اتسم «معيار الاختيار» فى تناوله للمدن بالشمولية والإنصاف والموضوعية والدقة فى بيان مميزات كل مدينة وعيوبها، محيطاً بمظاهرها الجغرافية والطبيعية وصداها على قاطنيها، ومكانتها الحضارية والتاريخية ومعالمها المعمارية، وحالة ساكنيها الاجتماعية، وبيان مواردها الاقتصادية، فأعطانا صورة جلية من خلال حس الأديب الرحالة الناقد والخبير الموضوعى النظرة البعيد عن النعرة؛ فغدا وصفه لكل مدينة لوحة فنية رائعة.
- يجمع معيار الاختيار بين القيمة الأدبية وكونه وثيقة تاريخية وجغرافية واجتماعية واقتصادية لمرحلة من أخطر المراحل فى تاريخ الغرب الإسلامى فى منتصف القرن الثامن الهجرى، التى قلما وجد الباحثون عنها مادة علمية ولذا أصبح مثار اهتمام المؤرخين والجغرافيين وعلماء الاقتصاد والاجتماع المهتمين بتلك المرحلة.
- يتميز معيار الاختيار بأنه نص سردى، منفتح على كافة الأنساق الأدبية والاجتماعية والثقافية فى شتى العصور؛ ولذا يمكن إدراجه فى أكثر من نوع بقالبه المقامى السردى، الذى يمزج بين الأجناس الأدبية محققاً التداخل بينها، وموظفاً إياها.
- نجح ابن الخطيب فى أن يطبق فنيات السرد فى قالبه المقامى، وأن يجدد فيه، ويقترب به من فنيات القصة.
- يمزج معيار الاختيار فى بنيته السردية بين التخييل والواقع على مستوى الحدث والشخصيات والمدى والزمان والمكان واللغة والبنية الفنية بدقة وحرفية.
- تلعب المفارقة دوراً مهماً فى البنية السردية على مستوياتها المختلفة، من خلال الأحداث والشخصيات والمكان والزمان، والبنية اللفظية والأسلوبية والتصويرية والموسيقية.

تتسم لغته بأنها:

- لغة موسوعية تدور فى فلكها العديد من ألفاظ المعجم اللغوى والفلكى والجغرافى والتاريخى والصوفى والفلسفى والطبى واللغات الأخرى، والتى هى صدى لثقافة مؤلِّفه الموسوعية، الذى استطاع أن يصوغها بفنية عالية فى طيات معياره، دون أن يشعرنا بدورانها فى فلكه ويكسبها الطرافة والجدة.
- لغة قوية مرنة تتسم بالحيوية والمرونة التى يتطلبها قالبه الفنى السردى المقامى، تزخر بالجزالة التى تجنح إلى الإغراب – أحياناً –، والتى نجح المؤلف أن يشكلها تشكيلاً خاصاً يدل على عبقرية مبدعها.
- ألفاظها عربية أصيلة – إلا فى النادر – منتقاة تجمع بين كونها مختارة من المألوف المأنوس، الذى خُلد على ألسنة البلغاء والأدباء، ومن بعض الألفاظ المعجمية التى يطغى عليها المألوف، والتى من خلال تداخلها وتعالقها تكسب لغته تفرداً.
- الإغراب فى معيار الاختيار إغراباً فنياً ليس فى الألفاظ بل فى كثافة التراكيب وتداخل الأساليب بدقة عالية فى مستويات البنية التشكيلية للنص.
- لغة إيحائية تستدعى ألفاظاً لها دلالتها وشحناتها الانفعالية المكثفة فى وجدان ووعى المتلقى؛ لتعلى من قدرتها الإيحائية من خلال قدرة فنية وتركيبية فائقة، تُكسبها طرافة وحيوية.
- يتسم معيار الاختيار بتنوع بنائه اللغوى بالجمع بين الجمل الخبرية والإنشائية بمختلف صورها وأشكالها وتوظيفها بدقة بالغة؛ لتتمازج وتتداخل فى بنية فنية مُعبرة ومُميزة.
- تغلب الجملة الاسمية المتنوعة فى بنيتها على غيرها من الجمل فى وصف المدن؛ لتأكيد وترسيخ الوصف فى ذهن المتلقى، بل يقتصر وصفه السريع للعديد من المدن عليها.

- غلبت الجمل الفعلية وخاصة الماضى منها على مفاصل سرد الأحداث.
- وغلبت الجمل الفعلية التى تدل على الحاضر على المشاهد السردية؛ لاستحضارها، وكأنها ماثلة للعيان؛ ليبث فيها التجدد والحياة والاستمرارية وإن أتت فى نسق الماضى.
- أكسبت الجمل الشرطية بنية معيار الاختيار الحيوية والحوارية والتفاعل، ونجحت فى ربط مفاصل النص السردى فى لخظات مهمة لتشد انتباه المتلقى.
- أضفى انتشار الجمل الاعتراضية القصيرة وتنوعها على البنية التركيبية بعداً دلاليا وآخر جمالياً قوى البنية السردية، فاستطاعت بتداخلها التركيبى أن تكسب بنيته غموضاً فنيا محبباً يقربه من شاعرية الخطاب.
- أتت الجمل الإنشائية غير الطلبية المحملة بشحنات انفعالية عالية بصيغها المتنوعة فى متواليات تعبيرية فى لغة الحوار؛ لتعبر عن كثافة الشحنة الانفعالية وتكسبها الحيوية والتنوع والتكثيف.
- برزت فى معيار الاختيار جمل التحسر والتعجب والقسم بصورة واضحة من بين الجمل الإنشائية الأخرى فى بنيته اللغوية والأسلوبية.
- لعبت الجمل الطلبية دوراً بارزاً فى البنية السردية وخاصةً السرد الحوارى بين الراوى والبطل؛ فأكسبته التفاعل والحيوية.
- اتسمت بُنيته ببنائها التركيبى الدقيق المُميز بحوارية النصوص وجدليتها وتفاعلها، تلك النصوص التى استطاع المؤلف أن يستقطبها ويوظفها بفنية عالية فى صورة تعبيرية جديدة؛ فأثرى بُنيته الفنية بكمٍ هائلٍ من الملفوظات والنصوص المتحركة المتعالقة والمتشابكة، التى انصهرت فى بنيته السردية، وعمَّقت شحناته الانفعالية، والمنفتحة على العديد من النصوص المكثفة السائرة، التى أسبغ عليها من روحه، وشفافية وشاعرية لغته، ما

أكسب نصه التفاعل والجدة والطرافة، والثراء الدلالى وجماليات التعبير، والخلود الفنى.

- أكسب انتشار التورية والكناية وبعض الإلغاز بنيته السردية غموضاً فنياً جذاباً نأى بها عن النثرية، وارتقى بها إلى شاعرية الخطاب النثرى.
- اتسمت اللغة فى معيار الاختيار بأنها إيحائية تصويرية مترعة بالموسيقى، استطاع من خلالها أن يرسم بالكلمة، ويحفر بالمعنى، ويثير الانفعالات بالنغم والمبنى من خلال الصورة التعبيرية والصورة المجازية، التى طغت عليها الاستعارة المكنية التشخيصية بضبابيتها وحيويتها، فبعثت الحياة فى كل أجزاء البنية السردية مما أكسبها شاعرية.
- اتسمت الصورة فى معيار الاختيار بالطرافة والجدة والابتكار، وإن كانت لبِناتها وألفاظها تدور فى فلك الموروث الثقافى، لكن تركيبها وإسنادها وتكوينها بشكل خاص هو ما يكمن فيه الإبداع.
- غدت كل صورة من صوره الفنية لوحة فنية متميزة يتداخل فيها اللفظ الموحى المعبر، والصورة البلاغية البديعية، والأسلوب المترع بالموسيقية القادر على استدعاء تجارب غنية، والنصوص المتداخلة فى حوارية وضبابية فنية، مع غموض التورية والكناية والجناس الموحى بالتماثل الخادع لفظاً المتنوع معناً، المصاحب للترصيع والسجع المتنوع والفقرات المتوالية المتآلفة فى تناغم بديع وسهولة وسلاسة تلقائية آسرة.
- تميز معيار الاختيار بتلاحم وتداخل كل من غموض المجاز من استعارة وكناية وتورية وضبابيته، مع موسيقى الجناس والسجع وزخم العبارات النادرة، والنصوص التراثية بكثافة شحنتها التعبيرية على مستويات البنية المتنوعة اللغوية والتصويرية والموسيقية؛ لتنتقل بالنثر فى معياره إلى شاعرية الكتابة المرموزة فى جدلية فنية رائعة تجمع بين التماثل والتنوع، والتقابل والتناغم والتضاد والتناسب فى توازن وانسجام، من خلال بنية

سردية مشوقة قائمة على المفارقة والصدفة والمفاجأة والتشويق مع الاسترجاع والاستشراف وتبطئة الحركة والإسراع فيها، فى صياغة متميزة بساحريتها وغموضها الفنى الجذاب فى لغة تخيلية تتقنع بقناع الشاعرية؛ لتتماثل وتنسجم مع بنية الشعر التى تعلى من شاعرية النثر بثرائها النغمى ولغتها المرموزة.

- تحققت البراعة والجدة والطرافة فى التراكيب والإسناد المكون للصورة الفنية فى معيار الاختيار.
- أجمع العديد من النقاد قديماً وحديثاً على تميز معيار الاختيار بقالبه وموضوعه ولغته وأسلوبه البديع وموسيقاه المترعة، ودقة جمال تركيبه الذى يجعله فى مصاف النصوص الأدبية السائدة الخالدة.

ثانياً: التوصيات:

أولاً: الاهتمام بالدراسات الفنية للنصوص الأندلسية لاستخراج لآلئها من أصدافها، ولتصحيح العديد من وجهات نظر المستشرقين ومن تبعهم من الباحثين المحدثين المتأثرين بهم.

ثانياً: عمل فهارس تحصر الدراسات الفنية للنصوص الأندلسية وقيام لجنة بتحديثها بشكل دائم من خلال التواصل مع جميع المؤسسات البحثية والجامعات ودور النشر العالمية.

ثالثاً: الاهتمام بدراسة فن المقامات الأندلسية لإظهار إبداعاته الفنية وألقه الفنى وجمالياته التعبيرية.

رابعاً: الاهتمام بدراسة سلبيات ابن الخطيب من خلال أعماله المتنوعة التى تستوعب العديد من أنواع السرود الأدبية وخاصة أدب الرحلة، والمقامات، والتراجم الذاتية والغيرية، الطولية والعرضية، والمذكرات الشخصية.

الثبـــــت

أولاً: ثبت المصادر المراجع

١. **ابن الخطيب** سفيراً ولاجئا سياسياً، عبد الهادى التازى مجلة كلية الآداب بتطوان العدد ٢ السنة الثانية ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.
٢. **ابن الخطيب** من خلال كتبه، محمد بن أبى بكر التطوانى، ط معهد مولاى الحسن بالمغرب ١٩٥٤م.
٣. **ابن خلدون** ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن ابن خلدون ط دار الكتاب اللبنانى – بيروت لبنان د.ت.
٤. **ابن مغاور الشاطبى** حياته وآثاره مطبعة النجاح الجديدة بالمغرب ١٤١٥هـ – ١٩٩٩م.
٥. **ابن مغاور الشاطبى** حياته وآثاره، محمد بنشريفة مطبعة النجاح الجديدة بالمغرب ١٤١٥هـ -١٩٩٩م.
٦. **أثر العرب والإسلام** فى النهضة الأوربية فى الأدب، محمود على مكى، ط الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧م.
٧. **الإحاطة فى أخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط مكتبة الخانجى بمصر ١٣٩٤هـ -١٩٨٨م.
٨. **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم**، للمقدسى تحقيق دى خويه سلسلة المكتبة الجغرافية العربية المجلد الثالث، ط ليدن ١٩٦٧م.
٩. **أدب الرحلة بالمغرب فى العصر المرينى**، حسن الشاهدى ط منشورات عكاظ، المغرب ١٩٩٠.
١٠. **أدب الرسائل فى الأندلس** فى القرن الخامس الهجرى، فايز عبد النبى فلاح القيسى، ط دار البشير للنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
١١. **أزهار الرياض** فى أخبار القاضى عياض، أحمد المقرى ط لجنة التراث الإسلامى بالمغرب ١٩٨٠م.

١٢. **الاستقصا لأخبار** دور المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصرى، تحقيق جعفر الناصرى، ومحمد الناصرى ط الدار البيضاء، ودار الكتاب اللبنانى ١٩٥٤م.
١٣. **الأسلوبية والأسلوب فى النقد**، مقال لمحمد مسعود جبران بمجلة الفكر العربى العدد (٢٦)، شهر (٤)، ١٩٨٢م.
١٤. **الإعلام بمن حل مراكش** وأغمات من الإعلام، للمراكشى ط المطبعة الملكية بالرباط ١٩٧٤م.
١٥. **أعمال الأعلام فيمن بويع** قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، لسان الدين الخطيب، تحقيق ليفى بروفنسال ط بروت لبنان ١٩٥٦م، (المقدمة ص٢-٣).
١٦. **الأغانى**، لأبى الفرج الأصبهانى ط دار الكتب المصرية بالقاهرة.
١٧. ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة، عبد العزيز الأهوانى، من بحث فى مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثالث، الجزء الثانى نوفمبر ١٩٥٧م.
١٨. **انفتاح النص الروائى**، سعيد يقطين ط المركز الثقافى العربى ط ٢٠٠١م.
١٩. **انفتاح النص** إلى النص المترابط، سعيد يقطين، ط المركز الثقافى العربى ط أولى ٢٠٠٥م.
٢٠. **الأنيس المطرب** بروض القرطاس، على بن أبى زرع ط دار المنصور للطباعة والنشر بالمغرب ١٩٧٣م.
٢١. **أوصاف الناس** فى التواريخ والصلات، والزواجر والعظات، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد كمال شبانة ط اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامى ١٩٧٧م.
٢٢. **أيام العرب فى الجاهلية**، محمد أحمد جاد المولى على، محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم ط عيسى البابى الحلبى ١٣٩١هـ -١٩٤٢م.
٢٣. **إيضاح المكنون** فى كشف الظنون، هدية العارفين، إسماعيل البغدادى ط استانبول بتركيا ١٩٥١م.

٢٤. **بحوث فى الراوية الجديدة**، ميشال بوتور، ترجمة فريد أنطونيوس ط دار عوديات – بيروت ١٩٦٧م.
٢٥. **بغية الرواد فى ذكر ملوك بنى عبد الواد**، يحيى ابن خلدون، تحقيق عبد الحميد حاجيات ط المكتبة الوطنية بالجزائر ١٩٨٠م.
٢٦. **بنية النص السردى من منظور النقد**، حميد الحميدانى ط المركز الثقافى العربى الدار البيضاء – بيروت ٢٠٠٣م.
٢٧. **البيان والتبيين**، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٤٨م.
٢٨. **تاريخ ابن خلدون المسمى** (بالعبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر)، عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المغربى ط دار الكتاب اللبنانى، بيروت لبنان ١٩٥٩م.
٢٩. **تاريخ آداب اللغة العربية**، مصطفى صادق الرافعى، ط دار الكتاب العربى، بيروت لبنان، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
٣٠. **تاريخ الأدب العربى عصر الدول والإمارات** (الجزيرة – العراق – إيران)، شوقى ضيف ط دار المعارف بالقاهرة الطبعة الرابعة ١٩٩٦م.
٣١. **تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس**، حسين مؤنس ط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمصر ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م.
٣٢. **تاريخ الدولة السلجوقية**، الروانداى، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى، وعبد المنعم حسنين ط القاهرة (د.ت).
٣٣. **تاريخ قضاة الأندلس**، أبو الحسن النباهى المالقى ط المكتب التجارى للطباعة بيروت لبنان، (د.ت).
٣٤. **تحفة النظار فى غرائب الأمصار** وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، ط القاهرة ١٩٣٨م.

٣٥. **التناص عند شعراء الصنعة**، ياسر عبد الحسيب رضوان، ط مكتبة الآداب بالقاهرة ط الأولى ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.
٣٦. **جدلية الزمن**، غاستو بناشلار، ترجمة خليل أحمد خليل، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط٢ ١٩٨٢م.
٣٧. **جذوة الاقتباس فى ذكر من حل** من الأعلام مدينة فاس، أحمد بن القاضى المكناسى، ط دار المنصور بالرباط ١٩٧٣م.
٣٨. **جمهرة الأمثال**، أبى هلال العسكرى ط دار الفكر بيروت لبنان.
٣٩. **الحلل السندسية** فى الأخبار والآثار الأندلسية، شكيب أرسلان ط دار مكتبة الحياة لبنان بيروت (د.ت).
٤٠. **حى بن يقظان**، ابن طفيل، تحقيق فاروق سعد، ط دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان ط الثالثة ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.
٤١. **خاص الخاص**، الثعالبى، نشر وتحقيق فليب طرزى، ط خزائن الكتب العربية فى الخافقين (د.ت).
٤٢. **خطاب الحكاية** بحث فى المنهج، جيرار جنيت، ترجمة محمد منتصر وعبد الجليل أزدى، وعمر حلمى ط المجلس الأعلى الثقافى بالقاهرة ١٩٩٧م.
٤٣. **الخطيئة والتكفير**، عبد الله الغذامى، ط النادى الثقافى بجدة ط (١) ١٩٨٥م.
٤٤. **درة الحجال** فى أسماء الرجال، أحمد محمد المكناسى، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، ط دار التراث بمصر والمكتبة العتيقة بتونس ١٩٧٠م.
٤٥. **الدرر الكامنة** فى أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلانى، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة، بمصر ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.
٤٦. **دينامية النص** تنظير وإنجاز، محمد مفتاح ط المركز الثقافى العربى بالرباط ط٢ ١٩٩٠م.
٤٧. **ديوان ابن اللبانة الدانى** (مجموع شعره)، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد ط ٢ عمان – دار الراية للنشر والتوزيع ١٤٢٩هـ -٢٠٠٧م.

٤٨. **ديوان أبو العتاهية**، تقديم كرم البستانى ط دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
٤٩. **ديوان أبى الطيب** صالح بن شريف الرندى، تحقيق ودراسة حياة قارة ط مركز البابطين بالمملكة المغربية (سلسلة من تراثنا الشعرى) ٢٠١١م.
٥٠. **ديوان أبى تمام**، شرح الخطيب التبريزى قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجى الأسمر ط دار الكتاب العربى بيروت لبنان ط الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٥١. **ديوان أبى نواس**، تحقيق إينالد فاغر، ط - القاهرة ١٩٥٨م.
٥٢. **ديوان الحطيئة**، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، ط دار المعرفة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.
٥٣. **ديوان حجظة**، تحقيق جان عبد الله توما، سعدة ضناوى، ط دار صادر لبنان بيروت ١٩٩٦م.
٥٤. **ديوان حسان بن ثابت**، ط دار بيروت للطباعة والنشر، ودار النفائس بيروت - لبنان ط الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
٥٥. **ديوان على بن الجهم**، عنى بتحقيقه خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية سابقا ط الثانية منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٥٦. **ديوان على بن جبلة**، الملقب بالعكوك، جمع وتحقيق حسين عطوان، ط دار المعارف، الطبعة الثالثة سلسلة ذخائر العرب (٤٨).
٥٧. **ديوان لسان الدين ابن الخطيب**، تحقيق محمد مفتاح ط دار الثقافة للطبع والنشر ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
٥٨. **الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة**، لابن بسام ، تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة بيروت لبنان ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥٩. **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٤٠٠هـ-١٩٨١م.
٦٠. **زهر الآداب**، الحصرى، تحقيق زكى مبارك، ط الرابعة – بيروت – لبنان ١٩٧٢م.
٦١. **السردية العربية**، عبد الله إبراهيم المركز الثقافى العربى ط ١١، ١٩٩٢م.
٦٢. **سلوة الأنفاس ومحادثة** الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد ابن جعفر الكتانى ط المطبعة الحجرية بفاس بالمغرب د.ت جـ٣ ص١٨٧-١٩١.
٦٣. **شاعرنا العالمى أبو العتاهية**،عبد العال الصعيدى-مجلة الرسالة المصرية عدد(٣) ١٩٥٣م.
٦٤. **شرح ديوان أبى الطيب المتنبى**، للبرقوقى ط دار الكتاب العربى – بيروت لبنان ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.
٦٥. **شرح ديوان الخنساء**، ثعلب تقديم وشرح فائز محمد ط دار الكتاب العربى الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ -١٩٨٩م.
٦٦. **شرح مقامات بديع الهمذانى**، محمد محيى الدين عبد الحميد، ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط الثانية – ب. ت.
٦٧. **صبح الأعشى فى صناعة الإنشا**، للقلقشندى، ط المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة، (د.ت.).
٦٨. **الصيب والجهام والماضى والكهام**، لسان الدين ابن الخطيب تحقيق محمد الشريف قاهر الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ط١ ١٩٧٣م.
٦٩. **العقد الفريد**، ابن عبد ربه، تحقيق مفيد قميحة، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
٧٠. **علم النص**، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهى، ط دار توبقال بالمغرب ط الأولى ١٩٩٣م.

٧١. **فريدة القصر**، عماد الأصفهانى (قسم شعراء المغرب والأندلس تحقيق أذرتاش أذرنوش وآخرين ط الدار التونسية للنشر ١٩٧١.
٧٢. **فن القصص فى النثر الأندلسى**، على الغريب محمد الشناوى ص٣٥٨، ط الأولى ط مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠٠٣م.
٧٣. **فن المقامات بين المشرق والمغرب**، يوسف نور عوض ط دار القلم بيروت لبنان ١٩٧٩م.
٧٤. **فن المقامات فى الأدب العربى**، عبد المالك مرتاض، ط الدار التونسية للطباعة والنشر ١٩٨٨م.
٧٥. **فن المقامة فى القرن السادس**، حسن محمود عباس، ط دار المعارف ١٩٨٦م.
٧٦. **فنون النثر الأدبى** فى آثار لسان الدين ابن الخطيب، محمد مسعود جبران ط دار المدار الإسلامى، بيروت لبنان توزيع دار الكتب الوطنية ببنغازى ط الأولى ٢٠٠١م.
٧٧. **قضايا ثقافية**، عبد المجيد التركى ط دار الغرب الإسلامى ١٩٨٨م.
٧٨. **قلائد العقيان**، الفتح بن خاقان، تحقيق حسين يوسف خربوش ط مكتبة المنار بالأردن ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
٧٩. **كتاب الأمثال والحكم**، أبى الحسين الماوردى، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ط دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٨٠. **الكتيبة الكامنة فيمن** لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين ابن الخطيب تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت لبنان ط١ ١٩٦٣م.
٨١. **كنوز الأجداد**، محمد كرد على، طبعة المجمع العلمى بدمشق ١٩٥٠م
٨٢. **لسان الخطيب حياته وتراثه الفكرى**، محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجى القاهرة ط الأولى ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م

٨٣. **لسان الدين ابن الخطيب** (عصره، بيئته، حياته، وآثاره، أحمد حسن بسج ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولى ١٤١٤هـ -١٩٩٤م
٨٤. **لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكرى**، محمد عبد الله عنان ط مكتبة الخانجى، القاهرة ط الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٨٥. **لسان الدين ابن الخطيب فى آثار الدارسين**، حسن عبد الكريم الوارکلى ط منشورات عكاظ الرباط، ١٩٩٠م.
٨٦. **اللمحة البدرية فى تاريخ الدولة النصرية**، ابن الخطيب ط المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٧هـ.
٨٧. **مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة**، تحقيق عبد الوهاب منصور ط دار المنصور للطباعة والنشر ١٩٧٣م.
٨٨. **مجمع الأمثال**، الميدانى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط دار المعرفة بيروت لبنان ١٣٩٢هـ.
٨٩. **المحاورات السردية**، عبد الله إبراهيم، ط الأولى، ط دار الأمان بالرباط والدار العربية للعلوم والنشر – بيروت – لبنان ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.
٩٠. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، للمسعودى، تحقيق يوسف أسعد، ط دار الأندلس – بيروت، المقدمة.
٩١. **مشاهدات لسان** الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس «مجموعة من رسائله»، نشر وتحقيق أحمد مختار العبادى، ط مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨م.
٩٢. **المعجب فى تلخيص أخبار المغرب**، لمراكشى تحقيق سعيد العريان ط القاهرة ١٩٦٣م.
٩٣. **معجم البلاغة العربية**، بدوى طبانة ط الأولى منشورات جامعة طرابلس ١٩٧٥م

٩٤. **معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار**، للمؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة ط مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

٩٥. **المغرب فى حلى المغرب**، ابن سعيد، تحقيق شوقى ضيف ط ٢ مط دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.

٩٦. **المقامات السرد والأنساق الثقافية**، عبد الفتاح كيليطو، ترجمة عبد الكريم الشرقاوى ط دار توبقال للنشر الدار البيضاء ط٢، ٢٠٠١م.

٩٧. **المنتحل**، الثعالبى، تحقيق الشيخ أحمد أبو على، ط المطبعة التجارية بالإسكندرية ١٣١٩هـ -١٩٠١م.

٩٨. **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية**، عبد العزيز بن عبد الله، ط وزارة الأوقاف بالمغرب ١٣٩٥هـ،١٩٧٥م.

٩٩. **نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان**، إسماعيل ابن الأحمر، تحقيق محمد رضوان الداية طبعة دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٦٧م.

١٠٠. **نص جديد**، صحيفة الميثاق المغربية عدد (٧، ٨) من السنة الأولى ١٩٦٢م.

١٠١. **نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب**، ابن الخطيب الجزء الثانى، تحقيق أحمد مختار العبادى طبعة دار الكاتب العربى – مصر – ١٩٥٠م.

١٠٢. **نفح الطيب**، أحمد بن المقرى التلمسانى، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، ط دار صادر – بيروت – لبنان، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

١٠٣. **نفح الطيب**، المقرى جـ٨ ص٣١٥، تحقيق محيى الدين، ط القاهرة

١٠٤. **النماذج الإنسانية فى الدراسات الأدبية المقارنة**، غنيمى هلال ط دار النهضة القاهرة ١٩٥٧م.

١٠٥. **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، التنبكتى إشراف عبد الحميد الهرامة ط دار الكاتب – طرابلس – بليبيا، سنة ٢٠٠٠م.

١٠٦. **الوافى بالوفيات**، الصفدى نشر المستشرق دبدرنغ ط المطبعة الهاشمية بدمشق ط ١٩٥٩م.

١٠٧. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م.

١٠٨. **يتيمة الدهر**، الثعالبى ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠٩. **يوسف الأول** (أبو الحجاج) ابن الأحمر سلطان غرناطة، تأليف محمد كمال شبانة مجلة دعوة الحق العدد الخامس السنة الحادية عشر ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

ثانياً: ثبت الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد	٥
المبحث الأول: معيار الاختيار عرض وتوصيف	١٥-٤٩
عتبات النص	١٥
العنوان	١٥
سياق النص	١٥
محتواه	١٥
المجلس الأول	١٨
المجلس الثانى	٣٧
محاوره	٤٨
أهميته	٤٨
المبحث الثانى: معيار الاختيار فى ضوء المقامة وفنية السرد	٥٠-٧٦
المقامة وخصائصها الفنية	٥١
البنية السردية «لمعيار الاختيار»	٥٢
أولاً: الحدث	٥٣
ثانياً الشخصيات	٥٦
المدى الذى يدور فيه معيار الاختيار	٦٣
فضاء النص	٦٤
المكان	٦٧
الزمان	٦٨
ارتباط الزمن بالسرد	٦٩

المبحث الثالث: البناء الهيكلى والخصائص الأسلوبية فى ضوء الأصالة والتجديد	٧٧- ١٥٢
أولاً: البناء الهيكلى	٧٧
- معمارية الشكل	٧٧
- معمارية الأسلوب	٨٣
ثانياً: خصائص اللغة والأسلوب	٨٥
الخاتمة	١٥٣
النتائج	١٥٣
التوصيات	١٥٩
الثبت	١٦٠-١٧٤
أولاً: ثبت المصادر والمراجع	١٦٠
ثبت الموضوعات	١٧٠